هشام فهمي

المُتَرجِم

المُتَرجِم

المترجم (الكتاب الثاني)
كُتّاب متنوِّعون
ت: هشام فهمي
قصص ومقالات
تصميم الغلاف: أحمد فرج
تدقيق لغوي: أحمد يحيى
رقم الإيداع: 2016/2725
-I.S.B.N: 978-977-488-437-5

دار اكتب للنشر والتوزيع

الإدارة : 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،
المرج الغربية، القاهرة .
المدير العام : يحيى هاشم
هاتف 01144552557 - 01147633268
E – mail :daroktob1@yahoo.com
Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى، 2016م
جميع الحقوق محفوظة©
دار اكتب للنشر والتوزيع

المُتَرجِم

الكتاب الثاني

نصوص من ترجمة

هشام فهمي

دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدِّمة

هشام فهمي

في "آليس في بلاد العجائب" تظهر أغنيَّة سحريَّة لآليس، فتتوصَّل إلى طريقة قراءتها عن طريق حملها أمام المرآة، لكنها تجد صعوبةً في فهم بعض الكلمات، وباستخدام الكلمات التي تعرفها مع أصوات بقيَّة الكلمات غير المفهومة، تصل إلى نتيجة أن «أحدهم قتل شيئًا ما، وهذا واضح في جميع الأحوال».

هنا تفعل آليس ما يفعله من يقرأ الرواية في الآن نفسه، تحاول أن تدرك المراد مما يقوله صاحب الكلمات؛ والشيء نفسه ينطبق على جميع أنواع الأدب الذي هو واحد من صور الفن، وكما قال أوسكار وايلد، فإن «الفنَّان هو خالق الأشياء الجميلة»، وهكذا يخلق الفنَّان أو الأديب روايته أو قصَّته أو قصيدته وينشرها على الملأ، ليأتي بعدها دور القارئ في تكوين رأيه في العمل الأدبي والمعاني المحتملة له، وما إن كان يحمل أيَّ معنى أصلًا. قد يستخدم الكاتب في أدبه تلميحاتٍ ما هنا وهناك، كأن يستعين بكلمةٍ بدلًا من أخرى، أو يضع أحداثه في محيطٍ معيَّن كي ينقل المزاج المطلوب إلى القارئ، لكن في كلِّ الأحوال يظلُّ معنى النَّص بعد خروجه من تحت قلم الكاتب تجربة القارئ

وحده، فعند قراءة نصٍّ أدبيٍّ ما، يستطيع القارئ أن يرى الأحداث والشخصيَّات بعين الخيال، وحسب قَدر التفاصيل التي يُعطيها الكاتب تختلف الصورة التي يراها كلُّ قارئٍ عن غيره كثيرًا.

أتكلَّمُ هنا عن العلاقة المباشرة بين كاتبٍ وقارئٍ يتحدَّثان اللُّغة نفسها، فما بالك عندما يتعلّق الأمر بمترجمٍ دوره أن ينقل إلى القارئ بلغةٍ أخرى أسلوب الكاتب وروح النَّص وما قد يحويه من معانٍ ضمنيَّة؟

عن نفسي أحاولُ دائمًا -كمترجم- أن أضع القارئ نُصب عيني، وأن أضع نفسي مكانه لأتصوَّر ما قد يروق أو لا يروق له، وإن كان هذا لا يعني أني أقيِّدُ نفسي طوال الوقت بما يرغب في قراءته، لأني في النهاية أرغبُ في أن أقدِّم تجربتي الخاصَّة في الترجمة، وأن أقدِّم للقارئ نصوصًا جديدةً لكُتَّاب من المحتمَل أنه لم يقرأ لهم شيئًا، خصوصًا أني أعدُّ نفسي متخصِّصًا في ترجمة كلِّ ما يتعلق بالپوپ آرت، الذي يضمُّ كتابات الفانتازيا والخيال العلمي والرُّعب، ويحتوي في الآن نفسه على قيمة أدبيَّة ما وشخصيَّات تجذب الاهتمام ويُمكن للقارئ أن يتفاعَل معها. في مصر والعالم العربي ظهر هذا النوع من الأدب على استحياء في البداية مع كتابات أحمد خالد توفيق ونبيل فاروق وغيرهما، وسرعان ما انتشر على مستوى واسع، لدرجة أن معظم من يكتبون للمرَّة الأولى الآن يجرِّبون أنفسهم في هذا النوع من الأدب (وهو أدب بالفعل في رأيي، رغمًا عن أنف كلِّ من يرفض هذا أو يستهين به). المشكلة أن معظم ما يُكتَب بالعربية في

هذا المجال رديء بالفعل للأسف، ويشي بأن قراءات هذا الكاتب أو ذاك لم تتعد بضع كُتبٍ قليلة في مجال كتابته بحسب هو أنها خُلاصة مصادر الإلهام ومنتهاها. انظر إلى الكتب من هذه النوعية التي تراها في معرض الكتاب –ومعظمها صادرٌ عن دور النشر الصغيرة– وسترى أن العدد كبير حقًّا، لكن كم كتابًا منها له قيمة بالفعل؟

هنا يأتي دور من هُم مثلي ممن يمارسون الترجمة في هذا المجال لتقديم أعمال قيِّمة حقيقيَّة، خصوصًا أننا ننقل نصوصًا آتية من بحرٍ شاسعٍ من أعمال البوپ آرت التي تُعَدُّ اسمًا على مسمًّى في الخارج، فالكلمة تعني "الفن الشَّعبي"، ولم يَعُد معناها يقتصر على الحركة الفنيَّة التي بدأت في بريطانيا في مطلع الخمسينات والولايات المتحدة في مطلع الستينات، بل امتدَّ المعنى ليشمل الأدب والسينما وغيرهما، وهذا النوع من الأدب شائع جدًّا في الخارج وينافس الكتابات الكلاسيكيَّة، ويفوز أيضًا بجوائز مهمَّة وله الملايين من الأتباع والمتابعين. هكذا أقومُ بدوري كمترجمٍ في هذا المجال لنقل بعضٍ منه إلى القارئ العربي... لكن كيف أنقله بالضبط؟

عن نفسي أمارسُ الترجمة منذ أربعة عشر عامًا كاملة، وقد ترجمتُ في مجالات عديدة قبل أن أقرِّر احتراف الترجمة الأدبيَّة، ومرَّت عليَّ ترجمات قانونيَّة وطبيَّة ورياضيَّة وتاريخيَّة وفلسفيَّة وعلميَّة، ومارستُ أيضًا ترجمة الأفلام والمسلسلات، وفي مرحلةٍ ما قضيتُ عامًا أو أكثر في ترجمة وصفات الطهي والتطريز وموضوعات المرأة والطفل،

وخلال كلّ هذا كنتُ أحاولُ -بالتدريج ومع سنين الخبرة والتعلُّم- أن أوصِّل النص العربي الناتج للقارئ بأسلس طريقة ممكنة، لكن هذا لا يعني أني أركِّزُ على استخدام الكلمات السهلة جدًّا فقط فأقلِّلُ من قيمة النص إذا كانت لغته تحتاج أسلوبًا أكثر بلاغة، أو أن أجنح إلى استخدام الكلمات المتكلِّفة المعقَّدة في نصٍّ لا يحتمل ذلك.

عندما قمتُ بترجمة رواية "فرانكنشتاين" لماري شلي مثلًا، حرصتُ على أن تكون اللُّغة جديرةً بكلاسيكيَّة النص وما فيه من تعبيرات منمَّقة، وفي الوقت نفسه حاولتُ قَدر المستطاع أن تكون اللُّغة عصريَّةً تجذب القارئ إلى الرواية ولا تنفِّره منها، لأن هناك كثيرين يشتكون من أن ترجمات الأعمال الكلاسيكيَّة بالذات معقدة جدًّا ولغتها أصعب من اللازم، والتزمتُ بالمنهج نفسه عندما ترجمتُ نصوصًا لڤرجينيا وولف ولاڤكرافت وبورخس وكافكا وآرثر كونان دويل، وهو النسق ذاته الذي أسيرُ عليه في ترجمة سلسلة "أغنيَّة الجليد والنار" لجورج ر. ر. مارتن (على الرغم من أنها ليست رواية كلاسيكيَّة، وإن كانت أجواؤها أقرب إلى هذه الأعمال). لكن عندما قمتُ بترجمة نصوص لتشاك پولانك -كروايتي "الناجي الأخير" و"أغنيَّة المهد"- وجدتُ أن الرجل يكتب بالعاميَّة الأمريكيَّة بسخاء، ما يعني أن استخدام العربيَّة الفُصحى في الترجمة كلها سيدمر النص تمامًا، فحاولتُ الموازَنة بين الفُصحى والتعبيرات العاميَّة التي ليس لها مقابل في الفُصحى العربيَّة أصلًا، والشيء نفسه ينطبق على ترجماتي

لستيفن كينج ونيل جايمان ووودي آلن وچورچ كارلن؛ وكلٌّ حسب لغته وكيف يمكنني كمترجم التعامل معها وإعادة تشكيلها بعربيَّةٍ سلسةٍ مفهومة.

أحاولُ دائمًا أن أتابع ردود أفعال من يقرأون ترجماتي، ومن خلال هذا يتَّضح لي نوع النصوص التي تروق لهم أكثر، والنصوص التي قد أنجحُ في أن أفرضها عليهم مع الوقت، وأستخدمُ هذا كمؤشِّر للنجاح والفشل. طبعًا لا ألتزمُ طوال الوقت برأي القارئ، فأنا في النهاية أترجم ما أحبُّ وأحبُّ ما أترجم، وأحاولُ أن تكون لمشروعي مساحة في الفضاء السايبري والصفحات المطبوعة. نعم، أخطئُ حينًا وأصيبُ حينًا، لكن الخطأ في النهاية جزءٌ من التجربة، أتعلَّمُ منه وآملُ أن يتعلَّم منه غيري.

من أجل القارئ، على المترجم أن يملك حسًّا أدبيًّا وفنيًّا، وهذه مسألة مفروغ منها ولا نقاش فيها، وإلا كيف سيشعر بمعاني الكلمات وما يُمكن أن يقابلها في لغته أصلًا؟ مجرَّد إجادة المترجم للُّغة الأجنبيَّة لا يكفي، بل ينبغي عليه أن يجيد العربيَّة إجادةً ممتازةً وليس مجرَّد إجادة معقولة، أن يتلاعب بالكلمات، أن يعيد ترتيب الجُمل إذا اضطرَّ بما يناسب النص المقابل في العربيَّة بحيث تبدو كأنها مكتوبة بالعربيَّة أصلًا قَدر الإمكان، أن يبحث عن معانٍ مختلفة للمصطلحات المعقَّدة أو التعبيرات العاميَّة وما يُمكن أن يقابلها في العربيَّة. المهم أن

يفعل كلّ ما في طاقته كي يكون النص النهائي مفهومًا للقارئ ومريحًا في القراءة.

يجب أيضًا أن يعرف المترجم القواعد الصحيحة للنحو العربي، ولستُ أقول أن يحفظها عن ظهر قلب بالضرورة، بل أن يقرأ كثيرًا جدًّا ويرى كيف تتكوَّن الجُمل على نحوٍ صحيح. أنا نفسي أكادُ لا أحفظ قاعدةً واحدةً من النحو تقريبًا، وكنتُ أكرهه بشدَّة طوال أيام الدراسة، لكن من كثرة القراءة والممارسة أصبحتُ أحسُّ بالكلمات وأكتبها أغلب الوقت بشكلها --وتشكيلها- الصحيح (ومسألة التشكيل مهمة جدًّا في رأيي، للتمييز بين المعاني المختلفة للكلمة الواحدة، وأيضًا طريقة نُطق الكلمات والأسماء الأجنبيَّة التي تُكتَب بحروفٍ عربيَّة)، ولن يأتيَ هذا إلا بالقراءة ثم القراءة ثم القراءة. يجب أن يقرأ المترجم كثيرًا باللُّغتين ليتعوَّد على المصطلحات والكلِمات الغريبة لتصبح معتادة بعدها عنده، كما أن القراءة ستساعده كثيرًا في تعلُّم تعبيراتٍ مختلفة، خصوصًا أن كلماتٍ وتعبيراتٍ جديدة تظهر كلّ يوم.

لكن الأهم أن يملك المترجم الموهبة أصلًا. هذه منحة إلهيَّة وليست شيئًا يُكتسَب فجأة، فلا يصحُّ أن يقرِّر أحدهم فجأة أن يصبَح مترجمًا دون أيِّ خبرةٍ أو معرفة سابقة، وطبعًا دون الموهبة التي يجب صقلها طوال الوقت بتعلُّم أساليبٍ جديدة وتجربة نصوصٍ مختلفة لكُتَّاب مختلفين من جميع أنحاء العالم. لكن طالما أن لديه حسًّا أدبيًّا وفنيًّا، فهذا

يعني أنه على الطريق الصحيح. قد ينجح أو يفشل، الله أعلم، لكنه يحاول على الأقل، وللقارئ وحده أن يحكم على هذا.

الأدب باختصار هو مجموعة من الكلمات التي يضعها الكاتب معًا كي يستمتع بها القارئ ويستوعب معانيها بطريقته الخاصَّة، وتلك المعاني تأتي من القارئ وحده، فهو من يحكم على الشخصيَّات وتصرُّفاتها، وهو من يتخيَّل الأحداث والأماكن والأشخاص، وعليه ينبغي على الكاتب أو المترجم أن يراعي القارئ دائمًا، لأنه في النهاية من يحدِّد -بغض النظر عن آراء النقَّاد والجوائز وخلافه- إن كان هذا الكاتب أو المترجم يستحق أن يُقرأ له بالفعل أم لا

النصوص المتنوِّعة التي ستقرأها في صفحات هذا الكتاب جزءٌ من تجربتي التي أقدِّمها لك كي تطَّلع وتحكم عليها، أما أنا فأواصلُ الاطِّلاع والتعلُّم ومراجَعة أخطائي واكتساب المزيد من الخبرة بلا توقُّف كي أبقى جديرًا بلقب المُترجِم.

هل سنقلب صفحة الكُتب؟

ستيفن كينج

هل سمعت عن حركة اللاضيِّين المكوَّنة من العُمَّال الإنجليز الذين كانوا يُحَطِّمون ماكينات المصانع في مطلع القرن التاسع عشر، لاعتقادهم أن تشغيلها يؤدِّي إلى نقص الطَّلب على الأيدي العاملة؟

حسنٌ، في رأيي أن مُحبِّي الكُتب هُم لاضيُّو عالم الفكر، ولا يُمكنني أن أتخيَّل تخلِّيهم عن الكلمة المطبوعة أكثر مما يُمكنني تخيُّل صورة في جريدة ***The New York Post*** يظهَر فيها بابا الڤاتيكان وهو يَرقُص في الديسكو. ما أعرفه أن مغامَراتي في الفضاء السايبري (ومنها قصَّة ***Riding the Bullet***، المتاحة على أيِّ كومبيوتر) قد أثبتَت تلك الفكرة بشكلٍ قاطع، ويعكس صندوق بريدي الإلكتروني والتعليقات على موقعي شيئين: الأول أن القُرَّاء

استمتَعوا بالقصَّة. والثاني أن قراءتها على الشاشة لم تَرُق لهم كثيرًا، كأنها ظهرَت لهم ثم اختفَت مثل جنِّي علاء الدين.

الكُتب لها وزن وقوام، ولها حضورٌ سارٌّ في اليد. لا شيء في العالم يضاهي الكتاب الجديد في حلاوة الرائحة، خصوصًا إذا وضعت أنفك على الكعب حيث لا يزال يُمكنك أن تَشُمَّ رائحة الصَّمغ اللاذعة، والرائحة الأحلى بعد هذه في الترتيب هي رائحة الكتاب القديم المستعمَل التي تُذكِّرك نوعًا بالفلفل الأسود. رائحة الكتاب القديم هي رائحة التاريخ، وبالنِّسبة لي يُعَدُّ شكل الكتاب الجديد هو شكل المستقبل.

لديَّ اعتقادٌ بأن انتشار شبكة الإنترنت في كلِّ مكان من العوامل التي ساهَمت في ازدياد معدَّل القراءة، ومن يملكون من الدُّمى أكثر من الكُتب على أرفُفهم صاروا يقضون في القراءة وقتًا أطول من ذي قبل مع تنقُّلهم من موقعٍ إلى آخَر. لكنهم -تبًّا!- لا يقرأون كتابًا، ذلك الكائن المثالي الذي يتكلَّم دون كلام ويعمل دون بطَّاريَّات تحتاج إلى الشَّحن ولا يتعطَّل عن العمل أبدًا ما لم تُطَوِّح به في رُكن الغُرفة.

عن نفسي، يُمكنك أن تأخذ سلاحي، لكن عليك أولًا أن تنزع أصابعي الباردة الميتة عن غلاف كتابي قبل أن تأخذه مني.

قصَّة حُب

تشاك پولانك

بارِك لي. أنا وزوجتي أنجَبنا توأمتين منذ قليل، ويبدو أنهما في صحَّةٍ طيِّبة. عشرة أصابع في اليدين، عشرة في القدمين، فتاتان صغيرتان جميلتان. لكنك تعرف هذا الإحساس المُمض، ما زلتُ أنتظرُ أن يقع ما يُفسد كلَّ شيء، لأن تلك هي طبيعة الأشياء عندما تكون سعيدًا أكثر من اللازم. ما زلتُ أتوقَّعُ الاستيقاظ من هذا الحُلم الجميل.

خُذ عندك، قبل زواجي كنتُ قد دخلتُ في علاقةٍ واحدة مع تلك الفتاة البدينة. كلانا كان بدينًا في الحقيقة، ولهذا كان التفاهُم بيننا ممتازًا كانت صاحبتي تلك تجعلنا نُجَرِّب أنواعًا جديدة من الريجيم طوال الوقت كي نفقد بعض الوزن، كأن يقتصر طعامنا على الأناناس والخل فقط مثلًا، أو على نوعٍ من الطحالب الخضراء يأتي في

مظروف، وكانت تقترح دائمًا أن نتمشَّى لمسافات طويلة معًا إلى أن بدأ وزنها في التناقُص بالفعل. ذابَت الدهون في فخذيها فجأةً، ولم يكن هناك مَن هو أسعد منها في العالم. حتى حينها كنتُ أعرفُ أن شيئًا ما سيحدث ويُجهِز على العلاقة. تعرف هذا الإحساس: عندما تحبها فإنك تسعد لسعادتها، لكني كنتُ أعرفُ أن صاحبتي ستُنهي ما بيننا، لأنها صارت الآن نقطةً تضيء بالأخضر وتُطلق الأزيز على رادار رجالٍ آخرين ذوي وظائف محترَمة وتأمين صحي. أذكرُ أنها كانت حسناء طريفةً من قبل، لكن الآن وقد صارت نحيفةً هكذا، أصبح من الواضح أنها تملك قُدرة ممتازة على التحكُّم في النَّفس وتقويمها تفوق قُدرتي ومستواي تمامًا. أصدقائي كذلك لم يكونوا مصدر أيِّ عونٍ لي، لأنهم كانوا قد بدأوا الحوم حولها بدورهم في انتظار إعلان الانفصال، كي يبدأ كلٌّ منهم مناورته. ثم اتَّضح أنها كانت مصابةً بالسرطان في الحقيقة، لكنها كانت قد صارت نحيفة بما يكفي لارتداء أصغر المقاسات، فماتت سعيدة.

لهذا أعرفُ أن السعادة كالقنبلة الموقوتة. أما كيف التقيتُ زوجتي، فالبداية كانت قرارًا بأن أتخلَّى تمامًا عن فكرة المواعَدة، ورحلةً على متن قطار الآمتراك إلى سياتل. كان مهرجان لولاپالوزا مقامًا في سياتل وقتها، وكنتُ قد حزمتُ معي الخيمة وكيس النوم لأخيِّم هناك طوال عطلة نهاية الأسبوع. دخلتُ عربة البار، لأنك تعرف كيف ترغب أحيانًا في أن تترك أصدقاءك ووعيك وراءك لبضعة أيام. دخلتُ عربة البار حيث رأيتُ عينيها الثعلبيَّتين الخضراوين الساحرتين تنظران في اتجاهي مباشرةً. وأنا لستُ وحشًا،

ولستُ خبيرًا ممن تراهم في برامج تليفزيون الواقع يجلسون في المستشفيات يلتهمون الدجاج المحمَّر طوال اليوم، لكني أتفهَّمُ كيف يتمنَّى الرجل أحيانًا أن يعمل حارسًا في سجن أو معسكر اعتقال للنساء، حيث يُمكنه أن يواعد تلك النساء الجميلات دون أن يكون مضطرًّا لأن يسمع طوال الوقت عبارات على غرار «لا تجلس دون قميص!»، و«هل تعرق كثيرًا هكذا دائمًا؟». لكن على متن القطار، ها هي تلك الحوريَّة ترتدي تيشرت راديوهد مقصوصًا ليكشف عن بطنها، مع سروال چينز مرتخٍ إلى أسفل إلى منطقة من المفترَض أن يبرزَ منها بعض الشَّعر، وخواتم بأشكال ميكي ماوس وهولي هوبي حول كلِّ إصبع، وترفع زجاجة بيرة إلى شفتيها الجميلتين، وترمقني من وراء الزجاجة.

أمثالي يعرفون الخُلاصة. ما لم تكن چون بيلوشي أو چون كاندي، فلا فتاة على شاكلتها ستقصد أن تُثبِّت عينيها عليك هكذا أبدًا، لذا فقد تعاملتُ بواقعيَّة في الحال وأبعدتُ وجهي عنها بخزي. السبب الوحيد الذي يدفع فتاةً مثلها لأن تُخاطبني هو أن تُعلمني بالنبأ الكبير، أنني خنزير بدين مُقرِف وأحجبُ منظر المحيط عنها. اعرف حدودك. هذا ما أقوله دومًا. صوِّب على هدفٍ واطئ ولن تُصيبك خيبة الأمل. أتجاوزها بنظري وأرمقها دون أن أرمقها حقًّا. أتفحَّصها، فأشمُّ رائحتها الحلوة كالحلوى، كالفطيرة المخبوزة، كفطيرة القرْع التي يُرَشُّ البهار الأحمر البنِّي على وجهها. المثير أن زجاجة البيرة في فمها تدور لتتبعني وأنا أنهضُ إلى البار لأطلب دورًا من التكيلا، لكننا لسنا آخر ولد وبنتٍ على سطح الكوكب على كلِّ حال، فهناك

آخَرون جالسون يتناولون شرابهم على الطاولات البلاستيكيَّة، ويبدو من مظهرهم أنهم ذاهبون إلى لولاپالوزا كذلك.

سرتُ إلى أبعد طاولةٍ عنها، لكن تلك الفاتنة ما برحت تُراقبني بعينيها. تعرف هذا الشعور: عندما يُراقبك أحدهم، فإنك لا تخطو خطوة واحدة دون أن تتعثَّر، ناهيك عن أن تخطوها على متن قطارٍ متحرِّك. أهُضُ لآخذ بيرة جديدة في اللحظة التي ينعطف فيها القطار على منحنى، فأسكبُ البيرة على قميصي. أتظاهرُ بأنني أشاهدُ الأشجار خارج النافذة، لكني أراقبُ انعكاسها على الزجاج كما تعلَّمتُ من رجال الخدمة السريَّة، فأجدها لا تزال تنظرِ لي. المرَّة الوحيدة التي أبعدَت فيها عينيها كانت عندما نهضَت إلى البار وأعطت الساقي بعض أوراق العملة، فناولها بيرة أخرى. ثم يكبر انعكاسها ويكبر إلى أن يصبح بالحجم الطبيعي، فأجدها واقفةً إلى جوار طاولتي تقول: «هاي» وشيئًا آخر.

وأقول: «ماذا؟».

فتشير إلى قميصي والبيرة المسكوبة عليه، وتقول: «أزرارك تُعجبني. إنها لامعة».

فأخفضُ ذقني وأنظرُ إلى الكباسين ذات اللون الرمادي. إنها كباسين وليست أزرارًا، لكني لا أريدُ إفساد هذه اللحظة. من البداية لاحظتُ أنها تضع إصبعها في فمها أحيانًا. الحقيقة أنها تضع إصبعها في فمها كثيرًا، وتستخدم هذا الصوت الهامس المصحوب بأنفاسٍ ثقيلة مع بعض كلام الأطفال، كأن تقول "پاسكيتي" بدلًا من "سپاجيتي" أو

"مقصقص" بدلًا من "مقص"، لكن هكذا تكون الفتاة السِّكسي كما يقول الكتاب.

تغمز لي وتلعق شفتيها بحافَّة لسانها، ثم تقول والشفتان ما زالتا لامعتين بلُعابها: «أنا بريتني سبيرز». إنها تُداعِبني. بالطبع هي شربت كثيرًا وعاجزة عن التعبير غالبًا. الآن كان كلانا يشرب زجاجات التكيلا الصغيرة، لكننا لسنا مسؤولَيْن عن قيادة القطار على كلِّ حال. لا، هي ليست بريتني سبيرز طبعًا، لكنها على المستوى نفسه من السخونة. من الواضح أنها تُعابِثني، لكن بطريقة جيِّدة تروق لي. عليك أن تنظر إليها فقط لتعرف كلَّ ما تريد معرفته.

فُرصتي الوحيدة معها أن أصمد وأواصل المداعَبة وشراء المشروبات. تسألني عن وجهتي، فأجيبها بأنها مهرجان لولاپالوزا في سياتل. تُمَرِّر أطراف أصابعها على وجه قميصي بين الكباسين، من حزامي إلى حَلْقي، ثم إلى أسفل من جديد، فأجدُ نفسي أتمَنَّى ألا تشعر بدقَّات قلبي المتلاحقة.

تُعابِثني بعينيها الخضراوين عندما تدوران من جانبٍ إلى جانب، أو عندما ترمقني من تحت أهدابها الطويلة. ولا شكَّ أنها سبقتني طويلًا في شُرب البيرة، لأنها لا تنفك تنسى الكلام في منتصفه، وبين الحين والآخَر تشير فجأةً إلى شيءٍ يمرُّ بسرعةٍ خارج النافذة وتهتف: «كلب!». وفي مرَّة رأت سيَّارة تنتظر عند مزلقان مررنا به، فصرخت بريتني: «يرقانة!» وهي تلكمني في كتفي بمجمع قبضتها الملأى بخواتم

هاللو كيتي وميكي ماوس، فأجد نفسي أتمنّى سرًّا أن أحتفظ بهذه الكدمة طوال حياتي.

ثم إننا نذهب إلى لولاپالوزا وننصب خيمتي وبريتني ثملة تمامًا، إلى درجة أنها استيقظَت في الصباح التالي ثملة ما زالت، ولا فائدة مهما دخَّنتُ من ماريجوانا، فلا أستطيعُ اللحاق بدماغها. ولعلّ السبب أن بريت نحيفة للغاية، لكنها تستطيع الحفاظ على المستوى نفسه من الدماغ دون تناوُل أيِّ شراب لساعات طويلة، أو لعلّ السبب أنها تتلقّى جُرعة لا بأس بها من الدخّان الذي أنفثه. المهرجان كله كان عبارةً عن قصّة حُبٍّ كلاسيكيّة من النوع الذي يدفعون مالًا للاستمناء عليه على الإنترنت، لكن أحداثها كانت تقع لي أنا. ثم إننا تواعدنا طوال ستة شهورٍ كاملة وحتى الكريسماس، ثم حتى نقلت بريت أغراضها إلى شقّتي، ولا أزالُ أتوقّعُ أن تستيقظ وقد أفاقت من الثَّمَل ذات نهار، لكنها لا تفعل أبدًا.

نذهب لتناوُل عشاء عيد الشُّكر في بيت أمي، فأضطرُّ لأن أشرح الوضْع كله. لا، بريتني ليس لديها ذوق شاذ في الطعام، لكن سبب نحولها الشديد أنها تحبُّ فقط أن تأكل الكوسة مقطّعةً إلى نصفين طوليَّيْن مُفرَّغين من المنتصف لعمل شكل قارب الهنود الحُمر، مع نقوشٍ بالسكّين على الجانب بمثابة الكتابة الهنديَّة، بالإضافة إلى قبيلة كاملة من المحاربين الشُّجعان مصنوعة من الجزر النيئ المحفور، مع استخدام حبوب البازلاء كرؤوس، ويقوم هؤلاء بالتجديف عبر الطبق المليء بطبقة سميكة من الشوكولاتة الذائبة. حاول أن تشرح هذا

وسيُدهشك عدد المطاعم التي لا تضع هذا الصَّنف بالتحديد على قائمتها. هكذا تضطرُّ بريت لإعداده بنفسها معظم الوقت، ما يستغرق نصف يومٍ في العادة، ثم تلعب به لمدَّة ساعة على الأقل على سجَّادة غرفة المعيشة، ولهذا السبب لا يزداد وزنها أبدًا. أما أمي فسعيدة جدًّا لرؤيتي أواعد من جديد.

ولا شيء يمكنك استنشاقه أو تدخينه سيجعلك تشعر بالنشوة نفسها التي ستنتابك وأنت تمشي في الشوارع وقد عانقَت يدك يد تلك السوبر مودل الفاتنة كحبيبتي بريت. الرجال الذين ينطلقون بسيَّاراتهم الفيراري، الرجال ذوو العضلات المفتولةِ التي اكتسبوها بتعاطي المنشِّطات– للمرَّة الأولى في حياتي هؤلاء لا يفوقونني في شيء. أسيرُ في الشوارع مع بريتني، الجائزة التي يحاول كلُّ رجلٍ الفوز بها.

الشيء الوحيد الذي يُنَغِّص سعادتي هو كل روميو يأتي ليتشمَّم الجو حولها كالكلاب، محاولًا الظَّفر بانتباهها ومتطلِّعًا إلى ثدييها بأفضل ابتسامةٍ لزجة لديه. حدث في تلك المرَّة، عندما كنا على متن الحافلة، أن اجتمع حشد من الروميوهات بالقُرب من مكان جلوس بريتني معي في المؤخَرة. تحبُّ بريت الجلوس فوق العجلة الخلفيَّة كي تلكمني في كتفي عندما تلمح قبلي سيَّارة ڤولكسڤاجن هنا أو هناك، ثم يأتي هذا الروميو الكبير ويقف لتتقاطع ساقيه عند مستوى نظرها بالتحديد، وعندما تصدم الحافلة بالوعة مفتوحة يحتكُّ فخذه بكتفها عدَّة مرات، إلى أن ترفع بريت عينيها إليه وتقول من بين أصابعها الموضوعة في فمها: «هاللو، بيج بوي». هذه هي بريتني: شخصيَّة

ودودة بطبيعتها. تغمز وتشير بأصابعها المبتلّة إلى روميو ليميل عليها، فينظر حوله ليتأكّد من أن ملامحه تُعَبِّر عن حظّه السعيد، وينحني هذا الروميو ليصبح عند مستوى عينيها وقد احتلّت وجهه ابتسامة غُرف النوم إياها. ولعلّها تحاول إثارة غيرتي فقط، لكن بريتني -بعينين خضراوين شديدتي الجاذبيّة- تقول: «هل تريد رؤية حيلة سحريّة؟». عندها ينتبه الروميوهات الآخَرون، ويعتدلون مبرهنين على أنهم كانوا يسترقون السمع طوال الوقت. تُخرِج بريتني أصابعها من فمها وتدسها في سروالها من الأمام وتُحَرِّكها من تحت الجينز الضيِّق، فيحلُّ الصَّمت التام على مؤخَرة الحافلة وهُم يراقبون أصابعها العابثة وراء سوستة السروال. يُمكنك أن ترى كلّ رومَيو وهو يبتلع لعابه وتفّاحة آدم تصعد وتهبط بكلّ ما في فمه من لعاب زائد، وترى عينيه الجاحظتين المعبِّرتين عن انتصابه القوي.

ثم تسحب بريتني بسرعة شيئًا من سروالها وتصرخ: «حيلة سحريّة!»، وتُلَوِّح بالشيء وتهتف: «مسرح العرائس!». في يدها يتدلّى شيء ما من خيط قصير، كرغيف من الخبز الإيطالي ملطّخ بالكاتشب، وتصرخ بريتني: «حيلة سحريّة! مسرح العرائس!»، وتصفع به وجه الروميو الذي كان لا يزال مائلًا عليها، وتجري بريتني وراءه وتُلَطِّخ معطفه الجلدي باللون الأحمر. الآن لا ينظر إليها الروميوهات الآخَرون. إنهم يرمقون أحذيتهم أو ينظرون خارج النافذة، لكنها تُلَوِّح بالشيء وتصفعهم على وجوههم وتصرخ: «حيلة سحريّة! مسرح العرائس!»، وتضحك ها ها ها ها، وتهتف: «حيلة سحريّة! مسرح العرائس!». الحافلة تُصدر صوت

الدينج-دينج-دينج للنازلين في المحطّة التالية فيزل منة راكب، وأهتفُ فيهم: «لا تخافوا!»، وألوِّح من نافذة الحافلة مناديًا عليهم: «إنها فنانة استعراضيَّة! إنها لا تقصد شرًّا! هذا مجرَّد تعبير عن موقف سياسي!». وتتحرَّك الحافلة بنا فقط على متنها، لكني أهتفُ: «إنها تحبُّ المرح فقط!». وتجري بريتي إلى السائق وتضربه على رأسه بذلك الشيء، وأهتفُ: «حاسَّة الدعابة لديها قويَّة!».

وأعودُ ذات ليلة من العمل لأجد بريت عاريةً أمام مرآة الحمَّام تضع راحتي يديها على بطنها. منذ التقينا على متن القطار كان وزنها قد ازداد قليلًا، لكنه ليس شيئًا لا يستطيع بعض الأناناس والخل إصلاحه. تجذب بريتي يدي وتفردها على بطنها قائلةً: «أعتقدُ أني أكلتُ طفلًا»، وتنظر إليَّ بعينيها الخضراوين كجرو صغير، وأسألها إن كانت تريدني أن أذهب معها إلى العيادة لإجهاض الجنين، فتهزُّ رأسها بالإيجاب وتقول نعم. هكذا نذهب يوم إجازتي من العمل، وهناك نجد التظاهُرة المعتادة لمناهضي الإجهاض، يحملون كيسًا بلاستيكيًّا مليئًا برؤوس وأذرُع دُمى الأطفال المكسورة الملطّخة بالكاتشب. لكن بريت لا تتردَّد، بل تمدُّ يدها داخل الكيس وتلتقط ذراعًا وتلعقه عن آخره كأنه قطعة من البطاطس المحمَّرة، وهذا هو مدى روعة صاحبتي.

أفتحُ عددًا من *National Geographic* بينما تسألها الممرِّضة إن كانت قد أكلت شيئًا اليوم، فتقول بريت إنها التهمت قاربًا كاملًا من المحاربين الهنود بالأمس، لكنها لم تأكل شيئًا اليوم، لا ولم أكن قد انتهيتُ من قراءة ذلك المقال عن المومياوات المصريَّة القديمة، عندما

تخرج بريتني عَدْوًا كأن المسألة شديدة الصعوبة، كأنها لم تُجرِ أيَّ عمليَّات إجهاض من قبل، لأنها ركضت حافية القدمين حتى شقَّتي، وكي أجعلها تتوقَّف عن الارتجاف والقيء طلبتُ منها الزواج.

ومن الواضح أن أصدقائي على وشك الإصابة بالجنون من فرط الغيرة، لأنهم أقاموا لي حفلة عزوبيَّة، وعندما تدخل بريتني الحمَّام مصابة بالاستياء لأن الشيف يرفض أن يحفر لها قارب الحرب، ينظر لي أصدقائي المزعومون ويقولون: «إنها فاتنة حقًّا، لكننا لا نظنُّ أنها مسطولة. إنك لم تتزوَّج منها بعد، أليس كذلك؟»، لكن وجوه أصدقائي الأعزاء تقول إن كون بريتني حاملًا خبرٌ طيِّب. وأنت تعرف هذا الإحساس: إنك تريد أن تحدث أُلفة بين أصدقائك وخطيبتك، لكن أصدقائي يضغطون على أسنانهم ويقولون بحواجبٍ معقودة: «هل خطر لك –مجرَّد خاطر– أن بريتني متخلِّفة عقليًّا؟».

فأقولُ لهم ألا يقلقوا. إنها مدمنة للكحول فقط. أنا متأكِّد كذلك من أنها تتعاطى الهروين، بالإضافة إلى إدمان الجنس ربما، لكن المشكلة يُمكن التغلُّب عليها ببعض العلاج النفسي لا أكثر. انظروا إليَّ. إنني بدين، وليس هناك أحد كامل. وبدلًا من إقامة حفل استقبال يوم الزفاف، ربما يُمكنني أن أجمع عائلتي وعائلتها معًا في قاعة المؤتمرات في الفندق ونُفاتحها في المشكلة، وبدلًا من شهر العسل من الممكن أن تدخل بريت برنامجًا علاجيًّا لمدة 90 يومًا. سوف نتغلَّب على هذه

الأزمة، لكن من المستحيل أن تكون متخلّفة عقليًّا. إنها بحاجة إلى بعض العلاج وإعادة التأهيل فحسب.

من الواضح أنهم يُسيئون الكلام عن بريتني لأنهم يشتهونها والغيرة تلتهمهم. بمجرَّد أن أبعد ناظريَّ تجدهم محتشدين حولها كالنمل، ويقولون لي: «لا تنظر الآن، لكنك ضاجعت فتاة متخلّفة عقليًّا يا صاح». هذا هو قَدري لديهم، وعليَّ أن أرضى بهؤلاء الأصدقاء المقزِّزين. يُصرُّون على أن عقل بريتني لم ينمُ عن سنِّ السادسة، ويقولون لي إنها لا تحبني لأنها لا تملك القُدرة على الحب أصلًا.

كأن السبب الوحيد الذي يدفع فتاةً للزواج مني أنها مصابة بخللٍ عقلي! وأقولُ لهم: «مستحيل أن تكون متخلّفة لأنها ترتدي ثونج وردي اللون!». ولا بد أنه حبٌّ حقيقي، لأنه كلما نمنا معًا أجدني أبلغ الذُّروة وأقذف بقوة شديدة تؤلمني. وكما قلتُ لصاحب أمي يوم عيد الشُّكر، إن بريتني ليست مصابة بأيِّ شيء. أفضل تخمين لديَّ أنها مدمنة للكحول، تشمُّ الكُلّة وتستنشق الهروين، لكننا نعمل على أن تتلقّى العلاج بمجرَّد أن تضع بنتينا. ولعلها مصابة بشبقٍ مَرَضي، لكن المهم أنها مصابتي أنا. هكذا يصاب أفراد عائلتي بالجنون من فرط الحسد، وأقول لهم: «أنا واقعٌ في حبِّ عاهرة جميلة مدمنة، فلمَ لا تشعرون بالسعادة من أجلي؟».

وبعد كلِّ هذا اللغو، ستجد أن العدد الذي حضر زفافي أقلُّ من المتوقّع بكثير...

ولعلّ الحب يجعلك متحيِّزًا، لكن رأيي كان دومًا أن بريتني ذكيَّة حقًّا. تعرف هذا الإحساس: عندما تُشاهدان التليفزيون معًا لعام كامل ولا تتجادلا أبدًا حول البرامج والقنوات. حقًّا، إذا عرفت كَمَّ التليفزيون الذي تُشاهده كلّ أسبوع، ستعرف أن زواجنا سعيد.

والآن لديَّ بنتان جميلتان رائحتهما كفطائر عيد الشُّكر، وعندما تكبران سأخبر طفلتيَّ أن الجميع يبدون على شيءٍ من الجنون عندما تنظر إليهم عن كثب، وإذا كنت لا تنظر إليهم عن كثبٍ فإنك لست تحبهم حقًّا. تدور عجلة الحياة طوال الوقت، وإذا ظللتَ تنتظر مجيء وليف الرُّوح المثالي فلن تعثر على الحب أبدًا، لأن مقدار حبك له هو ما يجعل هذا الشخص مثاليًّا.

ولعلّي أنا المتخلّف عقليًّا، لأني لا أنفكُّ أستيقظُ متوقّعًا أن تنفد هذه السعادة بدلًا من أن أستمتع بها. ببساطة، لا يُمكن أن يكون الوقوع في هذا الحب المجنون السعيد بهذه السهولة، ولا أتوقّعُ أن تدوم هذه السعادة الشاملة طوال حياتي، ولا بد من وجود علّة ما بي إذا كنتُ أحبُّ زوجتي إلى هذا الحد، لكني في الوقت الحاليّ أقودُ السيَّارة عائدًا بعائلتي الجديدة من المستشفى، زوجتي الجميلة إلى جواري وطفلتانا في المقعد الخلفي، وما زلتُ أحدِّثُ نفسي قَلقًا من أن سعادةً كهذه لا يُمكن أن تدوم أبدًا، عندما تلكمني بريتني في كتفي فجأةً وتصرخ: «يرقانة!»، فتفلت مني عجلة القيادة ونكاد نصدم واجهة المحل القريب.

طعامنا

نيل جايمان

قبل سنواتٍ قليلة اختفَت الحيوانات كلها بلا سابق إنذار.

استيقظنا من نومنا ذات صباحٍ لنجد أنها لم تَعُد هناك. لم تترك لنا الحيوانات رسالة وداع، لم تُلقِ التحيَّة قبل أن ترحل، ولم نعرف أبدًا أين ذهبت؛ ولقد افتقدناها.

ظنَّ بعضنا أنها نهاية العالم، لكنها لم تكن كذلك. فقط لم تَعُد هناك حيوانات على الكوكب، لا قطط أو أرانب، لا كلاب أو حيتان، لا أسماك في البحار، لا طيور في السماء.

كنا –البشر– وحدنا تمامًا.

ولم نعرف ماذا نفعل.

لفترةٍ شعرنا بالضياع، ثم نوَّه أحدهم إلى حقيقة أننا لسنا مضطرِّين لتغيير حياتنا لمجرَّد أن الحيوانات لم تَعُد موجودة، وليس هناك ما يدعو لتبديل نظامنا الغذائي والتوقُّف عن تناول المنتجات التي تضرُّنا.

ما زال لدينا الرُّضَّع.

والرُّضَّع لا يتكلَّمون، بالكاد يتحرَّكون، وليسوا كائناتٍ عاقلة مفكِّرة.

وهكذا بدأنا في إنجابهم.

واستهلاكهم.

بعضهم أكلناه بالطبع، فلحم الرُّضَّع غضٌّ ليِّن.

وسلخنا الجلد وزيَّنا به أنفسنا، فجلد الرُّضَّع ناعمٌ مريح.

وبعضهم اختبرناه.

كنا نفتح العيون ونلصقها ونُقَطِّر فيها مواد التنظيف والصابون، قطرةً قطرةً.

أدميناهم وأحرقناهم وسفعناهم، لجَّمناهم وزرعنا شرائح إلكترونيَّة في أمخاخهم، لحَمنا وجمَّدنا وأطلقنا الإشعاع.

تنفس الرُّضَّع أدخنتنا، وجرت مخدِّراتنا وأدويتنا في عروقهم حتى كفُّوا عن التنفُّس أو كفَّ الدم عن السريان.

كان هذا صعبًا طبعًا، لكن ضروري.

لا أحد يُمكنه أن يُنكر هذا، فما الذي كان بوسعنا أن نفعله بعد رحيل الحيوانات؟

اعترض البعض بالطبع، لكن هناك من يعترض دائمًا على كلّ شيء.

وعاد كلُّ شيءٍ إلى طبيعته.

إلى أن...

اختفى الرُّضَّع كلهم يوم أمس.

لا ندري أين ذهبوا، لكنهم فجأةً لم يعودوا هناك.

ولا ندري ماذا سنفعل من دونهم.

لكننا سنُفكّر في شيءٍ ما. البشر أذكياء، وهذا ما يجعلنا أعلى من الحيوانات والرُّضَّع.

حتمًا سوف نتوصّل إلى شيء.

بَعد...

رون كولنز

فقط بَعد أن تقضي حياتك كلها في التدريبات (مضحيًا بساعات المرح مع الأصدقاء في نهاية كلّ أسبوع ومشاهَدة مباريات كرة القدم، وتسهر من أجل دراسة أنظمة التحكُّم والديناميكا الحراريَّة، ثم قوائم عمليَّات الإطلاق وفيزياء إعادة دخول الغلاف الجوي، وآلاف الأشياء الأخرى التي يحشون رأسك بها)؛ بَعد أن تكتشف أن المشكلة كلها سبَّبها عُطل ميكانيكي بسيط (مفتاح ربط أسود لم يُصَمَّم ليَسقُط في ميكانيزم غُرفة معادلة الضغط، لكنه يسقط مع ذلك)؛ بَعد أن تجد نفسك خارج السفينة تُشاهد رفاقك المحمومين يُجرِّبون كلّ ما ضحُّوا بساعات المرح مع الأصدقاء في نهاية كلّ أسبوع ومشاهَدة مباريات كرة القدم وسهروا في سبيل دراسته (ثم يُجرِّبون مئات الأشياء الأخرى غير المذكورة في كُتيِّبات التعليمات

وبرامج الكومبيوتر)؛ بَعد أن تُدرِك أنهم لا يستطيعون التفكير في أي حلول، فتقطع الحبل الذي يربطك بالسفينة كي لا تُسبب لهم المزيد من الألم، وتبدأ في الدوران في الفضاء السرمدي لساعات، لأيام، لأسابيع، بينما تفرغ شُحنة بطّارية بذلتك بالتدريج؛ فقط بَعد كلّ هذا العمل والجهد والمعاناة تتطلّع بمخّك -الذي بدأ يعاني من نقْص الأوكسجين- إلى كون شديد العُمق متخَم بالنجوم والمجرّات والكواكب والأقمار وآلاف الأجرام الأخرى التي لا تستطيع تخيُّلها حتى؛ فقط بَعد كلّ هذا ستجد نفسك تُتَمتم: «كم أنت جميلٌ حقًّا».

رسالة الإمبراطور

كافكا

تقولُ الحكاية إن الإمبراطور قد بعث رسالةً إليك أنت، أيها المواطن الوضيع، الظّل التافه المنكمش على نفسه في أنأى بُقعة تحت الشّمس الإمبراطوريَّة، إليك وحدك بعث الإمبراطور رسالةً منْ على فِراش الموت. أمر الإمبراطور رسوله بأن يركع إلى جوار فراشه، وهمس له بالرسالة مُشَدِّدًا على فحواها، قبل أن يَأمُر الرسول بأن يُعيدها همسًا على مسامعه، ثم يَهُزَّ رأسه علامة الرِّضا. نعم، أمام الذين تجمَّعوا ليتفرَّجوا على موته (وقد هُدمَت جميع الأسوار التي تعيق الأنظار، وعلى السلالم الشامخة المفتوحة وقفَ أمراء الإمبراطوريَّة العظام في حلقة)، أمام كلّ هؤلاء أدلى الإمبراطور برسالته. وفي الحال ينطلق الرسول –وهو رجلٌ قويٌّ لا يعرف الكلل– في رحلته، يدفع بيُمناه ويدفع بيُسراه، ويَشُقُّ سبيلًا لنفسه عَبر الجموع. إذا واجه

مقاوَمةً يُشير إلى صدره حيث يتألّق شعار الشَّمس، فيصير الطريق أسهل عليه من أيّ رجلٍ آخَر في مكانه. لكن الحشود كبيرة كبيرة، والأعداد ممتدَّةٌ بلا نهاية. يا لها من سرعة تلك التي سيُحَلِّق بها إذا استطاع بلوغ الحقول المفتوحة، ولا شكَّ أنك سرعان ما ستسمع دَقّات قبضتيه المرغوبة على بابك، لكنه بدلًا من هذا يُبَدِّد قواه عبثًا، وما زال حتى الآن يُحاول شَقَّ طريقه عَبر غُرف القصر الأوغل دون أن ينتهي منها أبدًا، فإذا نجحَ في ذلك فما زال لن يُحرِز أيَّ تقدُّم، إذ لم يزل عليه أن يُكافِح ليترل السلالم، فإذا نجح في ذلك فما زال لن يُحرِز أيَّ تقدُّم، فلم يزل عليه أن يقطع الأفنية، وبَعد الأفنية هناك القصر الخارجي الثاني، ثم المزيد من السلالم والأفنية، ثم قصرًا آخَر، وهكذا على مرِّ آلاف السِّنين. وإذا نجحَ أخيرًا في أن يندفع من البوَّابة الخارجيَّة بَعد كلِّ هذا –وهو ما لن يَحدُث أبدًا أبدًا– ستظلُّ العاصمة الإمبراطوريَّة، مركز العالم، أمامه مكتظَّةً حتى حدود الانفجار برُسابَتها. لا أحد يستطيع الخروج من هنا، حتى وهو يحمل رسالةً من رجلٍ ميت، لكنك ما زلت تجلس عند نافذتك عندما يأتي المساء وتَحلُم بأن يأتي هذا اليوم.

أسماء الله التسعة بلايين

آرثر كلارك

قال د. واجنر محاولًا إخفاء دهشته قَدر الإمكان: «طلبٌ غير معتاد فعلًا. إنها المرَّة الأولى التي يُطلَب فيها منا إرسال كومبيوتر للمتتاليات العدديَّة إلى دَيْرٍ في التبت. لا أرغبُ في أن أبدو فظًّا، لكني أتساءَلُ عن سبب احتياج جماعتكم لآلةٍ من هذا النوع، فهلَّا شرَحت لي ما تنتوون عمله بها؟».

أجاب اللاما وهو يضع مفكِّرته جانبًا بحرص: «بكلِّ سرور. الكومبيوتر الذي صنعتموه، مارك 5 هذا، يُمكنه عرض جميع المتتاليات العدديَّة التقليديَّة حتى عشر خانات، لكن ما نحن مهتمُّون به حقًّا هو الحروف لا الأرقام، ولهذا السَّبب نريد منكم تعديل الآلة، بحيث تطبع قوائم من الكلمات وليس الأعداد».

– «لا أعتقدُ أني أفهمك».

– «العمل الذي نقوم به استغرقَ منا القرون الثلاثة الأخيرة، منذ بداية إنشاء الدَّيْر في الحقيقة. ما سأخبرك به سيكون غريبًا بعض الشيء على طريقتكم في التفكير، لكنني آملُ أن تُصغي إليه بعقلٍ متفتِّح».

– «هذا مفروغ منه».

– «السبب بسيط جدًّا في الحقيقة. إننا نعمل على قائمةٍ تَضُمُّ جميع الأسماء المحتمَلة لله!».

كان للإجابة وَقْعٌ صادم على د. واجنر الذي اتَّسعت عيناه عن آخرهما، بينما تابعَ اللاما بهدوء: «لدينا أسباب تدعونا للاعتقاد بأن كلًّا من هذه الأسماء من الممكن أن يُكتَب بما لا يزيد عن تسعة أحرُف من الأبجديَّة التي ابتكرناها».

– «وتفعلون هذا منذ ثلاثة قرون؟».

– «نعم. حساباتنا قالت إن الانتهاء من القائمة سيستغرق منا خمسة عشر ألف عام».

قال د. واجنر ببُطء: «أوه، نعم، فهمتُ الآن لمَ تحتاجون الكومبيوتر. لكن ما الغرض من هذه القائمة أصلًا؟».

تردَّد اللاما لحظةً، فتساءَل د. واجنر إن كان السؤال قد أثار استياءه، لكن الإجابة جاءت بالتهذيب نفسه وطريقة الكلام البطيئة ذاتها كما من قبل: «إنها جزء مهم جدًّا من عقيدتنا. إن جميع الأسماء

المعروفة للخالق الأعظم –سواء عند المسيحيين أو المسلمين أو اليهود أو غيرهم– هي أسماء بلُغاتٍ بشريَّة. ثَمَّة مشاكل معيَّنة في هذه الأفكار، لكن لا مجال للكلام عنها هنا. إننا نؤمن بأنه في مكانٍ ما بين جميع الترتيبات المحتمَلة للحروف تَكمُن الأسماء الحقيقيَّة لله. هكذا نحسب جميع الترتيبات المحتمَلة لحروف الأبجديَّة لنصنع قائمةً كاملةً بها».

– «فهمتُ. بدأتم إذن بالمصفوفة AAAAAAA وهكذا حتى تنتهون بـZZZZZZZ».

– «بالضبط، لكن الأبجديَّة التي نستخدمها خاصَّة بنا أخشى أن شَرْحَ جميع التفاصيل سيستغرق وقتًا طويلًا جدًّا لأنك لا تعرف لُغتنا».

سارعَ د. واجنر يقول: «بالتأكيد»

– «من حُسن الحظِّ أنه سيكون من السهل جدًّا إجراء التعديلات اللازمة على المارك 5 كي يقوم بهذا العمل ويطبع لنا الأسماء، وبدلًا من خمسة عشر ألف عام، ستكون القائمة قد اكتملت خلال مئة يومٍ فقط».

كانت أصوات شوارع نيويورك تَبلُغ مسامع د. واجنر في مكتبه الواقع في طابقٍ عالٍ، لكنه شعر كأنه في عالمٍ آخَر. هؤلاء الرُّهبان ظلُّوا يعملون بصبرٍ يومًا وراء يومٍ في جبالهم الموحشة البعيدة على

قوائمٍ من كلمات بلا معنى. أما من حَدٍّ لحماقة البشر؟ لكن لا يجب أن يبدو ما يُفَكِّر فيه على وجهه، فالعميل دائمًا على حق.

قال د. واجنر: «ليست هناك مشكلة في تعديل المارك 5 لطباعة هذا النوع من القوائم، لكن ما يُقلقني حقًّا هو التأكُّد من أن الكومبيوتر سليم ويعمل كما ينبغي عندما يصلكم. تعرف أن إدخال أيِّ شيءٍ إلى التبت في هذه الأيام ليس سهلًا».

«سنعمل على هذه الترتيبات. مكوِّنات الكومبيوتر صغيرة ويُمكن نقلها بالطيران. يُمكننا استلامها في الهند إذا استطعتم إرسالها إلى هناك».

– «وتريدون اثنين من مهندسينا؟».

– «نعم، طوال الشهور الثلاثة التي سيستغرقها العمل».

دوَّن د. واجنر الملاحَظة ليُذَكِّر نفسه بها، ثم قال: «لا مشكلة. هناك شيئان آخران...

قبل أن يتمَّ عبارته وجد اللاما يُناوِله قطعةً من الورق قائلًا: «هذا من بنكنا، ويحمل توقيع المدير كما ترى».

قال د. واجنر ناظرًا إلى الرقم على الشيك: «هذا... كاف تمامًا. السؤال الثاني قد يبدو غريبًا نوعًا، لكن أحيانًا ما نغفل عن الأشياء البسيطة. هل لديكم كهرباء؟».

– «نعم، لقد أحضرنا آلاتٍ لتوليد الكهرباء منذ خمسة أعوام تقريبًا، وتعمل بكفاءةٍ تامَّة. الكهرباء جعلت الحياة في الدَّيْر أكثر

راحةً بكثير، لكن السبب الرئيس لشرائها بالطبع كان وجود محرِّكات لتشغيل عجلات الصلاة».

– «عجلات الصلاة، بالطبع. لماذا لم أفكّر في هذا؟».

***

في البدء كان المنظر الذي يطلُّ عليه الدَّيْر يخطف الأنفاس حقًّا، لكن المرء يعتاد كلَّ شيءٍ حتى الملل إذا ما طال الوقت. بعد مرور ثلاثة أشهُرٍ كاملة، لم يَعُد جورج هانلي يُلاحظ الهاوية التي يَبلُغ عُمقها سبعمئة متر وتَفغُر فاها في الوادي عند السَّفح. كان واقفًا عند الصخور التي نعَّمَتها الرياح التي شُكِّل منها السور الواطئ المحيطُ بالمبنى الرئيس، ويَرمُق الجبال البعيدة بتعاسة، مُفَكِّرًا أنه لم يملك قَطُّ اهتمامًا يكفي لأن يتعلّم أسماءها.

قال جورج لنفسه إن هذا العمل هو أكثر شيءٍ مجنون حدثَ له على الإطلاق. منذ أسابيع والمارك 5 يطبع أوراقًا ملأى بكلامٍ فارغ. بصبرٍ لا تملكه إلا الآلات، وبلا نهاية، ظلَّ الكومبيوتر يعيد ترتيب مصفوفات الحروف بجميع الطُّرق الممكنة، وكلما خرجَت أفراخ الورق من الطابعات أخذَ الرُّهبان يَقُصُّونها بعنايةٍ ويضعونها في مجلّدات عملاقة. حمدًا لله أن هذا لن يستمر لأكثر من أسبوعٍ واحدٍ من الآن. كان جورج يجهل لمَ قرَّر الرُّهبان أنه ليس من الضروري تجربة متتالية حروف من إحدى عشرة خانة أو أكثر، لكن أسوأ مخاوفه أن يطرأ تغيير ما على الجدول الزمني المتَّفَق عليه، وأن يقول اللاما الأكبر

(الذي أطلقَ عليه وزميله تشاك اسم سام، لأنه أسهل من اسمه الحقيقي) فجأةً إن العمل سيستمرُّ حتى سنة 2060 مثلًا.

سمع جورج صوت الباب الخشبي الثقيل يُفتَح مع خروج تشاك لينضم إليه عند السور. كالعادة، كان تشاك يُدَخِّن واحدةً من سجائره التي جعلته يروق جدًّا للرُّهبان الذين يجنحون للاستمتاع بمُتَعِ الحياة المتواضعة، وهذا شيءٌ يستحقُّ الامتنان بطبيعة الحال. من المؤكَّد أنهم مجانين، لكن هذا لا يحول بينهم وبين الاستمتاع بوقتهم في الآن ذاته.

قال تشاك: «اسمع، هناك شيء ما عرفته سيؤدِّي إلى مشكلةٍ كبيرة».

– «ماذا حدث؟ هل هناك خلل في الكومبيوتر؟».

كان هذا أسوأ احتمال يُمكن أن يتخيَّله جورج. قد تتأجَّل عودته، وليس هناك ما هو ألعن من هذا. وجدَ نفسه يتمنَّى بيأسٍ أن يعود إلى وطنه أخيرًا.

جلس تشاك على السُّور المُنخَفض، الأمر غير المعتاد لأنه كان مرعوبًا دائمًا من الهاوية أسفله، وقال: «ليس شيئًا من هذا. اسمع، لقد عرفتُ السَّبب وراء كلِّ ما يفعلونه».

– «ماذا تعني؟ حسبتنا نعرف بالفعل».

– «نعرف ما يحاول الرُّهبان فعله، لكننا لا نعرف الدافع، والدافع يا صديقي مجنون فعلًا...

غمغم چورچ بسخط: «قُل لي شيئًا لا أعرفه».

لكن سام العجوز أخبرَني بالسَّبب منذ قليل. لقد بدأ يَشعُر بالحماسة مؤخَّرًا مع اقترابنا من الانتهاء من القائمة. إنهم يؤمنون بأنهم إذا سردوا أسماء الله جميعًا -وهُم يعتقدون أن لديه تسعة بلايين اسم- فإن غرض الله من خَلْقِ العالم سينتهي. لن يعود هناك المزيد مما يُمكن أن يفعله البشر، ولن يعود هناك سبب لاستمرارهم».

- «وماذا ينتظرون منا؟ أن ننتحر جميعًا؟».

- «يقول إنه ليست هناك حاجة إلى ذلك. عندما تنتهي القائمة، سيتدخَّل الله بنفسه ويُنهي كلّ شيء، بانج!».

- «فهمتُ. إذن سينتهي العالم مع انتهائنا من العمل».

أطلقَ تشاك ضحكة عصبيَّة قصيرة، وقال: «هذا ما قلته لسام بالضبط، فهل تعرف ماذا حدث؟ لقد نظر لي بطريقةٍ غريبةٍ تمامًا، وقال: ليس الأمر بهذه البساطة التي تحسبها».

أطرق چورچ مفكِّرًا قليلًا، ثم قال: «هذا ما أُطلق عليه اسم النَّظر إلى الصورة الشاملة. لكن ماذا تقترح أن نفعل؟ لا أرى أن هذا يصنع فارقًا بالنسبة لنا. إننا نعرف من البداية أنهم مخبولون».

- «نعم، لكن ألا ترى ما قد يَحدُث؟ عندما تنتهي القائمة ولا ينتهي العالم -أو أيًّا كان ما يتوقَّعونه- فقد نجد نفسينا في ورطة. إنهم يستخدمون كومپيوترنا نحن. هذا لا يروق لي على الإطلاق».

قال چورچ ببطء: «أعرفُ ما تعنيه. لكن أشياء شبيهة حدثَت كثيرًا من قبل. في طفولتي في لويزيانا كان هناك قسٌّ قال إن العالم سينتهي يوم الأحد القادم، وصدَّقه المئات، ومنهم من باعَ بيته وأملاكه. لكن عندما لم يَحدُث شيء، لم يَشعُروا بالغضب كما لك أن تتوقّع، بل قرَّروا فقط أن التوقيت كان خطأ، واستمرُّوا على إيمانهم».

– «لسنا في لويزيانا إذا كنت لم تُلاحظ. إننا اثنان فقط وهناك المئات منهم. إنني أُحبُّهم، وأشعرُ بالأسف من أجل سام المسكين عندما يكتشف أن عمل عمره كان من أجل لا شيء، لكني ما زلتُ أتمنَّى أن نكون في مكانٍ آخَر غير هنا».

– «أنا نفسي أتمنَّى هذا منذ أسابيع، لكن ليس بوسعنا شيء حتى ينتهي العمل وتأتي الطائرة لتحملنا».

قال تشاك مفكِّرًا: «من الممكن دائمًا التلاعُب بالكومپيوتر».

– «انسَ! سوف يزيد هذا الأمور سوءًا».

– «لا أعني تعطيله. سوف ينتهي من عمله بعد أربعة أيام من الآن، والطائرة ستأتي بعد أسبوع. حسن، كل ما علينا فعله هو أن نجد مشكلة صغيرة أثناء الفحص الروتيني. سنُصلحها بالَطبع، لكن ليس بسرعة. إذا حسبنا الوقت جيدًا، سنكون في المطار مع خروج آخر اسمٍ من الطابعة، ولن يلحقوا بنا عندها».

قال چورچ: «لا يروق لي هذا كثيرًا. ستكون أول مرَّة أتخلَّى فيها عن عمل، وقد تتابهم الرِّيبة فينا. لا، لننتظر ونرى ما سيَحدُث».

***

– «وما زال لا يروق لي»، قالها بعد سبعة أيام والحصانان الجبليَّان القويَّان يحملانهما على الطريق المنحدر. «ولا تحسب أني هربتُ لأني خائف. إنني أشعرُ بالأسف فقط على هؤلاء المساكين، ولا أريدُ أن أكون حاضرًا عندما يكتشفون مدى حماقتهم. أتساءَلُ كيف سيكون شعور سام».

قال تشاك: «عندما ودَّعته راودَني إحساس بأنه يعرف أننا سنهرب منهم، لكنه لم يبالِ لأنه يعرف أن الكومبيوتر يعمل بكفاءة، وأنه سينتهي من عمله عمَّا قريب. وبعد ذلك... ليس هناك "بعد ذلك" بالنِّسبة له على ما أعتقد».

التفتَ جورج رامقًا الطريق الجبلي المرتفِع. كانت هذه آخر بُقعة يُمكنك أن تُلقي منها نظرةً واضحةً على الدَّيْر في الأعلى، مبانيه المربَّعة الصغيرة مُظْلمَةٌ تحت سماء المساء، وفي بعض النوافذ ترى الأنوار مشتعلةً. تساءَل عما سيَحدُث عندما تنتهي القائمة. هل سيُحَطِّم الرُّهبان الكومبيوتر من فرط الغضب وخيبة الأمل؟ هل سيجلسون ويُفكِّرون في المشكلة بهدوء؟

كان يعرف ما يَحدُث هناك في الأعلى في هذه اللحظة بالذَّات. كان اللاما الأعظم يجلس مع مساعديه يُطالعون أفراخ الورق الطويلة التي يحملها الرُّهبان الأصغر سنًّا من الطابعات ويضعونها في المجلَّدات. لم يَكُن هناك أحد يتكلَّم، والصوت الوحيد في المكان كان صوت الطابعات الصَّاخب اللانهائي، بينما يقوم الكومبيوتر نفسه بعمله بصمت.

خطرَ لچورچ أن ثلاثة شهور من هذا الروتين كفيلة بإثارة جنون أيِّ أحد.

هتفَ تشاك فجأةً وهو يتطلّع نحو الوادي: «ها هي ذي! أليس منظرًا جميلًا؟».

كان المنظر جميلًا بالفعل في رأي چورچ. الطائرة الصغيرة كانت رابضةً في طرف المطار الصغير كصليبٍ فضّي، وخلال ساعتين ستحملهما في رحلة العودة إلى العالم الحقيقي، العالم المنطقي، وهذه فكرة مريحة للغاية.

يَحلُّ الليل سريعًا في جبال الهيمالايا، والظُّلمة كانت قد هبطت بالفعل.

لحُسن الحظ كان الطريق بلا عوائق أو أخطار، لكن الجو بارد جدًّا. السماء صافية تمامًا والنجوم لامعة، ولا مشاكل هنالك في الإقلاع لأن الجو صحو.

بدأ يُغَنّي، لكنه توقّف بعد قليل عندما وجدَ صوته شيئًا ضئيلًا ضائعًا بين هذه الجبال العظيمة الصّامتة التي تلتمع كالأشباح على كلّ جانب. استمرَّت الرحلة بهدوء، ثم ألقى چورچ نظرةً على ساعته، وقال ناظرًا إلى تشاك من وراء كتفه: «سنصل خلال ساعة».

ثم تذكّر شيئًا وأضاف: «أتساءَلُ إن كان الكومبيوتر قد انتهى من القائمة».

لم يُجب تشاك، فأدار رأسه ناظرًا إليه، ليرى الشحوب الذي كسى وجهه وهو يرفع رأسه إلى السماء.

همس تشاك: «انظر».

ورفعَ چورچ رأسه بدوره.

(ثمَّة مرَّة أخيرة لكلِّ شيء).

كانت النجوم، ودون أيِّ جلبة، تنطفئ واحدًا تلو الآخر.

ڤينسنت

تيم برتون

ڤينسنت مالوي في السابعة من العُمر
مُهذَّب طوال الوقت، يفعل كما يُقَال له
وبالنِّسبة لولدٍ في عُمره، فهو لطيفٌ رقيق المشاعر
لكنه لا يريد غير أن يكون مثل ڤينسنت پرايس.

لا يُمانِع ڤينسنت العَيْش مع أخته، ومع الكلب والقطط
رغم أنه يُفَضِّل أن يَسكُن بيتًا مليئًا بالعناكب والوطاويط
فهناك سيتسنَّى له التأمُّل في الرُّعب الذي اخترعه

ويهيم في دهاليزٍ مُظلمة، وحيدًا في عذابه.

يكون ڤينسنت لطيفًا عندما تأتي خالته لزيارته
لكنه يتخيَّل إغراقها في الشَّمع
من أجل مُتحَف الشَّمع الذي أقامه.

يُحبُّ ڤينسنت إجراء التجارب على كلبه آبركرومبي
على أمل أن يُحَوِّله إلى زومبي
كي يخرج مع كلبه الزومبي المخيف
ليبحثا عن ضحيَّةٍ في ضباب لندن الكثيف.

على أن أفكاره لا تدور حول الجرائم الشنعاء فقط
فهو يُحبُّ القراءة أحيانًا، على سبيل تمضية الوقت
وبينما يقرأ الأطفال الآخرون كُتُبًا مثل "جُو چين، جُو!"
فإن مؤلَّفه المُفَضَّل هو إدجار آلان پو.

ذات ليلةٍ، وهو يقرأ حكايةً تثير الفزع
جاءت عينه على فقرةٍ جمَّدت دمه من الهلع

خبرٌ رهيبٌ يفوق الاحتمال:
زوجته الجميلة دُفنَت وهي على قيد الحياة!
ذهبَ ڤينسنت ونبش قبرها ليتيقّن من موتها
دون أن يدري أن –في هذه البُقعة– كانت أُمُّه تزرع زهورها.

أمرَته أُمُّه بالذهاب إلى حجرته
فعلم إنه نُفِي إلى بُرج الهلاك
حيث حُكم عليه أن يقضي ما تبقّى من حياته
وحيدًا مع صورة زوجته الجميلة.

كان مترويًا يتملّكه الجنون في تلك المقبرة
عندما اندفعَت أُمُّه دالفةً إلى الحجرة وقالت:
«إن أرَدت، يُمكنك أن تَخرُج وتلعب
الشَّمس مُشرِقة في الخارج، واليوم جميل».
حاوَل ڤينسنت أن ينطق، لكنه لم يقو على الكلام
فسنين العُزلة الطويلة أصابته بالوَهَن
وهكذا، التقطَ ورقةً وكتب بالقلم:
«هذا البيت يَسكُنني، وليس في مقدوري الرحيل».

فقالت أُمُّه: «لستَ مسكونًا، ولا نصف ميت
تلك الألعاب كلها ليست إلّا في رأسك أنت
أنت لست ڤينسنت پرايس، أنت ڤينسنت مالوي
أنت لست معذّبًا أو مجنونًا، أنت مجرّد صبي
عمرك سبعة أعوام، وأنا أُمُّك
وأريدك أن تَخرُج، وتستمتع بوقتك».

•

أفرغَت الأُمُّ شُحنة الغضب، وخرجَت إلى الرُّواق
وبينما تراجعَ ڤينسنت ليلتصق بالجدار
بدأت الغُرفة تنتفخ، ترتجف، وتتشقّق
لقد بلغ جنونه الذُّروة
رأى آبركرومبي، عبده الزومبي
وسمعَ زوجته تُناديه من وراء القبر
تكلّمت من قلب التّابوت، وطالبَته بأشياء مريعة
بينما –من صدوع الجدران– خرجت أيادٍ عظميَّة.

كلُّ رُعبٍ رآه في حياته زحفَ عليه من أحلامه القاتلات
وأحالَ ضحكاته المخبولة إلى صرخات!

وكي يهرب من هذا الجنون، هُرِعَ ڤينسنت إلى الباب

لكنه سقطَ على الأرض بلا حراكٍ، بلا حياة

وكان صوته ضعيفًا وهو يُرَدِّد ما قيل في "الغُراب" لإدجار آلان بو:

«وروحي الخارجة من هذا الظِّلّ

الذي يطفو فوق الأرض

ألن تُرفَع هي الأُخرى... أبدًا؟».

ذكرى

هـ. پ. لافكرافت

القمر الذّميم يُلقي ضوءًا ضعيفًا شاحبًا على وادي نيس، مُستخدمًا قرنين واهنين ليُمَزِّق طريقًا له عبر الأوراق المميتة لأشجار الأوباس الضخمة، وفي أعماق الوادي –التي لا يَبلُغها الضوء أبدًا– تتحرَّك أشياء ليس من الحري بأيِّ عين أن تلمحها. كريهة رائحة الكَلَأ الذي يفترش كلَّ منحدَر، حيث تنسلُّ فروع الكرمة الشرِّيرة والنباتات المتسلّقة بين خرائب القصور العتيقة، وتتشابك بقوَّة حول الأعمدة المكسورة والتكوينات الغريبة، ثم تنتشر على أرصفة من الرخام مَدَّها أيادٍ منسيَّة. على الأشجار التي نمت في قلب السَّاحات البالية تتقافز قِرَدة صغيرة، وفي داخل خزائن الكنوز العميقة وخارجها تتلوَّى أفاعٍ سامَّة وكائنات حَرْشَفيَّة ليس لها اسم. ضخمة الحجارة

التي تنام تحت غطاء من الطحالب الرَّطبة، وعظيمة كانت الجدران التي سقطَت منها، والآن يتَّخذ العلجوم الرمادي من باطنها سَكَنًا.

في قاع الوادي يجري نهر اسمه ثان، مياهه لزجة قذرة مليئة بالحشائش، من منابعٍ خفيَّة يخرج وإلى كهوف حالكة يجري، لكن حتى شيطان الوادي لا يدري سبب كون مياهه حمراء ولا أين يَصُبُّها.

وحدَّث الجني الذي يسكن أشعَّة القمر شيطان الوادي سائلًا: «إنني عجوز وكثير النسيان، فاحك لي عن مآثر وسيماء وأسماء أولئك الذين شيَّدوا تلك الأحجار».

فأجاب الشيطان قائلًا: «أنا الذِّكرى، حافظ معارف الماضي، لكني أيضًا عجوز. كانت تلك المخلوقات تمامًا كمياه ثان، لا يُمكن فهمها أبدًا. مآثرهم لا أذكرها لأنها كانت مآثر زمانهم وحده، سيماؤهم أذكرها بصعوبة لكنها لم تختلف كثيرًا عن تلك القرَدة على الأشجار، أمَّا أسماؤهم فأذكرها بوضوح، لأنها كانت على وزن النهر ثان... مخلوقات الأمس تلك كان اسمها الإنسان».

ثم حلَّق الجني عائدًا إلى القمر الباهت ذي القرنين، بينما ظلَّ الشيطان يُحدِّق بثبات في قردٍ صغير أخذ يتواثَب على شجرةٍ نمت في قلب واحدةٍ من السَّاحات البالية.

الليَّلة 1001

آلكس شفارتسمان

سوف تكون هذه آخرِ حكاياتي لك يا مولاي السُّلطان، فألتمسُ منك أن تُصغي لها وتستمتع بها، وأن تحفظ وعدك بالسماح لي بالانتهاء منها كاملةً دون مقاطعة، حتى والشمس ترتفع من وراء الكثبان في الشرق والجلّاد يشحذ سَيفه متململًا. لقد قصصتُ عليك ألف قصَّة، حكاياتٍ عن بُسُطٍ طائرةٍ وجانٍ في زجاجات، عن بحَّارةٍ شجعان ووزراءٍ مخادِعين، عن السِّحرِ والأساطير وكلّ ما يقبع وراءَ حدود الواقع. لَكن هذه القصَّة الأخيرة تحكي عن امرأةٍ شابَّة تقليديَّة، امرأة لفتت نظر سُلطانها واستطاعَت أن تظلّ بعد ليلةَ زفافهما حيَّة، ثم بعدها لألف ليلةٍ أخرى، بلا أي سحرٍ في جُعبتها أو سلاح، بل بخيالها وحده. في البَدء خلبت حكاياتها لُبَّ السُّلطان الذي ظلّ راغبًا

في المزيد، لكنها مع مرور السنين وجدَت أن الملل قد بدأ يتسرَّب إليه ويتمكّن منه ولم يَعُد توّاقًا إلى سماعها كما كان. لكن لأنه حاكم عادل كريم، فإنه سمح لها بإنهاء حكايتها الأخيرة قبل أن يطير عُنقها (والكلُّ يعلم أن كلمة السُّلطان من ذهب)، وهكذا كتمت المسكينة دموعها وأخذت نفسًا عميقًا وبدأت حكايتها: سوف تكون هذه آخرِ حكاياتي لك يا مولاي السُّلطان، فألتمسُ منك أن تُصغي لها وتستمتع بها، وأن تحفظ وعدك بالسماح لي بالانتهاء منها كاملةً دون مقاطعة...

دعم سلبي

تشاك پولانك

كانت أودري من المنبوذين جنسيًّا، جاريةً تستعبدها النَّغمات اللاتينيَّة، وليدة جراحةٍ قيصريَّة في السبعينات، نَمرةً ضاريةً حبيسةً في الحرِّ الخانق على متن الحافلة رقم 14 المتجِّهة إلى بونتديل.

وها هي الآن تجلس وراءك للمرَّة الثالثة هذا الشهر. من غير الممكن أن تكون هذه مصادفةً. إنها هنا لسببٍ ما، ولا بُدَّ أنها تشمُّ رائحة خوفك كما تفعل الكلاب.

هي ليست مجرَّد فتاة بيضاء أخرى ذات شَعْرٍ تالف، هي أفعى تتخلَّص من الجلد الميتِ في شكل فُستانٍ أسودَ قصير بلا حمَّالات مصنوع من الإيلاستين. من السمَّاعتين الموضوعتين على أذنيها تتدفَّق أغاني بوب مارلي، ولديها تلك الطريقة المتأنية البسيطة التي تجعل بها

حافه الفستان تنحسر عن ساقيها ... ي ... العام
بنفسها، من دون حاجة إلى حقوق المرأة ... التمييز الإيجابي مع الأقليّات أو مُعَطِّرٍ للأنفاس. إنها مسطولة وحرّة وتملك أسنانها كلها، وهو ما يجب أن تعتبره تحذيرًا.

لا يُمكنك أن تراها لأنك لا تملك الشّجاعة الكافية لأن تلتفت خلفك وتُلقي نظرةً، لكنك تعرف أنها تجلس مرتكنةً بظهرها إلى جدار الحافلة المعدني الدافئ وقد رفعَت ساقيها على المقعد المجاور لها. هي لا تحبُّ نور النهار كثيرًا، وليس من المحبَّب أبدًا أن تراها وهي ترتدي الألوان. في النهار هي صورة بالأبيض والأسود يبدو عليها القدَم كدُميةِ لُمغنٍّ مساعد في ڤيديو كليب لفرقة هيڤي ميتال تخلّص منها أحدهم في القمامة، وليلًا هي صورة ضوئيَّة من الجيل الرابع وقد دبَّت فيها الحركة، لكنها لن تحيا بما يكفي لأن تصل إلى عُمر الصُّور ذات اللون البنِّي الداكن.

تعرف يقينًا -كما لو أنك في حُلم- أن اسمها أودري، لكنك لا تعرف السَّبب، ربما لأن الاسم يُذَكِّرك بكلمةٍ تُرادف "البهرجة الرخيصة" تعرف أن أغسطس هو الوقت المفضَّل لها من العام، عندما يأتي في أغسطس. إنها تحبُّ الشتاء عندما يأتي في الشتاء، والربيع عندما يأتي في الربيع، ويُمكنها التعامل مع أيٍّ شيء.

تتمنّى أن تنزل من الحافلة قبل أن تتجاوز وسط البلد لأنك لا تستطيع الالتفات، لكنك تريد إلقاء نظرةٍ أخرى عليها سوف ينكسر قلبك إذا واصلَت طريقها معك إلى الضواحي وهدوئها.

إن لديها لكنة بريطانيَّة، أو لعلها تتشدَّق باللهجة الجنوبيَّة، ويُمكنها أن تتكلَّم وفمها مليء بدُخَّان السجائر

تعرف أنها قتلت أباها وأمها لاعتدائهما الجسدي عليها، وإذا كانا حيَّيْن فقد تبرَّأت منهما لأنهما من البليونيرات. ليس هناك من هي مسؤولة أمامه، ولم تحصل على درجات عالية في الدراسة، ولا تملك رخصةً لمزاوَلة التجميل، وليس هناك سرير بمظلة تكدسَّت عليه دُمى الحيوانات ينتظرها عندما تصل إلى وجهتها. لا تحاول أودري أن تفقد بعض الوزن أو تُقلع عن التدخين أو تُحَسن حياتَها وتجعل لنفسها قيمةً ما في هذا العالم، ولو ذكرتَ لها هذا لقالت: «إنني في أفضل حال، ولطالما كنتُ كذلك. إذا كنت لا ترى هذا، فالمشكلة مشكلتك».

هي لا تملك سيَّارة، وإذا كانت تملك واحدةً فإنها بلا تأمين. ليس لها مسار مهني معيَّن بل مجرَّد وظيفة، ولو سألتها عنها فلن تُخبرك. تُعَرِّف نفسها بأنها غير قابلة للتعريف، ولا تعمل أو تدرس كي تصبح واحدةً أخرى غير نفسها. لن تصبح ممثلةً، ولا تثير إعجابها حقيقة أنك مستشار مالي. إذا حاولتَ أن تُخبرها عن مشكلة بشرتك الجافَّة المزمنة فستريك الالتهاب الذي أصابها من جرَّاء محاولة إزالة وشمها الرديء بمُبَيِّض الغسيل الساخن.

كلما توقَّفت الحافلة تجد نفسك تنظر من النافذة لترى إن كانت قد نزلت من الباب الخلفي. حتى إذا التقيتَ بها فعلًا، فلن تتزوَّج أودري منك أبدًا، لكنها ستُوافق في الغالب على أن تتواعدا. ستسبُّ

أصدقاءك ويسبُّك أصدقاؤها لا مناص، تمامًا كما ينجذب العُث للّهب، وستفقد السيطرة.

ستكرهها أمك.

ستأخذها إلى بيت والديك لتناوُل العَشاء، وستُدَخِّن أودري السجائر دون فلتر وهي تأكل، هذا إذا أكلَت. سترفع طبقها وتنظر إليه كمصَّاص دماءٍ يبحث عن انعكاسٍ لن يجده وتقول بسخرية: «والداك رائعان».

ستبتسم أمك بارتباك وهي تحاول أن تأخذ ما قيل على محمل المجاملة، لكن أودري لن تعرض المشاركة في رفع الأطباق عن المائدة، وستقرأ أفكارك كأنها ساحرة.

ستقول بلهجةٍ آمرة: «ساعد أمك. سيعطيكما هذا فرصة للكلام عني في المطبخ».

ستقول أمك بعتابٍ وأنتما تغسلان الأطباق: «هناك من هنَّ أفضل منها بكثير».

وستجيب كاذبًا: «إنها رائعة حقًّا».

في غُرفة الطعام سيُبَلِّع أبوك كلماته المهذَّبة بالماء بينما ترمقه أودري دون أن تطرف عيناها وقد اتسع البؤبؤان، وستضحك فجأةً في لحظاتٍ غير ملائمة بينما يحكي عن تجربته في حرب كوريا، ثم ستميل إلى الأمام لتُريه النَّدَبَ الذي خلَّفه مرض جلدي قديم بين ثدييها، وعندها سيقول بضعف: «لطالما عانيتُ أنا نفسي من الأكياس الدُّهنيَّة».

وأخيرًا، بعد شهورٍ من تلك الليلة، بعد أن قطعَ والداك كلَّ صلة لهما بك وفقدت وظيفتك، ستُدرك حجم بؤسك. عندما تُلَمِّح بأنك ستتركها، لن تُهَدِّد بقتل نفسها بل بقتلك أنت. لا أحد يترك أودري، مفهوم؟ وعندما تخرج من الحمَّام لن تجدها، وإن كنت ستجد سكينًا مغروسًا حتى المقبض في جانبك من الفراش، وفي اليوم التالي ستجد كلَّ شيءٍ تملكه في مقلب القمامة.

ثَمَّة شيء ما يدقُّ على ظهر مقعدك في الحافلة.

تتحرَّك في مكانك بتوتُّر مع خاطر أنها تحاول الآن بالفعل أن تطعنك عبر الوسادة المصنوعة من المطاط الإسفنجي، وهناك ستظل جالسًا معتدلًا وقد خوزقك النصل المعدني السميك كما لو في حُلم عالم حشرات. سترمق عيناك الفراغ، وسيحسب الجميع أنك مدمن لمخدِّرٍ ما. سيُثَبِّتك النصل في مكانك لساعاتٍ قبل أن يدرك أحدهم أخيرًا أنك ميت.

لعلَّ الحافلة مرَّت على مطبٍّ فحسب...

ولعلَّ سيَّارة ما صدمت الحافلة...

– «أنت...»، يقول الصوت بإصرار مع دقةٍ أخرى.

– «أنت!»، يأتي الصوت مرتفعًا أكثر هذه المرَّة دون أن ينتظر إجابة.

– «أغلق نافذتك».

تُرَدِّد اعتذارًا وأنت تُغلق النافذة، ويقول الصوت شكرًا بكآبةٍ، فتلتفت لتُكَرِّر الاعتذار.

هذه هي اللحظة السحريَّة التي سوف تُغَيِّر حياتكما إلى الأبد. هي تبدو كأودري، نعم. تضع كثيرًا من الماكياج كأنها كانت في شجار، وعيناها تبدوان كمطفأتيْ سجائر متَّسختين.

تقول هي حانقةً: «في شَعري چل بثلاثة دولارات كاملة، والهواء سيُفسده».

وترفع يدها لتعيد تسوية خصلات استثمارها، وتلاحظ أنت الشَّعر الأسود الكثيف تحت إبطها وأنت تحبس أنفاسك منتظرًا أن يزلق الفستان الأسود عن ساقيها إلى خصرها.

– «أودري؟».

يصدر منها تعبير مستنكر وعيناها ترتفعان إلى أعلى كأنها تنظر بهما عبر مخّها وهي تُعيد ترتيب شَعرها. تبدو مثل زومبي يرتدي ملابس النساء، ثم إنك تلاحظ لمعة مزيل العرق على شَعر إبطها.

– «هل اسمك أودري؟».

تجيب بأسنانٍ صفراء مائلة إلى جانبٍ واحد كأحجار الدومينو: «لا، اسمي شيلا».

تقول وأنت تلتفت بعيدًا عنها: «آسف، حسبتُ للحظةٍ أني أعرفك».

تذكرة اللوتري

أنطون تشيكوف

كان إيڤان ديميتريش رجلًا من الطّبقة المتوسِّطة، يعيش مع عائلته على دخلٍ سنويٍّ متواضع، ويشعر بالرِّضا التام عن نصيبه في الحياة. في تلك الليلة جلس إيڤان على الأريكة بعد أن تناولَ العشاء وشرعَ في قراءة الجريدة، فقالت له زوجته وهي ترفع الأطباق عن المائدة: «نسيت الاطّلاع على الجريدة اليوم. هل نشروا أرقام التذاكر الفائزة؟».

قال إيڤان: «نعم. لكن ألم تنته مدَّة تذكرتك أصلًا؟».

– «لا، لقد اشتريتها يوم الثلاثاء».

– «ما الرقم إذن؟».

– «المجموعة 9499، رقم 26».

– «حسن، لنر... 9499 و26».

لم يكن إيڤان ديميتريش يؤمن بحظّ اللوتري، وكقاعدة يتّبعها دائمًا لم يكن ليُفكّر في تفقُّد أرقام تذاكر اللوتري الفائزة أصلًا، لولا أنه لم يكن لديه شيء آخَر يفعله الآن، وأن الجريدة كانت بين يديه بالفعل. هكذا مرَّر إصبعه إلى أسفل على عمود الأرقام، وكأن الأقدار في تلك اللحظة كانت تسخر من تشاؤمه وتشكُّكه، وجد الرقم 9499 ينتظره في الصَّف الثاني! لم يُصَدِّق إيڤان عينيه، فترك الجريدة تسقط في حجره دون أن يحاول النظر إلى رقم التذكرة الفائزة. شعر إيڤان كأن أحدًا أفرغ على رأسه دلوًا من الماء البارد، وأحسَّ بقشعريرةٍ تسري في فم معدته، قشعريرة واخزة شديدة، وحُلوة!

بصوتٍ أجوفٍ قال: «ماشا، الرقم 9499 هنا!».

رفعت زوجته عينيها إلى وجهه المذهول فأدركت أنه لا يمزح، وسقط منها مفرش المائدة المطوي وهي تسأله بوجه شاحب: «9499؟ متأكّد؟».

– «نعم، نعم. إنه هنا حقًّا».

– «ورقم التذكرة؟».

– «نعم! ها هو رقم التذكرة أيضًا. لكن... مهلًا لا، لا أدري! لكن رقم المجموعة موجود. هل تفهمين ما...

منح إيقان زوجته ابتسامة بلهاء واسعة، كطفلٍ تتدلّى أمامه ميدالية مفاتيح لامعة، وبادلته زوجته الابتسام بدورها، إذ كانت هي أيضًا تشعر بالسُّرور لمجرَّد أنه ذكرَ رقم المجموعة فقط دون أن يحاول معرفة رقم التذكرة الرابحة.

عندما تُعَذّب نفسك وتُشَهِّي نفسك بأحلام الثروة المحتمَلة التي ستنزل عليك، فإنك تجد نوعًا غير مألوفٍ من الإثارة يُفعمك.

ثم قال إيقان بعد صمت طال: «إنها مجموعتنا لا شك، لذا فهناك احتمال أننا فزنا فعلًا. إنه مجرَّد احتمال، لكنه أكثر من لا شيء».

– «انظر إذن!».

– «تمهَّلي. لدينا الكثير من الوقت لنصاب بالإحباط. الرقم موجود في الصَّف الثاني من أعلى، أي أن الجائزة خمسة وسبعون ألفًا. هذه ليست مجرَّد نقود، بل سُلطة، رأس مال! بعد قليل سألقي نظرةً على القائمة، وهناك سأجده، رقم 126! هه؟ لكن ماذا لو فُزنا حقًّا؟».

بدأ الزوج وزوجته يضحكان مُحَدِّقين في بعضهما البعض بصمت. لقد أربكهما احتمال الفوز. كلاهما لم يستطِع أن يقول –أو يحلم حتى– فيم سيُنفق الخمسة وسبعين ألفًا، ما الذي سيشتريه بها، إلى أين سيذهب. كلاهما فكّر فقط في الرقمين 9499 و75000 متصوِّرًا إياهما في خياله، بينما لم يستطيعا بشكلٍ ما التفكير في السعادة التي باتت ممكنةً الآن.

أخذ إيڤان ديميتريش يذرع الغُرفة من ركنٍ إلى ركنٍ حاملًا الجريدة في يده، ثم إنه بدأ يحلم قليلًا بعد أن تعافى من الصدمة الأولى. وأخيرًا تكلّم وقال: «إذا فزنا حقًّا ستختلف الحياة تمامًا. سيكون تحوُّلًا بكلّ معنى للكلمة! التذكرة ملكك أنت، لكن لو كانت ملكي، فأول ما سأفعله بالطبع هو أن أنفق خمسة وعشرين ألفًا على ملْك حقيقي، عزبة مثلًا. ثم أنفق عشرة آلاف على المصروفات الضروريّة: أثاث جديد وسفر ورحلات وتسديد الديون وما إلى ذلك، أما الباقي فيوضع في البنك ونعيش على فائدته».

قالت زوجته وهي تجلس واضعةً يديها في حجرها: «نعم، عزبة. سيكون هذا جميلًا».

– «عزبة في مكان ما في تولا أو أوريول. لن نحتاج هناك إلى ڤيلا نقضي فيها الصيف، كما أن العزبة ستدرُّ علينا دخلًا كذلك».

وتزاحمت الصُّور في مخيِّلته، كلُّ صورة منها باسمة واعدة أكثر من سابقتها. في كلّ هذه الصُّور رأى إيڤان نفسه يأكل حتى يشبع، هادئًا، مفعمًا بالصحّة، شاعرًا بالدِّفء، بل بالحرارة! هناك، بعد أن يحتسي حساءً صيفيًّا باردًا كالثّلج، سيستلقي على الرمال الساخنة بالقُرب من نهيرٍ صغير، أو في الحديقة تحت شجرة ليمون. الجو ساخن. ابنه وابنته يلعبان على مقربة منه، يحفران في الرمال أو يطاردان الخنافس المرقّطة بين الحشائش. يغيب في غفوة لذيذة دون أن يُفكّر في شيءٍ أو يشعر بالحاجة إلى الذهاب إلى العمل اليوم أو غدًا أو بعد غد. إذا سئم الاستلقاء، سيذهب للتمشية في حقل القَش، أو لقَطف حبَّات

الفطر في الغابة، أو لمشاهَدة الفلّاحين وهُم يصطادون الأسماك. عندما تغرب الشمس سيمشي الهوينى إلى سقيفة الاستحمام، حيث سيخلع ملابسه دون أن يخشى عينًا فضوليَّة، ثم يُمسِّد صدره العاري بيديه قبل أن ينزل إلى حوض الاستحمام. في الماء، بالقُرب من دوائر الصابون، تتقافز الأسماك الصغيرة هنا وهناك، وتومئ الطحالب له محيية. بعد الاستحمام سيجد قدحًا ساخنًا من الشاي بالحليب وفطائر القشدة الطّازجة في انتظاره، وعندما يأتي المساء سيتبادل الزيارات مع الجيران.

– «نعم، سيكون من الجميل أن نشتري عزبة»، قالت زوجته التي كانت تحلم بدورها، وقد نضحت ملامحها بالأفكار الخلابة التي تراودها الآن.

تخيَّل إيقان الخريف وأمطاره ولياليه الباردة، وتخيَّل الصيف في سانت مارتن. في هذا الفصل سيقضي وقتًا أطول في التمشية في الحديقة وعلى ضفّة النهر، ثم يجرع كأسًا كبيرة من القودكا يتبعها بحبَّة من الفطر المملّح أو الخيار المخلّل، ثم كأسٍ أخرى. سيأتي الطفلان جريًا من حديقة المطبخ الصغيرة يحملان ثمار الجزر أو اللفت ذات رائحة التُّربة الطازجة، وبعدها سيتمدَّد على الأريكة متصفِّحًا واحدةً من المجلّات المصوَّرة، أو يُغطّي وجهه بها ويستسلم لنومٍ عميق.

لكن صيف سانت مارتن يتبعه شتاءٌ كئيب لا تكفُّ فيه الأمطار عن الهطول ليل نهار، شتاءٌ تبكي فيه الأشجار العارية وتعوي فيه الرياح الباردة. ستبتلُّ الكلاب والجياد والدواجن وتشعر بالبؤس.

ليس هناك مكان يُمكنه أن يتمشّى فيه دون أن يُلَوِّثه الوحل، ولا يُمكنه الخروج من البيت لأيامٍ طويلة. سوف يظلُّ في الغرفة وراء النافذة متطلّعًا إلى الجو الغائم بالخارج، فيا للكآبة!

كفَّ إيڤان عن الأحلام، وتطلّع إلى زوجته مغمغمًا: «يجب أن أغادر البلاد يا ماشا!».

ثم بدأ يُفكّر كم سيكون من الرائع أن يرتحل في أواخر الخريف إلى مكانٍ آخَر، جنوب فرنسا، إيطاليا، الهند.

قالت زوجته: «يجب أن أغادر البلاد معك إذن. لكن انظر إلى الرقم».

– «انتظري! انتظري!».

أخذ يتحرّك في الغُرفة من جديد مفكّرًا. ماذا لو غادرت زوجته البلاد فعلًا؟ لكن من الجميل أن يسافر وحده، أليس كذلك؟ لا في صحبة امرأة لا تفعل شيئًا إلا الثرثرة عن أطفالها طوال الطريق، ثم تتنهَّد وترتجف مع كلّ مليمٍ يُنفقه. تخيَّل إيڤان ديميتريش زوجته في عربة القطار حاملةً أطنانًا من اللفائف والسِّلال والحقائب. لا بُدَّ أنها ستجد شيئًا تشكو منه طوال الوقت. ستشكو من حركة القطار التي أصابتها بالصُّداع، أو من أنها أنفقت نقودًا أكثر من اللازم. في كلّ محطّةٍ يتوقّف فيها القطار سيهرع لإحضار الماء الساخن والخبز والزبد، وسترفض هي تناوُل العشاء لأن ثمنه سيكون غاليًا في رأيها.

– «ستُوَبِّخني على كلّ مليمٍ أنفقه!».

ورمق زوجته قائلًا لنفسه. «تذكرة اللوتري ملكها وليست ملكي أنا لكن ما الفائدة من مغادرتها البلاد أصلًا؟ ما الذي ستجده في الخارج؟ ستجلس في الفندق طوال اليوم ولن تدعني أغيب عن نظرها هذا مؤكّد!».

وللمرَّة الأولى في حياته بدأ يدرك أن زوجته صارت عجوزًا قبيحة، وأنها مُشَبَّعة حتى النُّخاع برائحة الطبيخ، بينما لا يزال هو شابًّا قويًّا في كامل صحَّته ويُمكنه أن يتزوَّج من أخرى.

– «بالطبع كلُّ هذا مجرَّد كلام فارغ... لكن لماذا تغادر هي البلاد فعلًا؟ ما الذي ستستفيد به؟ لكنها ستفعلها على أيِّ حال، فكلُّ الأماكن متساوية بالنسبة لها، سواء كانت نيس أو ناپولي. إنها لن تفعل شيئًا إلا أن تعوق طريقي، وستجعلني أعتمد عليها في كلِّ شيء. سوف تخفي النقود بمجرَّد أن تحصل عليها، وستعتني بذويها خير عناية وتلومني إذا أنفقتُ مليمًا واحدًا».

وبدأ إيڤان ديميتريش يُفَكِّر في ذوي زوجته، في كلِّ هؤلاء الإخوة والأخوات والأقارب الحقراء الذين سيحتشدون حولها كالذُّباب فور أن يبلغهم خبر فوزها باللوتري. سيأتون شاكين متباكين كالشحَّاذين يتملَّقونها بابتساماتهم اللزجة. الأوغاد! وإذا أعطياهم شيئًا فسيطلبون المزيد طبعًا، وإذا رفضا إعطاءهم سيشرعون في صبِّ السباب واللعنات عليهما.

ثم فكَّر إيڤان في ذويه، هؤلاء الذين لم يُعرهم كثيرًا من الاهتمام في الماضي، فبدت وجوههم له الآن قبيحةً كريهةً.

– «الأفاعي!».

وبدا وجه زوجته له أيضًا قبيحًا كريهًا الآن، وشعر بالغضب يشتعل في قلبه نحوها، وقال لنفسه: «هي لا تعرف شيئًا عن المال، كما أنها بخيلة أصلًا. حتى إذا فازت، فلن تُعطيني إلا أقل القليل، ثم تخبئ الباقي تحت الأرض».

لم يَعُد ينظر إلى زوجته مبتسمًا الآن، بل باتت نظراته تحمل الكراهية، وكانت نرمقه هي الأخرى بالنظرة ذاتها. هي أيضًا غائبة في أحلام اليقظة والخطط والتأمُّلات، وتعرف تمامًا ما يُفكِّر فيه زوجها. كانت تعرف أنه سيكون أول من يحاول الاستحواذ على النقود. عيناها تقولان بوضوح إنك من السهل جدًّا أن تستغرق في أحلام اليقظة على حساب الآخَرين، لكن إياك أن تجرؤ على الدنوِّ من مالي!

وفهم إيڤان مغزى نظراتها بدوره، وبدأ الغضب يتحرَّك في صدره مرَّةً أخرى، فقرَّر أن ينظر إلى رقم التذكرة الرابحة، و... بنبرةٍ عاليةٍ ظافرة قال: «المجموعة 9499، الرقم 46، لا 126!».

في لحظة تلاشت الكراهية والآمال، وفي لحظة أدرك الاثنان أن هذا البيتَ مظلم جدًّا، صغير جدًّا، بارد جدًّا، أن العشاء الذي تناولاه منذ قليل لا يمنحهما أيَّ تغذيةٍ، وإنما يُثقل معدتيهما لا أكثر، أن لياليهما طويلة مُتعبة.

بتعاسة قال إيڤان: «وما الفائدة؟ أينما خطوتُ أجدُ تحت قدميَّ ورقًا ممزَّقًا وغبارًا وقشرًا. هل تكنسين هذه الأرض أبدًا؟ يجب أن أخرج من هنا. فلتحل اللعنة بروحي! سأذهبُ وأشنقُ نفسي من أقرب شجرة!».

رسائل من الباطن

أ. ت. جرينبلات

أميرتي، أتمنَّى أن تجدك هذه الرسالة في روحٍ معنويَّة مرتفعة وصحَّة طيِّبة، وآملُ أن تسامحيني على الحالة السيئة التي ستجدين عليها الرسالة (فالظلام دامس هنا كما تعلمين)، وأعتذرُ بشدَّة على الطريقة الـ... آه... الغير سارَّة التي سوف تصلك بها، لكن من المهم جدًّا أن أبلغك أن الخطَّة لم تمضِ كما كان متوقَّعًا لها، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أنني استخففتُ بالوحش، لأني كنتُ قد توقَّعتُ تمامًا أن تكون له أنياب قاطعة (وإن كنتُ لا أفهم لمَ يحتاج أيُّ مخلوقٍ أربعة صفوفٍ كاملة من الأنياب!)، وتوقَّعتُ أن تكون له حراشفُ صلبة وأنفاسٌ من نار (قيل عنها إنها تذيب اللحم عن العظام، على أني أعتبرُ هذا مبالغةً كبيرة)، لكني تفاجأتُ بأصابعه القويَّة التي انتزعني بها

وابتلعني في أعماقه. لكن لا تحزني يا عزيزتي، فأنت نفسك تعرفين مدى ضخامة هذا الوحش، ولهذا أجدني أتوسَّل إليك الآن أن تمدِّي لي يد العون في محنتي هذه، سواء قرَّرت حَمْل السلاح ومواجهته باسم حُبِّنا، أو –على الأقل– نجحت في التحايُل على سجَّاني الرهيب وجعله يبتلع مشعلًا أو مشكاة، فمع أن صورة وجهك الملائكي لا تُفارِقني وتُهَوِّن عليَّ سجني، فإنني لا أمانعُ في وجود بعض النور ها هنا من أجل بصري المسكين، كي أستطيع التمتُّع بالنظر إليك عندما نلتقي في المرَّة القادمة بعد أن أخرج من هذه البئر العميقة. أرجو منك يا عزيزتي أن يبقى تفكيرك فيَّ مليئًا بالحُبِّ والإخلاص (فكم من الفرسان حاول إنقاذك من قبلي ونجح في بلوغ المدى الذي بلغته؟)، وأن تعلمي أنني سأظلُّ دائمًا فارسك الشُّجاع الوفي (حتى وقد انتفخ جسدي وسرى فيه العفن).

لا تسأل چاك

نيل جايمان

لَمْ يعرف أحد من أين جاءت اللُّعبة التي يبدو أنها كانت ملكًا لجَدٍّ قديم أو عمَّةٍ بعيدة قبل أن توضَع في غُرفة الأطفال.

كانت علبةً خشبيَّةً منقوشةً ومطليَّةً باللونين الذَّهبي والأحمر، جذَّابة الشكل لا شَك، وذات قيمة عالية –أو أن هذا ما خمَّنه الكبار– ولربما تكون أثريَّةً كذلك. كان المزلاج موصدًا وقد علاه الصَّدأ للأسف، والمفتاح ضائعًا، لذلك لم يكن من الممكن إطلاق چاك (العفريت) من العلبة، ومع ذلك لم يُنكِر أحد أن العلبة جميلة بالفعل، ثقيلة ومزيَّنة بالنقوش ومُذَهَّبة.

لم يكن الأطفال يلعبون بچاك، بل ظَلّ قابعًا في قاع صندوق اللُّعَب الخشبي القديم، الذي كان في نفس حجم وعُمر صناديق الكنوز في زمن القراصنة، أو هذا ما حسبه الأطفال. هكذا، تحت الدُّمى والقطارات، وتحت المهرِّجين والنجوم الورقيَّة والألعاب السحريَّة القديمة وعرائس الماريونيت العرجاء التي تشابكَت خيوطها على نحوٍ يستحيل فكُّه، وتحت الملابس التَّنَكُّريَّة (أسمال فُستان زفاف عتيق هنا، قبَّعة حريريَّة سوداء بالية هناك)، وتحت المجوهرات البلاستكيَّة والحلقات والأحصنة والمسدَّسات المكسورة، كان چاك عفريت العلبة حبيسًا.

لم يكن الأطفال يلعبون به، بل يتهامَسون فيما بينهم عندما تجمعهم عزلة العلِّيَّة. في الأيام الكئيبة، عندما تعوي الرِّيح حول البيت وتَنقُر قطرات المطر على ألواح السَّقف وترتطم بأفاريز النوافذ، يجلس الأطفال ويتحاكون فيما بينهم عن چاك الذي لم تسبق لهم رؤيته قَطُّ. ادَّعى أحدهم أن چاك ساحر شرير حُبِس في العلَّبَّة عقابًا على جرائم أشنع من أن تُذكَر، وقالت أخرى (وأنا واثقٌ من أنها كانت واحدةً من البنات) إن علبة چاك هي في الحقيقة صندوق پاندورا الذي وُضِعَ هنا لمنع الشرور التي تملأه من الخروج إلى العالم مرَّةً أخرى.

تجنَّب الأطفال لمس العلبة قَدر المستطاع، على الرغم من أن أحد الكبار كان أحيانًا ما يُعَلِّق على غياب عفريت العلبة الطَّريف، ثم يرفعه من صندوق اللُّعَب ويضعه في موضع شرفٍ على رَفِّ المدفأة،

فيستجمع الأطفال شجاعتهم ويُخفونه في ظلام قاع الصندوق من جديد.

لم يكن الأطفال يلعبون بعفريت العلبة، وعندما كبروا وغادَروا البيت أُغلقَت العلّيَّة وكاد النسيان يطويها تمامًا.

كاد النسيان يطويها، لكن ليس بالكامل، فكلٌّ من الأطفال -على حدَة- بدأ يتذكّر مشيه وحيدًا في ضوء القمر الأزرق حافي القدمين صاعدًا إلى العلّيَّة. يتذكّر الأطفال الذين كبروا الآن أن الأمر كان يُشبه المشي أثناء النوم، بلا وقع لخطوات الأقدام على درجات السلالم الخشبيَّة والسجَّادة الرَّثّة. يتذكّر كلٌّ من الأطفال الذين كبروا الآن فتحه لصندوق اللُّعَب وتنقيبه بين الدُّمى والملابس حتى يصل إلى علبة جاك فيُخرِجها.

ثم يَمَسُّ الطِّفل المزلاج، فينفتح بهدوء وعلى مهلٍ كأنه غروب الشمس، ثم تبدأ الموسيقى ويَخرُج جاك. لا يَخرُج قافزًا مُنْدَفعًا من الداخل كما هو مُفترَض، فهو لم يكن من ذلك النوع من عفاريت العلبة، وإنما بتأنٍّ وتصميم، ويُشير إلى الطِّفل بأن يدنو أكثر فأكثر وقد علَت وجهه ابتسامة.

وفي ضوء القمر يحكي جاك للأطفال عن أشياء لم يتمكّنوا من نسيانها تمامًا، ولا من تذكُّرها تمامًا.

ماتَ أكبر الأطفال في الحرب العالميَّة الأولى، بينما ورث أصغرهم البيت بعد وفاة والديهم، رغم أنه لم يحتفظ به كثيرًا، إذ أُخذَ منه بعد أن وجدوه ذات ليلة في القبو ومعه قطعة من القُماش وكيروسين وثقاب، يُحاول إحراق البيت عن آخره. ثم دخل الطِّفل الأصغر مصحَّة عقليَّة، ولعلَّه لا يزال هناك حتى الآن.

رفضَت البقيَّة -البنات اللاتي أصبحنَ سيدات الآن- أن يَعُدنَ إلى البيت الذي كبرنَ فيه، وهكذا تَمَّ إغلاق النوافذ بألواح الخشب، والأبواب بمزاليج حديديَّة ضخمة، وبعدها بدأت الأخوات في زيارة البيت بنفس قَدر زيارتهنَّ لقبر أخيهنَّ الأكبر أو الشيء التعيس المسكين الذي كان أخاهنَّ الأصغر؛ أي أنهنَّ لم يَزُرنَ هذا أو ذاك أو ذلك أبدًا.

مَرَّت السنون، وصارت الفتيات نساءً هَرِمات، وأقامَ البوم والخفافيش لأنفسهم أعشاشًا في العلِّيَّة القديمة، وبنَت الفئران لنفسها جحورًا بين اللُّعَب المنسيَّة.

تَرمُق تلك المخلوقات ورق الحائط الباهت بلا اهتمام، وتُلَوِّث بقايا السجَّاد بفضلاتها.

وفي أعماق العلبة القابعة في أعماق الصندوق يقبع جاك مبتسمًا، محتفظًا بأسراره، منتظرًا الأطفال، إلى الأبد.

پوسايدون

كافكا

جلس پوسايدون إله البحار إلى مكتبه يُراجع التقارير والحسابات، فإدارة جميع المسطّحات المائية في العالم تجعل عمله بلا نهاية. كان يُمكن أن يحظى بالعدد الذي يريده من المساعدين، وبالفعل كان مساعدوه كثيرين، لكنه كان يأخذ وظيفته هذه بمنتهى الجديَّة، وبالتالي أصرَّ على مراجَعة كلِّ شيءٍ مرَّةً أخرى بنفسه، ما جعل مساعدَة مساعديه له محدودة القيمة.

لا يُمكن القول بأن پوسايدون كان يستمتع بعمله، بل كان يمارسه فقط لمجرَّد أنه مُكلَّف به. الحقيقة أنه سبق له أن قدَّم عديدًا من الطلبات لممارسة وظائف أخرى اعتبرها أقلَّ كآبةً من وظيفته الحالية، لكن على الرغم من كلِّ الاقتراحات الكثيرة التي وُضعَت أمامه، فإنه لم يجد بينها ما يناسبه مثل وظيفة إله البحار. لا حاجة للقول إن العثور

على وظيفة أخرى له كان صعبا للغاية، فليس من الممكن مثلًا أن يتولّى مسؤولية محيط واحد فقط، فبعيدًا عن حقيقة أنه في تلك الحالة لن يكون العمل أقل –بل أكثر تفاهة فقط– فإن پوسايدون العظيم لا يمكنه إلا احتلال وظيفة أعلى مرتبة وأكثر شمولًا.

عندما عُرضَت على پوسايدون وظيفة لا علاقة لها بالمياه على الإطلاق، وجد أن مجرَّد الفكرة قد أصابه بالغثيان، وبدأ يشعر بأنفاسه تضيق، وأخذ صدره يعلو ويهبط بسرعة. الحقيقة أن لا أحد كان يأخذ متاعبه تلك على محمل الجد، لكن عندما يجأر أحد العظماء بالشكوى، فلا بُدَّ أن يتظاهَروا بالإذعان مهما بدت الحالة يائسة. هكذا لم يكن أحدهم يُفَكِّر في إعفاء پوسايدون من منصبه حقًّا، إذ كان قَدره أن يصير إله البحار منذ عصورٍ سحيقة، وهكذا لا بُدَّ أن يظلّ.

أكثر ما كان يُشعره بالضيق على الإطلاق –وهذا هو السَّبب الرئيس لعدم شعوره بالقناعة بعمله– هو معرفته بالشائعات التي تدور حوله، كأن يُقال مثلًا إنه يجوب بين الأمواج طوال الوقت برمحه الثلاثي، في حين أنه في الواقع يجلس ها هنا في أعمق أعماق المحيط يراجع كلَّ شيء بلا نهاية، ودون أن يكسر هذه الوتيرة المنتظمة سوى رحلاته القليلة إلى زيوس، التي يعود منها في كلِّ مرَّة مصابًا بعصبيَّة شديدة. النتيجة أنه كان يرى المحيطات فعلًا بالكادِ أثناء صعودهِ السريع إلى جبل الأوليمپ، كما أنه لم يُبحر فيها قَطُّ أصلًا.

كان يقول إنه يؤجِّل هذا حتى تحل نهاية العالم، فحينها قد تأتي لحظة هادئة– قبل النهاية مباشرةً وبعد مراجَعة جميع التقارير– يستطيع فيها أن يأخذ جولةً سريعةً أخيرًا.

ثلاث قصص قصيرة جدًّا

جورج كارلن

-1-

القبَّعة المخمليَّة

كانت تضع على رأسها قبَّعة مخمليَّة، وبدأت تنزل السلالم ببطء، كأن كلّ درجة تنزلها بمثابة إنجاز عظيم. كانت ذراعها -المثنيَّة بقوَّة عند المرفق- تُثَبِّت حقيبتها الصغيرة إلى جانبها. كان سطح الدرجات القليلة المتبقية مُشَقَّقًا وغير مستوٍ، فمدَّت ذراعها النحيلة لتُمسك بالسُّور الحديدي... وفي تلك اللحظة، اندفع رجل نحوها، ودَسَّ علبة كاملة من حلوى النعناع في فمها.

-2-

هو ليس مارثا ستيوارت

كان ڤيني قد اعتصر من مؤخِّرته ثلاثة جيصات دافئة شنيعة خرج معها بعضٌ من سوائل البطن، والآن كان يحاول بكلِّ قوَّته أن يُخرِج من أنفه كتلةً ضخمةً من المخاط الصُّلب أحسَّ أنها تناهز جنينًا مكتملًا في الحجم. تجاهَل بقايا خراء الكلب المتجمِّدة تحت أظفاره منذ أسابيعٍ طويلة، ومَدَّ يده في عُمق حَلْقه ليُخرِج طعامًا نصف مهضوم، ثم ابتلعه من جديد، وواصل شواء أقراص الهامبرجر للأطفال في المطعم.

-3-

توابل

وقف الرجل ذو القبَّعة الصوفيَّة الخشنة عند شجرة، يُكوِّر كتلةً من المخاط نصف الصَّلب بين سبابته وإبهامه. وبعد لحظات، وكان المخاط قد جَفَّ تمامًا، مشى متهاديًا نحو مقهى اصطفَّت مقاعده وموائده على الرصيف، وقذف الكتلة دون أن يراه أحد في كأس الليمونادة الموضوعة أمام فتاةٍ شابَّة.

فضيحة في بوهيميا

آرثر كونان دويل

الفصل الأول

في وجدان شرلوك هولمز دائمًا ما ستظلُّ هي "المرأة"، إذ لم أسمعه يأتي على ذكرها بأيِّ اسمٍ آخَر إلا في مرّاتٍ نادرة. في عينيه كانت تحجب بقيَّة بنات جِنسها وتسمو عنهنَّ مُجتمعات. ليست المسألة أن شرلوك شعر بأيِّ نوعٍ من الحُبِّ نحو أيرين آدلر، فلطالما كانت المشاعر بشكلٍ عام –والحُبُّ على الأخص– شيئًا ينفُر منه عقله البارد الدَّقيق والمتوازن في الآن ذاته على نحوٍ يثير الإعجاب.

أجسُر على القول إن هولمز كان أكمل آلة استنتاجٍ وملاحَظة عرفها العالم، بينما لا يستطيع التصرُّف كشخصٍ واقعٍ في الحُبِّ على الإطلاق. لم يكن يتكلَّم أبدًا عن العواطف الرقيقة إلا وقد صاحَبَت

كلامه السُّخرية. إنها أشياء تثير الإعجاب بالنِّسبة للمُلاحظ، فهي وسيلة ممتازة لإماطة اللثام عن دوافع الناس وأفعالهم، لكن أن يسمح المُفكّر المُدرَّب لها بأن تصير دخيلةً على مزاجه المضبوط الحسَّاس، فهذا معناه أنه يُدخل إلى المعادَلة عاملًا مُلهيًا من شأنه أن يلقي بظلال الشَّك على جميع ثمار تفكيره. إذا بدأت واحدة من أدواته الحسَّاسة في إصدار صرير، أو إذا تصدَّعت واحدة من عدساته المُكبِّرة، فلن يكون هذا أكثر إزعاجًا من مجرَّد شعورٍ قويٍّ في طبيعةٍ كطبيعته. ومع ذلك كانت هناك امرأة واحدة بالنِّسبة له، الراحلة أيرين آدلر، التي خلَّفَت وراءها ذكريات مليئة بالشكوك والالتباس.

لم أكن قد رأيتُ هولمز كثيرًا مؤخَّرًا، إذ جعلنا زواجي نجنح بعيدًا عن بعضنا البعض، فسعاديَ الخالصة، بالإضافة إلى الاهتمامات المُتمركزة حول الحياة المترليَّة (التي تتزاحَم حول أيِّ رجلٍ يجد نفسه سيِّدًا لبيته الخاص للمرَّة الأولى) كانت كافيةً لاستغراقي بالكامل، بينما ظَلَّ هولمز -الذي ينفُر من جميع صُور العلاقات الاجتماعيَّة بروحه البوهيميَّة تلك- في شقَّتنا في بيكر ستريت مدفونًا بين كُتبه القديمة، يُبَدِّل نشاطه من أسبوعٍ إلى أسبوعٍ بين تعاطي الكوكايين والطُّموح، بين الخمول الذي يصيبه به المُخدِّر والطاقة القويَّة التي تتميَّز بها طبيعته الحادَّة.

كان -كالعادة- شديد الانجذاب إلى دراسة الجريمة، وقد انغمس بمَلَكاته العقليَّة الفذَّة وقُدرته الاستثنائيَّة على الملاحَظة في تتبُّع الخيوط ورفع السِّتار عن الألغاز التي تخلَّت الشُّرطة عن محاوَلة حلِّها باعتبارها

مستحيلة. بين الحين والآخَر كنتُ أسمعُ أخبارًا غامضةً عن أنشطته، كاستدعائه إلى أوديسا لحلّ جريمة قتل تريبوف، ووضعه نهايةً لمأساة الأخوين أتكينسن الغريبة في ترينكومالي، وأخيرًا المهمَّة التي أنجزها بمنتهى النجاح والدِّقّة لحساب العائلة الملكيَّة في هولندا. لكن بخلاف تلك الأخبار عن مغامراته، والتي لم يكن لي دور فيها غير مشارَكتها مع جميع قُرَّاء الصحافة اليوميَّة، صرت لا أعرفُ الكثير عن صديقي ورفيقي السابق.

ذات ليلة –يوم العشرين من مارس 1888– كنتُ عائدًا من زيارة إلى مريض (فقد عدتُ إلى ممارسة الطِّب)، حين قادتني خطاي إلى بيكر ستريت. عندما مررتُ بالباب الذي أذكُره جيدًا، والذي سيظلُّ مرتبطًا دائمًا في وجداني بأيام الغزل والأحداث المؤسفة التي وقعت خلال قضيَّة "دراسة في اللون القرمزي"، شعرتُ برغبة قويّة في رؤية هولمز مرَّةً أخرى، ومعرفة فيم يستغلُّ قُدراته غير العاديَّة. كانت شقَّته مضاءةً بأنوار ساطعة، وعندما رفعتُ عينيَّ إلى أعلى رأيتُ شبحه الطويل النحيل يمرُّ مرَّتين كظلٍّ أسودَ وراء الستائر. كان يقطع الغُرفة بخطوات سريعة ملهوفة، وقد حنى رأسه على صدره وشبك أصابع يديه وراء ظهره. بالنِّسبة لي، وقد كنتُ أعرفُ جميع أمزجته وعاداته، روى لي أسلوبه وطريقة حركته القصَّة. كان هولمز يعمل من جديد. لقد أفاق من أحلامه التي صاغَتها المخدِّرات، والآن يسعى بحماسة وراء مشكلة جديدة. رننتُ الجرس، واصطحبَتني مالكة العقار إلى الشَّقَّة التي شاركتُ في المعيشة فيها فيما سبق.

لم يكن استقباله لي عاطفيًّا -إذ نادرًا ما كان كذلك- لكنه سُرَّ لرؤيتي على ما أعتقدُ. لم يقل شيئًا تقريبًا، لكن النظرة في عينيه كانت مُرَحِّبةً وهو يشير لي بالجلوس على مقعدٍ ذي ذراعين. ثم إنه ألقى لي عُلبة سجائره، وأشار نحو زجاجة من الشراب وجهاز الجازوجين في الرُّكن، ووقف أمام المدفأة وتطلَّعَ إليَّ بأسلوبه المتمعَن الفريد، وقال: «حياة الزوجيَّة تُناسبك. أعتقد أن وزنك ازداد سبعة أرطال ونصفًا منذ رأيتك آخر مرَّةٍ يا واطسن».

قلتُ: «سبعة أرطالٍ فقط!».

- «بالفعل. كان يجب أن أفكِّر أكثر قليلًا. ثم إنك عُدت إلى ممارَسة الطِّب مجدَّدًا. لم تُخبِرني أنك تنوي العودة إلى العمل».

- «كيف عرفت إذن؟».

- «إنني أرى الأمارات، أستنتجها. كيف عرفتُ أن المطر أغرقك مؤخَّرًا، وأن لديك خادمة خرقاء مُهملة؟».

- «عزيزي هولمز، هذا كثير جدًّا. لو كنت حيًّا منذ بضعة قرون لأحرقوك بتُهمة ممارَسة السِّحر. صحيحٌ أنني تمشَّيتُ في الريف يوم الخميس الماضي وعدتُ إلى المنزل مبتلًّا تمامًا ومُلطَّخًا بالأوحال، لكني لا أدري كيف استنتجت هذا وقد غيَّرتُ ملابسي. أما بالنِّسبة لماري جاين، فلا أمل منها، وقد صرفَتها زوجتي من خدمتنا؛ ومع ذلك ما زلتُ أجهلُ كيف استنتجت هذا».

ضحك هولمز وفرك يديه الطويلتين المتوتِّرتين معًا، وقال: «إنها البساطة ذاتها. عيناي تُخبراني بأن جلد فردة حذائك اليُسرى -الذي

تلقي النار ضوءها عليه– به ست شقوق شبه متوازية، ومن الواضح أن من تسبَّب فيها هو شخص شديد الإهمال قام بكشط حواف النعل من أجل إزالة الوحل الذي كساه. هكذا، كما ترى، كان استنتاجي المزدوَج أنك خرجت في طقسٍ رديء، وأنك مُنِّيت بواحدة من أسوأ خادمات لندن. وبالنِّسبة لعملك، فإذا دخل أحدهم شقَّتي ورائحة اليودوفورم تفوح منه، وثَمَّة علامة سوداء من نترات الفضَّة على سبابته اليُمنى، بالإضافة إلى انتفاخٍ في قُبَّعته يشي بالمكان الذي يُعَلِّق عليه سمَّاعته، فلا بُد أن أكون أحمقَ حقًّا إذا لم أؤكِّد أنه من مُمارِسي مهنة الطِّب النشطين».

لم يسعني إلا أن أضحك للبساطة التي شرح بها عمليَّة الاستنتاج، ثم قلتُ: «عندما أسمعُ شرحك يبدو التفسير شديد البساطة إلى حدٍّ سخيف، لدرجة أني أستطيعُ التوصُّل إليه بنفسي، رغم أنني أظلُّ شاعرًا بالحيرة إلى أن تشرح الأمر كاملًا ومع ذلك ما زلتُ أعتقد أن عينيَّ بمِثل جودة عينيك».

قال وهو يُشعِل سيجارة ويُلقي بنفسه على مقعد: «بالتأكيد. لكنك ترى ولا تُلاحظ، والفارق بين الاثنين واضِح. على سبيل المثال، لقد رأيتَ الدرجات التي تقود من الردهة إلى هذه الغُرفة كثيرًا».

– «كثيرًا».

– «كم مرَّة؟».

– «مئات المرَّات».

– «كم درجةً هناك إذن؟».

– «كم درجةً؟ لا أدري».

«بالضبط! لأنك لم تُلاحظ مع أنك رأيت. هذا ما أقصده بالضبط. أما أنا فأعرفُ أن هناك سبع عشرة درجة، لأنني رأيتُ ولاحظتُ في آنٍ واحد. بالمناسبة، بما أنك مهتمٌّ بتلك المسائل الصغيرة، وبما أنكَ كنت كريمًا بما يكفي لتوثيق واحدة أو اثنتين من خبراتي، فقد تهتم بهذا»، وألقى إليَّ ورقةً سميكةً مصبوغةً باللون الوردي كانت موضوعة على المائدة، وأردف: «جاءتني هذه الرسالة في آخر بريد. اقرأها بصوتٍ عالٍ».

كانت الرسالة غير مؤرَّخة أو موقَّعة وبلا عنوان للمُرسل، وكانت تقول: *"الليلة، في الساعة الثامنة إلا الرُّبع، ستتلقّى زيارةً من سيِّد يرغب في استشارتك في مسألة ذات أهمِّيَّة قُصوى. لقد بيَّنت الخدمات التي أسديتها مؤخَّرًا لواحدة من العائلات الملكيَّة في أوروبا أنك رجلٌ يُمكن الاعتماد عليه في المسائل التي لا توجد مبالَغة في أهمِّيتها. هذا الرأي عنك من جميع الأنحاء عرفناه. كُن في شقَّتك في تلك الساعة، ولا تزعج إذا وجدت زائرك يرتدي قناعًا"*

علَّقتُ بعد أن فرغت من القراءة: «رسالة غامضة بالفعل. ما الذي تعنيه في رأيك؟».

– «ليست لديَّ معلومات بعد. خطأ جسيم أن يبدأ المرء في طرح النظريَّات قبل أن تتجمَّع لديه المعلومات. من الغفلة أن تقوم بلَيٍّ

الحقائق كي تُناسب النظريَّات، بدلًا من تعديل النظريات لتُناسب الحقائق. لكن ماذا عن الرسالة نفسها؟ ما الذي تستنتجه منها؟».

فحصتُ خطَّ اليد والورق الذي كُتبَت عليه بعناية، ثم قلتُ مُحاولًا تقليد أسلوب صديقي في الاستنتاج: «أفترضُ أن الرجل الذي كتبها في وضعٍ ماليٍّ لا بأس به، فلا يُمكن شراء مثل هذا الورق بأقلّ من خمسة شلنات للرُّزمة. إنه قويٌّ وصلبٌ على نحوٍ مميَّز».

قال هولمز «مميَّز... هذا هو الوصف الصحيح تمامًا. إنه ليس ورقًا إنجليزيًّا على الإطلاق. ارفعها أمام الضوء».

فعلتُ كما قال، فرأيت حرف **E** كبيرًا مع حرف **g** صغير، وحرف **P** وحرف **G** كبيرين مع حرف **t** صغير، كلها مُدمَج في تركيب الورقة.

سألني هولمز «ماذا تستنتج من هذا؟».

– «اسم الصانع لا شك، أو الحروف الأولى من اسمه بالأحرى».

– «إطلاقًا. حرف الـ**G** الكبير مع الـ**t** الصغير اختصار لكلمة **Gesellschaft**، التي تعني شركة بالألمانيَّة. إنه اختصار معتاد هناك كما نستخدم **Co** للإشارة لكلمة شركة هنا حرف الـ**P** يرمز إلى كلمة **Papier** بالطبع، أي الورق. أما بالنِّسبة للـ**Eg** فدعنا نُلقي نظرةً على المُعجَم الجغرافي»، والتقط مجلَّدًا ثقيلًا من مكتبته، وفتحه ليقرأ، ثم قال: «حسن، **Eglow**، **Eglonitz**... ها هي ذي الكلمة، **Egria**. إنها مدينة في بلد يتكلَّم الألمانيَّة، في

بوهيميا، ليست بعيدة عن كارلسباد... *"تشتهر بأنها مسرح وفاة فالنشتاين، وبمصانع الزجاج والورق الكثيرة"* ها ها يا ولدي! ما الذي تستنتجه من هذا؟».

كانت عيناه تتألّقان وهو يُطلق سحابةً زرقاء كبيرة من دُخّان سيجارته بظفر، وقلتُ أنا: «الورق مصنوع في بوهيميا».

– «بالضبط، والذي كتب الرسالة ألماني. هل تُلاحظ التركيب الغريب لجملة *"هذا الرأي عنك من جميع الأنحاء عرفناه"*؟ ليس من الممكن أن رجلًا فرنسيًّا أو روسيًّا قد كتب هذا، بل الألمان هُم مَن لا يتعاملون بكياسة مع الأفعال وتصريفها. إذن يتبقّى فقط أن نعرف ما يريده ذلك الألماني الذي يكتب على الورق البوهيمي ويُفَضِّل ارتداء قناعٍ على أن يكشف وجهه. وها هو قد أتى ليعطي إجابةً على جميع شكوكنا ما لم أكن مخطئًا»

سمعنا وهو يتكلّم صوت حوافر خيولٍ وصرير عجلات تبعه صوت الجرس الذي دقّه أحدهم بحدَّة، فأطلق هولمز صفيرًا وقال: «أعتقدُ من الصوت أنهما حصانان»، ثم نظر من النافذة وأضاف: «نعم، عربة صغيرة لطيفة وحصانان جميلان، ثمن الواحد منهما مئة وخمسون جنيهًا. ثمّة أموال في هذه القضيَّة يا واطسن، ما لم يكن هناك شيء آخَر».

– «أعتقدُ أنه من الأفضل أن أنصرِف».

– «بتاتًا يا دكتور. ابقَ في مكانك. إنني أضيعُ من دون رفيقي، وهذه القضيَّة تُبَشِّر بأنها واعدة. سيكون من المؤسف أن تفوتك»

– «لكن عميلك...

– «لا عليك منه. قد أحتاج مساعَدتك، وقد يحتاجها هو كذلك. ها هو ذا. اجلس على هذا المقعد يا دكتور وامنحنا كامل انتباهك».

توقّفت الخطوات البطيئة الثقيلة، التي سمعناها على الدرجات وفي الرواق خارِج الباب، ثم تعالت دَقّة عالية تشي بطبيعة صاحبها الآمرة.

دعا هولمز الطارِق للدخول، فدلف رجل لا يمكن أن يقلّ طوله عن ستة أقدام وستٍّ بوصات كاملة، لديه صدر وأطراف تليق بهرقل. كانت ثيابه فخمةً تلك الفخامة التي تُعَدُّ في إنجلترا دلالةً على سوء الذوق. كانت هناك شرائط ثقيلة من فرو الحملان مُثبَّتة على كُمَّي معطفه ذي الصدر المزدوَج، بينما كانت العباءة ذات اللون الأزرق الداكن التي وضعها على كتفيه مُبطّنة بالحرير ذي اللون الناري، ومُثَبَّتة عند العُنق بدبوسٍ به حُلية مفردة من الزبرجد بلون اللهب. أما الحذاء طويل العُنق الذي يرتفع إلى رَبْلَتَيِّ الساقين فقد كان مُحَدَّدًا من أعلى بالفرو البنّي الفاخر، ما أكمل انطباع الثراء الهمجي الذي وشى به مظهره. كان يحمل قُبّعة ذات حافّة عريضة في يده، بينما وضع على النِّصف العلوي من وجهه قناعًا أسودَ امتدَّ إلى ما بعد عظمتي وجنتيه، وقد بدا أنه قد سوَّاه في هذه اللحظة بالتحديد، لأن يده كانت لا تزال مرفوعةً وهو يدخل. أوحى النِّصف السُّفلي من وجهه بأنه رجل قوي الشخصيَّة، لديه شفة سُفليَّة بارزة ممتلئة وذقن طويلة مستقيمة تشي بتصميمٍ يكاد يبلغ حدَّ العناد.

سأل الرجل بصوت خشنٍ عميقٍ ولكنةٍ ألمانيَّة قويَّة: «هل استلمت رسالتي؟ قلتُ فيها إنني سأزورك».

كان ينقل بصره بيننا، كأنه غير واثقٍ ممن يُخاطب فينا، فقال هولمز: «تفضَّل بالجلوس. هذا صديقي وزميلي الدكتور واطسن، الذي يتفضَّل بمساعَدتي في قضاياي بين الحين والآخَر. مَن أتشرَّف بالحديث معه؟».

– «يُمكنك مخاطَبتي بالكونت ڤون كرام، نبيل بوهيمي. أعتقدُ أن هذا السيِّد صديقك رجل يتحلّى بالشَّرف والكتمان، ويُمكنني ائتمانه على مسألةٍ في غاية الأهمِّيَّة. إن لم يكن كذلك، فأفضِّلُ الكلام معك وحدك».

نهضتُ لأغادر، لكن هولمز أمسكني من معصمي وأعادني إلى المقعد قائلًا: «إما أن تتكلّم مع كلينا أو لا أحد منا. لكن يُمكنك أن تتكلّم كما تشاء أمام هذا السيِّد».

هزَّ الكونت كتفيه العريضتين، وقال: «فلأبدأ إذن بأن أُلزِمكما بالسِّرِّيَّة المُطلَقة لمدَّة عامين، فبعد نهاية تلك الفترة لن يعود الأمر ذا أهمِّيَّة. أما في الوقت الحاضر، فليس من المبالَغة أن أقول إنه أمرٌ ذو ثقلٍ كبير وقد يكون له تأثير على التاريخ الأوروبي نفسه».

قال هولمز: «أعدك».

وقلتُ: «وأنا كذلك».

واستطرد زائرنا الغريب: «الشخص ذو الشأن الرفيع الذي أعمل لحسابه يرغب في أن يكون وكيله مجهولًا لك، ويجب أن أعترف حالًا بأن اللقب الذي قدَّمتُ به نفسي ليس لقبي بالضبط».

قال هولمز بلهجة جافَّة: «أدركتُ هذا».

– «الظروف شديدة الحساسيَّة، ويجب اتِّخاذ جميع الإجراءات التي من شأنها القضاء على ما قد يتحوَّل إلى فضيحة كُبرى ويُعَرِّض واحدةً من العائلات المالكة في أوروبا لشُبهة حقيقيَّة. لأتكلَّم بصراحة، فالأمر يخصُّ عائلة أورمشتاين العظيمة، العائلة التي يتوارث ملوكها عرش بوهيميا».

غمغم هولمز وهو يستقرُّ في مقعده ويُغلق عينيه: «أدركتُ هذا».

حدَّق زائرنا بدهشة واضحة في الرجل النحيل الجالس بتراخٍ، والذي وصفوه له بلا شَكٍّ باعتباره أذكى مفكِّر وأنشط مُحَقِّق في أوروبا كلها، بينما فتح هولمز عينيه ببطء ورمق الرجل ضخم الجثَّة بصبرٍ نافد، وقال: «إذا تفضَّلت جلالتكَ بشرح المسألة، فسأفيدك على نحوٍ أفضل».

وثب الرجل من مقعده، وأخذ يذرع الغُرفة جيئةً وذهابًا بسخط مفرط، ثم أومأ برأسه بيأسٍ وخلع القناع عن وجهه وألقاه على الأرض صائحًا: «أنت على حق. أنا الملك، فلم أحاولُ إخفاء هذا؟».

غمغم هولمز «لم بالفعل؟ لم تكن جلالتك قد تكلَّمت بعد عندما أدركتُ أنني أخاطبُ ڤيلهلم جوتسرايخ سيجيزموند ڤون أورمشتاين، دوق كاسل فيلشتاين الأكبر والملك وريث عرش بوهيميا».

عاد زائرنا الغريب يجلس مرَّةً أخرى واضعًا يده على جبهته البيضاء الكبيرة: «لكنك تفهم... لكنك تفهم أنني غير معتاد على القيام بعملٍ كهذا بنفسي، لكن المسألة حسَّاسة للغاية ولا أستطيعُ الاعتماد فيها على وكيلٍ لي دون أن أضع نفسي تحت رحمته. لقد جئتُ تحت اسمٍ مستعارٍ من براج بغرض استشارتك».

قال هولمز وهو يُغلِق عينيه من جديد: «استشرِ إذن».

– «هذه هي الحقائق باختصار: منذ خمس سنوات تقريبًا، خلال زيارة طويلة لوارسو، تعرَّفتُ على المغامرة الشهيرة أيرين آدلر. الاسم مألوفٌ لك لا شكَّ».

غمغم هولمز دون أن يفتح عينيه: «ابحث عنها في فهرسي من فضلك يا دكتور».

لسنوات طويلة تبنَّى هولمز نظامًا لتوثيق البيانات الخاصَّة بالأشخاص والأشياء، فكان من الصعب أن تَذكُر اسم شخصٍ أو شيءٍ لا يستطيع مراجَعة ما لديه من معلوماتٍ عنه في الحال. في هذه الحالة وجدتُ سيرتها الذاتيَّة مدسوسةً بين السيرة الذاتيَّة لحاخامٍ يهودي وأخرى لضابط أركان حرب كتب دراسةً عن أسماك البحار العميقة.

قال هولمز: «دعني أرى. هم! وُلِدَت في نيو جرسي سنة 1858 تُغَنِّي بصوت كونترالتو رنَّان. هم! غنَّت في دار أوبرا لا سكالا هم! تقاعدَت من الغناء الأوبرالي... ها! تعيش في لندن... طبعًا! أعتقدُ أن

جلالتك قد تورَّطت مع تلك الشابَّة، وكتبت لها بعض الخطابات المثيرة للشُّبهة، والآن ترغب في استعادة تلك الخطابات».

– «بالضبط، لكن كيف؟».

– «هل كان هناك زواج سرِّي؟».

– «كلا».

– «أوراق رسميَّة أو شهادات؟».

– «كلا».

«إذن فأنا لا أفهمك. إذا استغلَّت تلك الشابَّة الخطابات بغرض الابتزاز أو خلافه، فكيف يُمكنها إثبات صحَّتها؟».

– «هناك خط اليد».

– «مُزيَّف!».

– «ورقي الخاص».

– «مسروق!».

– «ختمي الشخصي».

– «مُقلَّد!».

– «صوريّ».

– «اشترها!».

– «كلانا في الصُّورة».

– «ربَّاه! هذا سيئ جدًّا! جلالتك ارتكبت فعلًا طائشًا بالفعل».

– «كنت مجنونًا، مخبولًا».

– «لقد وضعت نفسك في موقفٍ لا تُحسَد عليه حقًّا».

– «كنتُ وليَّ العهد لا أكثر وقتها، كنتُ صغيرًا. أنا في الثلاثين من عُمري الآن».

– «يجب استعادة الصورة».

– «لقد حاولنا وفشلنا».

«يجب أن تدفع يا جلالة الملك، يجب أن تشتري منها الصُّورة».

– «إنها ترفض بيعها».

– «اسرقها إذن».

«حاولتُ خمس مرَّات. قام لصوص استأجرتهم بنهب مترلها مرَّتين، وفي مرَّة فتَّشنا أمتعتها وهي مسافرة، وقطع رجالي الطريق عليها مرَّتين؛ كلٌّ هذا بلا نتيجة».

– «ولا أثر للصُّورة؟».

– «لا أثر على الإطلاق».

ضحك هولمز قائلًا: «مشكلة فعلًا».

قال الملك بعتاب: «لكن خطيرة جدًّا بالنِّسبة لي».

– «بالتأكيد. وما الذي تنوي فعله بالصُّورة؟».

– «تنوي تدميري».

– «لكن كيف؟».

– «إنني على وشك الزواج».

– «هذا ما سمعته».

«الزواج من كلوتيلدا لوثمان ڤون ساكس–ميننجن، الابنة الثانية لملك سكاندنيڤيا لعلك تعرف مبادئ عائلتها الصارمة. هي نفسها الرِّقَّة مُجسَّدة، ومن شأن أيَ ظلٍّ من الشَّك يطال سلوكي أن يضع نهايةً للأمر كله».

– «وأيرين آدلر؟».

– «تُهَدِّد بإرسال الصورة إلى عائلة خطيبتي، وستفعلها. أعرفُ أنها ستفعلها. إنك لا تعرفها، لكن لها روحًا من حديد. إن لديها وجه أبرع النساء حُسنًا، وعقل أكثر الرجال تصميمًا. إذا لم أتزوَّج من امرأةٍ أخرى، فليس هناك شيء ليست مستعدَّة لفعله إطلاقًا».

– «أواثقٌ أنت من أنها لم تُرسل الصُّورة بعد؟».

– «نعم».

– «ولِمَ؟».

– «لأنها قالت إنها سوف تُرسلها يوم إعلان الخطبة رسميًّا، أي يوم الاثنين المُقبِل».

قال هولمز متثائبًا: «إذن فما زالت أمامنا ثلاثة أيام. الحظ حليفنا إذن، بما أن لديَّ مسألة أو اثنتين يجب الاطِّلاع عليهما في الوقت الحالي. جلالتك ستبقى في لندن حاليًّا بالطبع؟».

«طبعًا. ستجدني في فندق لانجهام تحت اسم الكونت ڤون كرام».

– «سأتركُ لك رسالةً إذن لأُعلمك بتقدُّمنا».

– «أرجو هذا، فسأظلُّ شديد القلق».

– «وبالنِّسبة للنقود؟».

– «لديك تفويض كامل».

– «كامل؟».

«أؤكِّدُ لك أنني أستطيع التخلّي عن واحدةٍ من مقاطَعات مملكتي مقابل استعادة تلك الصُّورة».

– «وبالنِّسبة للمصروفات في الوقت الحالي؟».

أخرج الملك حقيبة ثقيلة من جلد الشامواه من تحت عباءته، ووضعها على المائدة قائلًا: «ثمَّة ثلاثمئة جنيه ذهبي وسبعمئة جنيه بنكنوت هنا».

دوَّن هولمز إيصالًا بالاستلام على ورقةٍ من مُفكِّرته وأعطاها للملك، ثم سأله: «وماذا عن عنوان المادموزيل آدلر؟».

– «بريوني لودج، سرپنتين آڤنيو، سانت چونز وود».

دوَّن هولمز العنوان، ثم قال: «لديَّ سؤال واحد آخَر: هل الصُّورة من الحجم الكبير؟».

– «نعم».

– «طابت ليلة جلالتك إذن، وأؤكّدُ لك أننا سنُبلغك أخبارًا طيّبة قريبًا».

وقال هولمز لي وعجلات عربة الملك تتحرّك في الشارع: «وطابت ليلتك يا واطسن. إذا تفضّلت بزيارتي غدًا في الثالثة بعد الظُّهر، فأودُّ أن أتكلّم في هذه المسألة الصغيرة معك».

***

الفصل الثاني

وصلتُ إلى بيكر ستريت في تمام الثالثة في اليوم التالي، لكن هولمز لم يكن قد عاد بعد، وأخبرَتني صاحبة العقار أنه غادر المنزل بعد الثامنة صباحًا بقليل. هكذا جلستُ إلى جوار المدفأة عازمًا على انتظار عودته مهما طال الوقت. كنتُ أشعر باهتمامٍ كبيرٍ بالفعل بالتحقيق الذي يُجريه، فعلى الرغم من أنه لم يكن يشوبه شيء من السِّمات الغريبة الكريهة التي صاحبَت الجريمتين اللتين سجَّلتهما من قبل، فإن طبيعة القضيَّة ومكانة عميل هولمز المرموقة منحتها طابعًا خاصًّا. في الواقع، بعيدًا عن طبيعة التحقيق الذي يتولّاه صديقي، فقد كان هناك شيء ما في قُدرته الأستاذيَّة على إدراك طبيعة المواقف، وتفكيره القاطع الحاد جعل من مصادر مُتعتي أن أدرس نظامه في العمل، وأتبع الأساليب السريعة الدقيقة التي يحلُّ بها أكثر الألغاز تعقيدًا؛ وهكذا صرتُ معتادًا على نجاحاته الدائمة، حتى أن مجرَّد فكرة إخفاقه كفَّت عن مراوَدتي.

كانت الساعة قد تجاوزَت الرابعة بدقائقٍ قليلة عندما انفتح الباب ودخل منه سائس خيلٍ مبعثر الشَّعر والسوالف، له وجه منتفِخ ويرتدي ملابس بالية. ولئن كنتُ معتادًا على براعة صديقي المذهلة في التنكُّر، فإنني حدَّقتُ فيه ثلاث مرَّات كاملة قبل أن أتأكَّد من أنه هو بالفعل. دخل هولمز إلى غُرفة نومه وهو يهزُّ رأسه لي، قبل أن يخرُج بعد خمس دقائقٍ يرتدي بذلة من صوف التِّويد وقد بدا مهندَمًا كما اعتدته. ثم إنه وضع يديه في جيبيه ومدَّ ساقيه أمام المدفأة، وانفجر ضاحكًا، لتستمر ضحكاته لعدَّة دقائق.

– «يا للعجب!»، صاح بها ثم عاد يضحك من جديد حتى اضطرَّ لأن يستلقي على ظهره مُنهَكًا.

سألته: «ماذا هناك؟».

– «الأمر مُضحك للغاية. أنا متأكِّد من أنك لن تُخَمِّن كيف استغللتُ هذا الصباح أبدًا، وما الذي فعلته فيه».

– «لا أستطيعُ أن أتخيَّل، لكني أعتقدُ أنك كنت تُراقِب مس آدلر، ولربما مترلها كذلك».

– «بالضبط، لكن النتيجة كانت غير معتادة إطلاقًا. سأُخبرك بما حدث: لقد غادرتُ المترل بعد الثامنة صباحًا بقليل متنكِّرًا في هيئة سائس خيلٍ لا يجد عملًا. ثَمَّة نوعٌ رائعٌ من التعاطُف لدى من يعملون مع الخيل. كُن واحدًا منهم، وستعرف كلَّ ما يُمكن معرفته. لقد وجدتُ بريوني لودج. إنها فيلا صغيرة أنيقة بها حديقة في الخلفيَّة، لكنها مبنيَّة على الشارع مباشرةً، وترتفع طابقين. ثَمَّة قفل من نوع

"تشاب" على الباب، وغرفة جلوسٍ واسعة حسنة التأثيث على الجانب الأيمن، نوافذها طويلة تكاد تبلغ الأرض، ومزوَّدة بتلك الأقفال الإنجليزيَّة السخيفة التي يستطيع أيُّ طفلٍ أن يفتحها. لا يوجد شيء يلفت الانتباه في الخلفيَّة، باستثناء أن نافذة الرواق يُمكن الوصول إليها من أعلى المرآب. درتُ حول الڤيلا ودرستها بدقَّةٍ من جميع الزوايا، لكن دون ملاحَظة شيءٍ آخَر مهم.

تجوَّلتُ بعدها في الشارع، ووجدتُ -كما توقَّعتُ- إسطبلًا في زقاقٍ يُحاذي أحد أسوار الحديقة، فساعدتُ السائسين في تنظيف الخيول، وفي المقابل تلقَّيتُ بنسين وكوبًا من الحليب وملء سيجارتين من التبغ، وكلَّ المعلومات التي أرغب فيها عن مس آدلر، ناهيك عن نصف دستةٍ من أشخاصٍ آخَرين في الحيِّ لم أكن أهتم بهم على الإطلاق، وإن اضطررتُ لسماع قصص حياتهم».

- «وماذا عن أيرين آدلر؟».

- «أوه، لقد أدارت رؤوس جميع الرجال بالفعل. إنها ألذُّ شيءٍ يرتدي قُبَّعة نسائيَّة على وجه هذا الكوكب، على حدِّ تعبير الرجال في الإسطبل. إنها تعيش في هدوء، تُغَنِّي في الحفلات، تخرج كلَّ يومٍ في الخامسة وتعود في تمام السابعة لتناوُل العشاء. نادرًا ما تخرج في أيِّ أوقاتٍ أخرى، اللهم إلا عندما تُغَنِّي في حفلٍ ما. يأتي لزيارتها رجل واحد فقط، لكنه يأتي بكثرة. إنه داكِن البشرة وسيم أنيق، يزورها مرَّةً في اليوم على الأقل، وأحيانًا مرَّتين. إنه مستر جودفري نورتون من جمعيَّة المُشَرِّعين. عليك أن تعرف مميِّزات أن يكون حوذيٌّ مصدر

معلومات لك. لقد أقلُّوه من إسطبل سربنتين آڤنيو عشرات المرَّات ويعرفون كلَّ شيءٍ عنه. ثم، عندما سمعتُ كلَّ ما لديهم، بدأتُ السير بالقُرب من بريوني لودج مجدَّدًا، وأخذتُ أفكِّر في خُطَّة التحرُّك.

من الواضح أن جودفري نورتون هذا عامل مهم في الأمر. إنه محامٍ، ما بدا لي منذرًا بالخطر. ما العلاقة بينهما؟ وما هو موضوع هذه الزيارات المتكرِّرة؟ أهي موكِّلته أم صديقته أم عشيقته؟ إذا كانت الأولى، ففي الغالب أعطته الصُّورة ليحفظها لديه، وإذا كانت الأخيرة، فهذا الاحتمال أضعف هنا. اعتمدتُ على إجابة هذا السؤال لأقرِّر إن كان ينبغي أن أواصل عملي في بريوني لودج أم أنقل انتباهي لمكتب هذا السيِّد في جمعيَّة المُشَرِّعين. كانت نقطة حسَّاسة وسَّعت مجال التحقيق. أخشى أنني أثيرُ مللك بهذه التفاصيل، لكن عليَّ أن أريك الصعوبات الصغيرة التي مررتُ بها كي نفهم الموقف جيدًا».

قلتُ: «أنا مُنصت».

– «كنتُ ما زلتُ أوازن المسألة في عقلي، عندما توقَّفت عربة أجرة أنيقة أمام بريوني لودج ونزل منها رجل وسيم الطلعة جدًّا، داكن البشرة ذو أنف معقوف وشارب، وكان بلا شكٍّ الرجل الذي سمعتُ عنه من السائسين. بدا في عجلة شديدة من أمره، إذ أمر الحوذي بأن ينتظره، واندفع متجاوزًا الخادمة التي فتحت له الباب بسيماء رجلٍ يتصرَّف كأنه في بيته.

ظلَّ نورتون في المنزل لمدَّة نصف ساعة تقريبًا، وقد رأيتُ لمحات منه في نوافذ غُرفة الجلوس، يقطع الغُرفة جيئةً وذهابًا ويتكلَّم بحماسةٍ

مُلوِّحًا بذراعيه. أما مس آدلر فلم أرها البتّة ثم إنه غادر المنزل وقد بدا أكثر حماسةً من قبل، وعندما ركب العربة التي ظلت تنتظره، أخرج ساعة ذهبيَّة من جيبه ونظر إليها باهتمامٍ شديد، ثم صاح: "إلى جواهرجي جروس آند هانكي في ريچنت ستريت أولًا، ثم إلى كنيسة سانت مونيكا في إدچوير رود. نصف جنيهٍ لك إذا وصلت خلال عشرين دقيقة!"

هكذا تحرَّكت العربة، وكنتُ أتساءلُ إن كان ينبغي عليَّ أن أتبعه، عندما جاء حنطور أنيق صغير يقوده سائق يرتدي معطفًا نصف مزرَّر وربطة عُنُقٍ غير مربوطة. لم تكن العربة قد توقَّفت تمامًا أمام المنزل، عندما اندفعت مس آدلر لتثب داخلها في الحال. لم أرَ غير لمحةٍ منها لحظتها، لكنها امرأة جميلة لها وجه يُمكن أن يموت الرجال من أجله.

أمرَت مس آدلر الحوذي بالتحرُّك إلى كنيسة سانت مونيكا، ووعدَته بنصف جنيهٍ ذهبي إذا وصل خلال عشرين دقيقة.

كان هذا أفضل من أن يفوتني يا واطسن. كنت أفكِّرُ إن كان ينبغي أن أعدو إلى هناك أم أتعلَّق بعربتها من الخلف، عندما مرَّت عربة أجرة في الشارع. تطلَّع الحوذي إلى مظهري الرَّث، لكني وثبتُ داخل العربة قبل أن يجد الفرصة ليعترض، وقلتُ له أن يهرع إلى كنيسة سانت مونيكا، ووعدته بدوري بنصف جنيهٍ ذهبي إذا وصل خلال عشرين دقيقة. كانت الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وكان ما في سبيله إلى الحدوث واضحًا تمامًا بالطبع.

انطلق سائقي بعربتي ولا أعتقد أنني تحركت بسرعة كهذه من قبل، لكنهما كانا قد بلغا الكنيسة قبلي. كانت عربتاهما الأجرة ذاتا الأحصنة التي أنهكها العدْو واقفتين أمام الباب عندما وصلتُ، فنقدتُ سائقي أجرته وأسرعتُ إلى الداخل. لم يكن هناك أيُّ أحد هناك باستثناء الاثنين اللذين تبعتهما وقسٍّ يرتدي ثوب الكهنوت الأبيض بدا أنه يتجادل معهما. كان ثلاثتهم يقف أمام المذبح، فتحرَّكتُ في الممشى الجانبي كأيِّ زائرٍ عاديٍّ يأتي إلى الكنيسة. وفجأةً -لدهشتي- التفت الثلاثة الواقفون عند المذبح إليَّ، وجاء جودفري نورتون يعدو نحوي بكلِّ سرعته صائحًا: "حمدًا لله! أنت مناسب. هلُم، هلُم!"

سألته عما هناك، فقال: "تعالَ يا رجل، تعال. ثلاث دقائق فقط، وإلا لن يكون الزواج شرعيًّا"

جرَّني إلى المذبح تقريبًا، وقبل أن أعي أين أنا وجدتُ نفسي أتمتمُ بإجاباتٍ همسوا بها في أذني، وأتعهَّدُ بأشياء لا أعرف عنها شيئًا؛ بشكلٍ عام أساعد على زواج مس أيرين آدلر العزباء من مستر جودفري نورتون الأعزب. انتهى كلُّ شيءٍ في لحظات، ثم وجدته يشكرني من جانبٍ وهي من الجانب الآخَر، بينما يمنحني القس ابتسامة عريضة من الأمام. كان أسخف موقفٍ وجدتُ نفسي فيه في حياتي على الإطلاق، والتفكير فيه هو ما جعلني أضحك الآن. يبدو أنه كان ثمَّة شيء ما ناقص في رُخصة زواجهما جعل القس يرفض تزويجهما دون شاهد ما هكذا أنقذ ظهوري العريس من الهروع في

الشوارع بحثًا عن وصيف. أعطتني العروس جنيهًا ذهبيًّا أنوي وضعه في سلسلة ساعتي تخليدًا لذكري هذه المناسبة».

قلتُ: «تحوُّل غير متوقَّع على الإطلاق للأحداث. والآن ماذا؟».

– «وجدتُ أن خُطَطي أضحت مُهَدَّدةً إلى أقصى حد، إذ بدا أنهما سيرحلان معًا في الحال، ما تطلَّب أن أتَّخذ إجراءات عاجلة فعَّالة. على أنهما انفصلا على باب الكنيسة، حيث عاد هو إلى الجمعيَّة وهي إلى منزلها، بعد أن قالت له إنها ستذهب إلى الحديقة في الساعة الخامسة كالمعتاد. لم أسمع المزيد، وتحرَّك كلٌّ منهما في اتجاهٍ مختلف، وذهبتُ أنا لعمل ترتيباتي الخاصَّة».

– «ألا وهي؟».

أجاب وهو يدقُّ الجرس: «بعض اللحم البارد وكوب من البيرة. كنتُ مشغولًا تمامًا عن التفكير في الطعام، وفي الغالب سأكونُ أكثر انشغالًا هذا المساء. بالمناسبة يا دكتور، سأحتاجُ مساعَدتك».

– «يُسعدني هذا».

– «ألا تُمانِع أن تخالف القانون؟».

– «على الإطلاق».

– «ولا الهرب أو احتمال القبض عليك؟».

– «ليس إذا كان الداعي جيِّدًا».

– «أوه، الداعي ممتاز!».

– «أنا رجلك إذن».

– «كنتُ واثقًا من استطاعتي الاعتماد عليك».

«ما الذي تريده إذن؟».

– «سأشرحُ لك كلَّ شيءٍ عندما تُحضر مسز ترنر طبق الطعام».

ثم، عندما أحضرت صاحبة العقار وجبته البسيطة، بدأ يلتهمها بجوعٍ واضح، وقال: «يجب أن أناقش ما لديَّ وأنا آكلُ لأني لا أملك الكثير من الوقت. إنها الخامسة تقريبًا الآن، وبعد ساعتين يجب أن نكون في مسرح الأحداث. مس أيرين –أو مدام أيرين بالأحرى– تعود من نُزهتها في السابعة، ويجب أن نكون في بريوني لودج لنلقاها».

– «ثم ماذا؟».

– «دَع هذا لي، فقد رتَّبتُ ما سيحدث بالفعل. ثمَّة نقطة واحدة يجب أن أصرَّ عليها، ألا تتدخَّل مهما حدث، مفهوم؟».

– «سأظلُّ على الحياد؟».

– «لا أريدك أن تفعل أيَّ شيءٍ على الإطلاق. قد يقع شيء غير لطيف، لكن لا تتدخَّل فيه، فسينتهي بدخولي إلى المنزل. ثم بعد مرور أربع أو خمس دقائق ستُفتَح نافذة غُرفة الجلوس، وأريدك أن تقف بالقرب من تلك النافذة المفتوحة».

– «حسن».

– «أريدك أن تُراقبني، فسأكون ظاهرًا لك».

– «حسن».

– «وعندما أرفع يدي –هكذا– أريدك أن تُلقي شيئًا سأعطيك إياه داخل الغُرفة، ثم ترفع صوتك في الوقت نفسه صائحًا إن هناك حريقًا. هل تُتابِع ما أقوله؟».

– «تمامًا».

قال وهو يُخرج شيئًا طويلًا له شكل السيجار من جيبه: «إنه ليس بالشيء المخيف، بل مجرَّد واحد من صواريخ الدخَّان من التي يستخدمها السبَّاكون لمعرفة إن كان هناك تسرُّب في أحد المواسير، مزوَّد بكبسولة عند كلِّ طرف للإشعال الذاتي. مهمَّتك تقتصر على هذا فقط. عندما تصيح أن هناك حريقًا، ستجد عددًا من الناس يفعلون مثلك. عندها أريدك أن تمشي إلى نهاية الشارع، وسأنضمُّ إليك خلال دقائق عشر. آملُ أني جعلتُ كلامي واضحًا».

– «أظلُّ على الحياد ولا أتدخَّل، أكونُ قريبًا من النافذة وأراقبك، وعند إشارتك ألقي هذا الشيء في الداخل وأصيحُ أن هناك حريقًا، ثم أنتظرك عند نهاية الشارع».

– «بالضبط».

– «إذن يمكنك الاعتماد عليَّ بالكامل».

– «ممتاز. أعتقدُ أن الوقت قد حان للتحضير للدور الجديد الذي سألعبه».

وغاب في داخل غرفة نومه، ثم عاد بعد بضع دقائق مُتَنكِّرًا في هيئة قسٍّ طيِّبٍ بسيط. اجتمعَت قُبَّعته السوداء العريضة وسرواله

الفضفاض ورباط عُنقه الأبيض ونظرته الودود مع مظهر الرجل الذي يتطلّع إلى ما حوله بفضولٍ حميد، لتجعل الوحيد القادر على مجاراته في التنكُّر هو مستر چون هار، الممثّل المسرحي العظيم. لم يكن هولمز يُبَدِّل زيَّه التنكُّري فحسب، بل كان يبدو لي أن تعبيرات وجهه وطريقته في الكلام –بل وروحه نفسها– تتبدَّل مع كلّ دورٍ جديد يتقمَّصه. لقد خسر المسرح مُمثّلًا عظيمًا، تمامًا كما خسر العلم مُفكّرًا حادَّ الذّكاء عندما اختار شرلوك هولمز أن يتخصَّص في الجريمة.

كانت الساعة قد بلغت السادسة والرُّبع عندما غادرنا بيكر ستريت، وعندما وجدنا نفسينا في سرپنتين آڤنيو كانت دقائق عشر لا تزال تفصلنا عن الموعد. كان الغسق قد حلّ بالفعل، وقد بدأت مصابيح الشوارع تضاء للتَّوِّ ونحن نقطع الطريق أمام ڤيلا بريوني لودج جيئةً وذهابًا في انتظار عودة ساكنتها. كان المترل تمامًا كما تخيَّلته بناءً على وصف هولمز الدقيق، وإن بدا لي أن موقعه يتمتع بخصوصيَّةٍ أقل مما توقَّعت. على العكس، فبالنِّسبة لشارعٍ صغيرٍ يقع في حيٍّ هادئ، كان مُفعَمًا بالحركة على نحوٍ أدهشني. كانت هناك زُمرة من الرجال ذوي الملابس الرثّة يُدَخِّنون السجائر ويتضاحكون عند إحدى النواصي، ورجل يدفع عربة لسنِّ السكاكين، وحارسان يغازلان مُمرِّضة، بالإضافة إلى العديد من الشباب حسني الهندام الذين يتجوَّلون في الشارع وقد تدلّى السيجار من أفواههم.

قال هولمز ونحن نتمشَّى أمام المترل: «الفكرة أن هذه الزيجة تُبَسِّط الأمور لقد صارت الصُّورة سلاحًا ذا حدَّين الآن، والرهان على أنها

تخشى فكرة أن يراها مستر جودفري نورتون، تمامًا كما يخشى عميلنا أن تقع في يد أميرته. السؤال الآن: أين نجد الصُّورة؟».

– «أين فعلًا؟».

– «من المستبعَد تمامًا أنها تحملها معها، فهي من الحجم الكبير، أكبر من أن تستطيع امرأة إخفاءها في ثيابها. إنها تعرف أن الملك قادرٌ على نَصب كمينٍ لها وتفتيشها، وقد جرت محاولتان من ذلك النوع بالفعل. نستنتج إذن أنها لا تحملها معها».

– «أين إذن؟».

– «مع محاميها أو الشخص الذي يتولّى شؤونها الماليَّة. إنه احتمال مزدوَج، لكني أميلُ إلى الاعتقاد أنه لا هذا ولا ذاك. النساء يُفَضِّلن الحفاظ على أسرارهن بأنفسهن، فلمَ تُعطيها لأحدٍ آخَر؟ إنها تثق بقُدرتها الخاصَّة على حماية الصُّورة، لكنها لم تعرف نوعَ الأثر السياسي أو الأثر غير المباشر الذي سيُحدثه هذا مع رجل أعمالٍ كبير. تذكَّر أنها عازمة على استخدامها خلال أيامٍ قليلة، فلا بُدَّ أنها في مكانٍ ما في متناوَل يديها. لا بُدَّ أنها في منزلها».

– «لكنهم سطوا على المنزل مرَّتين».

أطلق هولمز صيحة ساخرة، ثم قال: «كانوا يجهلون كيف يبحثون».

– «وكيف ستبحث أنت؟».

– «لن أبحث».

– «ماذا إذن؟».

– «سأجعلها تُريني إياها».

– «لكنها سترفض».

– «لن تكون قادرةً على الرفض. إنني أسمعُ صوت عجلات، فلا بُدَّ أنها عربتها أريدك أن تُنَفِّذ تعليماتي بالحرف الواحد».

كان يتكلّم وبريق مصابيح عربة أجرة يلوح عند ناصية الشارع. كان حنطورًا سريعًا صغيرًا توقّف أمام أبواب بريوني لودج، وفي اللحظة نفسها اندفع واحد من المتسكّعين عند الناصية ليفتح الباب على أمل أن ينال منها قطعة من العُملة، قبل أن يدفعه متسكّع آخَر بِرفقه عندما اندفع بدوره للهدف نفسه. شبَّ شجار عنيف سرعان ما تفاقَم مع انضمام الحارسين لمتسكّعٍ، وصاحب مسنٍّ السكاكين إلى الآخَر هوى أحدهم على الآخر بضربة، وفي غمضة عين وجدت السيِّدة –التي كانت قد نزلت من الحنطور– نفسها في مركز حفنة من المتشاجرين الغاضبين يهوون على بعضهم البعض بالعصي واللكمات. اندفع هولمز نحو الحشد كي يحمي السيِّدة، لكن بمجرَّد أن بلغها أطلق صرخة وسقط على الأرض والدماء تجري على وجهه بغزارة. مع سقوطه، فرَّ الحارسان في اتجاه والمتسكّعون في اتجاه آخَر، بينما تجمَّع عددٌ من المهَندمين –الذين كانوا قد احتشدوا لمُشاهَدة الشجار وإن لم يُشاركوا فيه– لمساعَدة السيِّدة والرجل الجريح. كانت أيرين آدلر –كما أحبُّ أن أُسمّيها– قد صعدت درجات السلالم إلى المنزل، لكنها توقّفت في الأعلى وأضواء الردهة تُحَدِّد

قوامها الجميل، ونظرت نحو الشارع، وسألت: «هل أصيب السيِّد بجرحٍ بالِغ؟».

صاح بعضهم: «لقد مات!».

وصاح آخَر «لا، لا، إنه ما زال حيًّا! لكنه سيموت قبل أن يبلُغ المستشفى!».

وقالت امرأة: «إنه رجل شجاع. كانوا سيسرقون حقيبة السيِّدة وساعتها لولاه. إنهم عصابة، وعصابة عنيفة. آه، ها هو يتنفس الآن!».

– «لا يُمكننا أن نتركه في الشارع. هل تسمحين بأن نُدخله يا سيِّدتي؟».

– «بالتأكيد. أدخلوه إلى غُرفة الجلوس. لديَّ أريكة مريحة هناك. تفضَّلوا من هنا!».

ببُطءٍ وعنايةٍ حملوه إلى داخل بريوني لودج ومدَّدوه في الغُرفة الرئيسة، بينما ظللتُ أراقب ما يحدث من مكاني بالقُرب من النافذة. كانت المصابيح مضاءة، لكن الستائر لم تكن مُسدَلة، فرأيتُ هولمز وقد تمدَّد على الأريكة. لا أدري إن كان شعور بتأنيب الضمير قد راوده في تلك اللحظة بسبب الدور الذي يُمَثِّله، لكني عن نفسي لم أشعر في حياتي قَطُّ بذلك الخَجَل الذي اعتراني عندما رأيتُ تلك المخلوقة الجميلة التي نتآمر عليها، والكياسة واللُّطف اللذين تعاملَت بهما مع الرجل الجريح. على أن أسودَ خيانة يمكنني أن أرتكبها في حقِّ

هولمز أن أنسحب الآن من لعب الدور الذي شرحه لي. هكذا جمَّدتُ قلبي، وأخرجتُ صاروخ الدخَّان من معطفي، قائلًا لنفسي إننا لا نؤذيها، بل نبغي منعها من إيذاء الآخَرين.

اعتدل هولمز جالسًا على الأريكة، ورأيته يُحرِّك يديه كرجلٍ في حاجة إلى هواء، فهُرِعَت خادمة لتفتح النافذة، وفي اللحظة ذاتها رأيته يرفع يده بالإشارة التي اتَّفقنا عليها، فألقيتُ الصاروخ داخل الغُرفة صارخًا: "حريق!"، ولم تكد الكلمة تغادر فمي حتى بدأ جميع المُحتشدين –رثُّ الثياب ومُهَندَمها، السَّادة والخدم وسائسو الخيل– في ترديد "حريق!" بدورهم. انتشرت سُحب كثيفة من الدخَّان في الغُرفة وخرجت من النافذة المفتوحة، ولمحتُ أشباحًا تهرع هنا وهناك، وبعد لحظة سمعتُ صوت هولمز من الداخل يُطَمئنهم أنه كان مجرَّد إنذارٍ زائف. انسللتُ بين الجموع الصاخبة، وشققتُ طريقي إلى ناصية الشارع، ولم تمضِ دقائق عشر حتى انضم إليَّ صديقي وتأبَّط ذراعي، وشعرتُ بالسرور للابتعاد عن مسرح كلّ هذا الصخب. سار هولمز صامتًا بخطواتٍ سريعةٍ لبضع دقائق، إلى أن انعطفنا إلى شارعٍ هادئ يقود إلى إدجوير رود.

أخيرًا قال: «أبليتَ بلاءً عظيمًا يا دكتور أفضل نتيجة ممكنة. كلُّ شيءٍ على ما يرام».

– «هل الصُّورة معك؟».

– «أعرفُ أين هي».

– «وكيف عرفت؟».

– «لقد أرتني إياها، تمامًا كما قلتُ لك».

– «ما زلتُ لا أفهم».

قال ضاحكًا: «لا أرغبُ في أن أجعل هذا لُغزًا. المسألة شديدة البساطة. لقد رأيتَ لا شكَّ أن جميع من في الشارع كانوا شركاءً لي يعملون باتِّفاقٍ معي الليلة».

– «هذا ما خمَّنته».

– «ثم عندما بدأ الشجار، وضعتُ بعض الطلاء الأحمر السائل في راحة يدي، ثم اندفعتُ نحوهم وسقطتُ مُمسكًا وجهي بيديَّ ليصبح منظري يثير الشفقة».

– «هذا أيضًا خمَّنته».

– «ثم حملوني إلى الداخل. هي كانت مضطرَّة لأن تُدخلني، فما الذي يُمكنها أن تفعله غير هذا؟ ثم وضعتني في غُرفة الجلوس، وهي الغُرفة التي كنتُ أشكُّ فيها، هي وغُرفة نومها، وكنتُ عازمًا على أن أرى الغرفتين. ثم مدَّدوني على أريكة، وحرَّكت يدي طالبًا الهواء، فاضطرُّوا لفتح النافذة، ثم جاء دورك».

– «وكيف ساعَدك ذلك؟».

– «كانت خطوة مهمَّة جدًّا. عندما تحسب امرأة أن منزلها يحترق، فإن غريزتها تدفعها لأن تهرع إلى أثمن شيءٍ لديها في الحال. إنه حافز شديد القوَّة إلى أقصى حد، ولقد استغللته أكثر من مرَّة. كان مفيدًا لي في قضيَّة فضيحة استبدال دارلينجتن، وقضيَّة قلعة آرسوورث.

المتزوجة تهرع إلى طفلها، وغير المتزوجة إلى صندوق المجوهرات. طبعًا كان واضحًا لي أن سيِّدتنا العزيزة لا تملك شيئًا في منزلها أثمن من الهدف الذي نسعى وراءه، وستهرع لتحفظه. إنذار الحريق تمّ على نحوٍ يثير الإعجاب فعلًا، والدخَّان والصراخ كانا كفيلين بهزِّ أعصاب من حديد، واستجابت هي للحيلة بشكلٍ رائع. الصورة موجودة في تجويفٍ وراء لوحٍ منزلِق فوق الجرس الأيمن. لقد بلغتها في لحظة، ولمحتُها وقد أخرجَتها جزئيًّا من التجويف. عندما هتفتُ أنه إنذار زائف، وضعَتها في مكانها مرَّةً أخرى، ونظرت إلى الصاروخ، ثم اندفعت مغادرةً الغُرفة، ولم أرها بعدها. هكذا نهضتُ واستأذنتُ وغادرتُ المنزل. تردَّدتُ في فكرة أن أحاول استعادة الصورة الآن، لكن سائقها الخاص كان قد دخل المنزل ويُراقبني عن قُرب، فقرَّرتُ أن الانتظار أكثر أمنًا. قليلٌ من الاندفاع قد يُفسد كلَّ شيء».

سألته: «والآن؟».

– «لقد انتهت مهمَّتنا عمليًّا. سنزور الملك غدًا معًا، إذا أردت المجيء معنا، ثم عندما نصل سيجعلوننا نجلس في غُرفة الجلوس في انتظار السيِّدة، لكن عندما تأتي فغالبًا لن تجدنا أو تجد الصورة. قد يشعر جلالته بالارتياح إذا استعادها بيديه».

– «متى؟».

– «في الثامنة صباحًا. لن تكون قد استيقظَت بعد، وسيكون المكان آمنًا. كما أننا يجب أن نُسرِع، فقد يعني هذا الزواج تغييرًا كاملًا في حياتها وعاداتها. يجب أن أبرق إلى الملك بلا إبطاء».

كنا قد بلغنا بيكر ستريت ووقفنا عند الباب، وكان هولمز يُنَقِّب في جيوبه عن المفتاح، عندما مرَّ أحدهم قائلًا: «تُصبِح على خير يا مستر هولمز».

كان هناك أشخاص كثيرون على الرصيف وقتها، وإن بدا أن التحيَّة قد جاءت من شابٍّ نحيل يرتدي معطفًا واسعًا مرَّ بنا بسرعة.

وقال هولمز وهو يرمق الشارع ضعيف الإضاءة: «لقد سمعتُ هذا الصوت من قبل. تُرى من يكون صاحبه؟».

***

الفصل الثالث

قضيتُ تلك الليلة في بيكر ستريت، وكنا نتناول الخبز المحمَّص والقهوة في الصباح التالي، عندما اندفع ملك بوهيميا داخلًا علينا. وصاح وهو يقبض على كتفي شرلوك هولمز وينظر في وجهه بلهفة: «هل حصلت عليها فعلًا؟».

– «ليس بعد».

– «لكن لديك أمل؟».

– «لديَّ أمل».

– «هلُم إذن. إنني لا أطيقُ صبرًا حتى أرحل».

– «يجب أن نجد عربة أجرة».

– «لا، عربتي تنتظرنا».

– «هذا يُسَهِّل الأمور إذن».

ونزلنا متّجهين إلى بريوني لودج مرَّةً أخرى.

قال هولمز: «أيرين آدلر تزوَّجت».

– «تزوَّجت؟! متى؟».

– «بالأمس».

– «مَن؟».

– «محامٍ إنجليزي اسمه نورتون».

– «لكن ليس من الممكن أنها تحبُّه».

– «آملُ أنها تحبُّه في الحقيقة».

– «ولِمَ؟».

– «لأن هذا سيعفي جلالتك من أيِّ إزعاجٍ آخَر في المستقبَل. إذا كانت السيِّدة تحبُّ زوجها، فهي لا تحبُّ جلالتك، وإذا كانت لا تحبُّ جلالتك، فليس لديها سبب يجعلها تتدَّخل في خُطط جلالتك».

قال الملك: «هذا صحيح. ومع ذلك... ليكن! ليتها كانت من مقامي! لكانت ملكةً رائعة!».

ثم إنه لاذ بصمتٍ واجم إلى أن بلغنا سربنتين آڤنيو، حيث وجدنا باب بريوني لودج مفتوحًا، وكانت امرأة عجوز تقف على الدرجات وترمقنا بنظرةٍ ساخرةٍ ونحن نترل من العربة.

قالت: «مستر شرلوك هولمز على ما أعتقد؟».

أجابها صديقي وهو يرمقها بنظرةٍ متسائلة شابها الانزعاج: «أنا مستر هولمز».

– «بالتأكيد! سيِّدتي قالت إنك ستزورنا. لقد رحلَت هذا الصباح مع زوجها في قطار الخامسة والرُّبع في الطريق إلى خارِج القارَّة».

تراجع شرلوك هولمز إلى الوراء وقد شحب وجهه ولاحت الصدمة والدهشة على وجهه، وصاح: «ماذا؟ هل تعنين أنها غادرت إنجلترا؟».

– «ولن تعود أبدًا».

قال الملك بصوتٍ مبحوح: «وماذا عن الأوراق؟ لقد ضاع كلُّ شيء».

– «سنرى»، قال هولمز واندفع متجاوِزًا الخادمة، والملك وأنا في أعقابه. كانت قطَع الأثاث مبعثرةً في كلِّ اتجاه، الأرفُف عارية والأدراج مفتوحة، كأن السيِّدة نهبت محتويات المكان قبل فرارها.

اندفع هولمز نحو الجرس، وانتزع لوحًا مُنزلِقًا صغيرًا، ثم دسَّ يده داخل التجويف، ليخرُجها مُمسكًا بصورةٍ ورسالة. كانت الصورة لأيرين آدلر نفسها وهي ترتدي فستان سهرة، والرسالة كانت إلى *"شرلوك هولمز، المحترَم. تُترَك حتى يفتحها"*

فتح صديقي الرسالة، وقرأها ثلاثتنا معًا. كان موعد كتابتها هو منتصف الليلة السابقة، وتقول:

"عزيزي مستر شرلوك هولمز،

كنتَ شديد البراعة حقًا، ونجحتَ في خداعي تمامًا. إنني لم أرتَب في أيِّ شيء حتى كان إنذار الحريق، لكني عندما أدركتُ أنني خدعتُ نفسي، بدأتُ أفكّر. ثمّة من كان قد حذّرني منك منذ شهور، وقال لي إنه إذا كلّف الملك عميلًا له لاستعادة الصورة، فإنه سيكون أنت لا شك، وأعطاني عنوانك. وعلى الرغم من كلّ ذلك، جعلتني أكشف لك عما أردت معرفته. حتى بعدما بدأت الشكوك تُراودني، وجدتُ أن من الصعب أن أسيء الظّنّ بقسّ عجوز لطيف. على أنك تعرف أنني تدرَّبتُ على التمثيل عن نفسي، والتنكّر في هيئة رجلٍ ليس بالشيء الجديد عليّ، وكثيرًا ما أستغل الحُرّيّة التي يمنحها كذلك. لقد أرسلتُ چون -سائقي الخاص- لمراقبتك، ثم هرعتُ إلى أعلى ووضعتُ ملابس التجوُّل -كما أُطلق عليها- ونزلتُ وأنت تغادر.

ثم إنني تبعتك إلى باب منزلك، وتأكّدتُ من أنني محطُّ اهتمام مستر هولمز الشهير بالفعل، لكنني تصرَّفتُ بشيء من الحماقة عندما تمنّيتُ لك ليلة طيّبة، وتوجّهت نحو جمعيّة المشرّعين لأرى زوجي.

قرّرنا معًا أن الفرار هو أفضل ملاذ الآن في مواجهة خصمٍ قوي مثلك، ولهذا ستجد العُشّ خاليًا عندما تأتي في الصباح. أما بالنّسبة للصورة، فقُل لعمليك أن يطمئن، فأنا أحبُّ رجلًا أفضل منه ويُحبُّني، ويستطيع الملك الآن أن يفعل ما يشاء دون أيِّ معوّقات من المرأة التي أخطأ في حقّها بقسوة. احتفاظي بها لحماية نفسي فقط، وللحفاظ على سلاحٍ دائمٍ ضد أيِّ خطوات قد يتّخذها في المستقبَل. على كلّ حال، لقد تركتُ صورة قد يرغب في الاحتفاظ بها.

المُخلصة لك دائمًا يا مستر شرلوك هولمز،

أيرين، نورتون/آدلر"

صاح ملك بوهيميا عندما فرغنا من قراءة الرسالة: «يا لها من امرأة! يا لها من امرأة! ألم أقل لك كم هي ذكيَّة عنيدة؟ ألم تكن لتُصبِح ملكة تثير الإعجاب؟ أليس من المؤسف أنها ليست من مقامي؟».

قال هولمز ببرود: «مما رأيتُ من السيِّدة، فهي على مستوى مختلف تمامًا عن مستواك فعلًا يا جلالة الملك. أعتذرُ لعدم استطاعتي تنفيذ مهمَّة جلالتك بنجاحٍ أكبر».

صاح الملك: «على العكس يا سيِّدي العزيز، لا يوجد ما هو أنجح من هذا. إنني أعرفُ أنها ستصون كلمتها. الصُّورة آمنة الآن تمامًا كما لو أنها احترقت».

– «يُسعدني أن أسمع جلالتك تقول هذا».

– «إنني مدينٌ لك إلى أقصى حَد. قُل لي أرجوك كيف أُكافئك. هذا الخاتم»، وخلع خاتمًا من الزمرُّد على شكل ثعبان من إصبعه ومدَّه إليه في راحة يده، فقال هولمز: «جلالتك معه شيء أعتبره أعلى قيمةً».

– «اطلبه».

– «الصُّورة!».

نظر إليه الملك بدهشة، ثم قال: «صورة أيرين؟! بالتأكيد، إذا كنت تريدها».

– «أشكرُ جلالتك. هكذا انتهت هذه المسألة إذن. يُشرِّفني أن أتمنّى لك نهارًا سعيدًا جدًّا».

وانحنى هولمز، ثم التفت دون أن يُلاحظ اليد التي مدَّها الملك لمصافَحته، وتحرَّك في صُحبتي عائدًا إلى بيته.

وهكذا كانت نهاية الفضيحة التي كانت تُهدِّد مملكة بوهيميا، وكيف تغلَّب ذكاء امرأة على خُطَط شرلوك هولمز المُحكَمة.

كان قد اعتاد السخرية من ذكاء النساء، لكني لم أعُد أسمعه يفعل هذا مؤخَّرًا؛ وعندما يتكلَّم عن أيرين آدلر، أو عندما يذكُر صورتها، فإنه يُطلق عليها دائمًا لقب "المَرأة" الذي اختصَّها به دون غيرها.

الكعكة المسمومة

تري بيسون

مرحبًا. أنا رون، رئيس المُساعدين التنفيذيِّين لمقدِّم البرنامج، لكن يُمكنك مخاطَبتي برون فقط. دعيني أبدأ -رغم ما في هذا من غرابة- بأن أهنِّئك.

أعرفُ طبعًا. إنني أعملُ في هذا البرنامج منذ ستِّ سنوات كاملة، فكيف لا أعرف؟ لكن تعامَلي مع الأمر من هذا المنطلَق يا كيم... هل تسمحين أن أخاطبك باسم كيم مُجَرَّدًا؟ لقد وقع عليك الاختيار لتمثيل الجنس البشري كله لليلة واحدة. وليس البشر فقط، بل وجميع الطيور والحيوانات كذلك، الدُّود والفراشات، والأسماك في البحار، والزهور في الحقول.

لمدَّة نصف ساعة كاملة هذه الليلة ستكونين ممثّلةً لجميع صُور الحياة على هذا الكوكب، وربما في جميع أنحاء الكون على حدِّ علمنا. ألا يستحقُّ هذا التهنئة؟ لك أن تشعري بالفخر، وأن تشعر به عائلتك أيضًا.

هل كانت لك... أقصد هل لديك عائلة؟ هذا جميل. كلنا نعرف أيَّ برنامجٍ سوف يُشاهدون الليلة، أليس كذلك؟ أعرفُ بالطبع أن الجميع يُشاهدونه على كلّ حال، أكثر من حفلات الأوسكار بفارق ثمان إلى عشر نقاط كاملة. هل تعلمين أن النقطة الواحدة تساوي ثلاثة عشر مليون مُشاهد؟

حسن، هل ظهرت على شاشة التليفزيون من قبل؟ عظيم. أنا أيضًا كنت أحب بيل موري كثيرًا، رحمه الله. حسن، إن تسعة وتسعين بالمئة من العمل التليفزيوني هو الإعداد، خصوصًا عندما يكون البَث مباشرًا. تفضَّلي هنا معي، ولننتهز هذه الفُرصة لمراجَعة الخطوات مع مسؤولي الإضاءة -ومعك أيضًا بالطبع- كي يكون تركيزك كله مُنصبًّا على الحدث نفسه فقط الليلة.

بعدك، تفضَّلي، إنها ليلتك أنت، انتبهي لخطواتك، هناك الكثير من الأسلاك.

حسن، نُطلق على هذه المنطقة يسار المسرح. في الثامنة و59 دقيقة، أي قبل دقيقة واحدة من بدء العرض، ستُخرِجك واحدة من الفتيات إلى المسرح. نعم، واحدة من تلك الفتيات ذوات الفساتين الخضراء القصيرة. ماذا؟ من المفترَض أن يكونوا رجالًا يرتدون

البكيني بما أنك امرأة؟ آه، إنها دعابة. لديك حس فكاهة لا بأس به يا كيم. هل تسمحين أن أخاطبك باسم كيم مُجَرَّدًا؟

نعم، هذا صحيح.

على كلّ حال، سوف تقفين هنا، أصابع قدميك على العلامة. لا تقلقي، لن تثبت الكاميرات عليك طويلًا، ليس بعد. ستكونين جزءًا من المشهد العام فقط في البداية. ستكون هناك أغنية واحدة يغنّيها كورال أطفال جمعيّة رينبو الدوليّة، "ها هي الشمس تُشرق" على ما أعتقد. كل ما عليك فعله هو أن تقفي في مكانك وتبدي جميلة. ماذا؟ لتبدي وقورة إذن، لا فارق. أنت أول امرأة منذ عامين بالمناسبة. آخر مستهلكَيْن كانا من الرجال.

لا أدري السَّبب في الحقيقة. إننا نُطلق عليهم اسم المستهلكين فحسب. هل هناك اسم معيَّن تريدين منا إطلاقه عليك؟

هذه دعابة أخرى، أليس كذلك؟ لا يهم.

حسن، ستنتهي الأغنية في التاسعة و7 دقائق، ثم بعض التغيير في إضاءة المسرح، ثم يخرج مقدِّم البرنامج. لا حاجة بي لإخبارك بأنه سيكون هناك تصفيق بالطبع، ثم يتجه إليك، و... هل تُفَضِّلين قُبلة أم مصافحة؟ كما تشائين. القليل من الثرثرة بعد المصافحة، أين وُلدت، وظيفتك، إلخ... من أين أنت بالمناسبة؟ هذا لطيف جدًّا! لم أكن أعرف أنهم يتكلّمون الإنجليزيَّة هناك، لكنها خضعت للاحتلال البريطاني لسنواتٍ طويلة، أليس كذلك؟

حسن، لا يُقلقنَّك ما ستقولينه، فمقدِّم البرنامج يعرف كلَّ شيءٍ عن خلفيَّتك، وسيُلقي عليك سؤالًا قصيرًا أو اثنين، تمامًا كما في برنامج ***Jeopardy***. هل تعرفينه؟

تودين لقاءه؟ نعم، بالطبع، ربما قبل العرض الليلة إذا سمح الوقت. لكن يجب أن تعرفي أن مستر كريستال رجل مشغول جدًّا يا كيم. هل تسمحين أن أخاطبك باسم كيم مُجَرَّدًا؟

نعم، هذا صحيح. نسيت، آسف.

حسن، على كلّ حال، بعض الثرثرة حتى التاسعة و10 دقائق. كلُّ شيءٍ مدوَّن معي هنا بالدقيقة كما ترين. في التاسعة و10 دقائق يتم تغيير الإضاءة، ثم يخرج رؤساء السوق المشتركة والاتحاد الإفريقي والأمريكتين، إلخ... خمسة من القادة، منهم امرأة هذا العام على ما أعتقد. سيكون هناك بيان قصير، لا شيء معقّدًا، «إن شجاعتك العظيمة تصون أسلوب حياتنا» أو شيء من هذا القبيل. سيلقون بضع كلماتٍ عن طريقة عمل القُرعة، بما أن هذا هو أول عام يتم السماح فيه للناس بشراء تذاكر لغيرهم.

آسف لهذا. بالطبع كان التطوُّع ليصبح أفضل، لكن لا بُدَّ أن أحدهم ابتاع لك تذكرة. هكذا يتم الأمر كله كما تعلمين.

حسن، أين كنا؟ التاسعة و13 دقيقة. سيكون مع الرؤساء لوحة شرف ستأخذها عائلتك فيما بعد، لكن لا تأخذيها، بل اطّلعي عليها فقط. ثم القُبلة... آسف، المصافحة. سأدوِّن هذا كي لا أنسى. ثم يخرج الرؤساء من يمين المسرح. لا تقلقي، الفتيات يتولَّين الحركة كلها.

في التاسعة و14 دقيقة ستخفت الإضاءة ليبدأ استعراض السُّكّان الأصليين، الذي ستُشاهدينه من مكانك في يسار المسرح بالطبع. قد يروق لك حتى. ثلاث نساء وثلاثة رجال، وتريَّات وطبول وما إلى ذلك. سترقص النساء، بينما يُغنِّي الرجال «العلم كان عدوًّنا من قديم، أما الآن فقد صار أخانا الحميم» أو ما شابه. ستشعرين بشيءٍ على مؤخِّرة عنقك. إنها ماكينة الرياح، فلا تقلقي. سينتهي الاستعراض في التاسعة و17 دقيقة، ثم يخطون إليك ويُسَلِّمونك لفافة من لحاء الشَّجر، خذيها لكن لا تفتحيها في التاسعة و18 دقيقة سيخرجون من يسار المسرح، وهذه نهاية الـــ... ماذا؟ لا، الرعاة الرسميُّون أنفسهم لا يظهرون.

حسن، إنها التاسعة و19 دقيقة، وهذه هي نهاية التسخين كما نُطلق عليه، ثم يعود مقدِّم البرنامج وتسيرين معه إلى منتصف المسرح. دعينا نجرِّب. سوف يساعدك على البقاء في دائرة الضوء. سيُبدي

إعجابه باللفافة، دعابة أو اثنتان، بعض الثرثرة. لا تقلقي، إنه يُقَدِّم البرنامج للعام السادس على التوالي، ولم يخطئ مرَّة.

لن تكون كلُّ هذه الأسلاك موجودة على الأرض الليلة.

حسن، إنها التاسعة و20 دقيقة وأنت في منتصف المسرح، أصابع قدميك هنا. المزيد من تغيير الإضاءة، ثم يقوم مقدِّم البرنامج بتقديم رئيس المعهد الدولي لعلوم البيئة الذي سيأتي من يسار المسرح ومعه الكعكة بالطبع. إننا لن نراها في البداية، لأنها ستكون داخل كيسٍ ورقيٍّ أبيض، ثم سيضعها أمامك هنا على المنصَّة.

سيقف هنا، وهذه العلامات الخضراء له. (إننا نُطلق عليه اسم الأخضر الوقح بالمناسبة)، ثم يبدأ كلمته عن شرور العلم في التاسعة و22 دقيقة، «لقرونٍ طويلة والعلم يُسَمِّم الأرض ويُلَوِّث الهواء ويُفسد المياه، إلخ... إنها الكلمة نفسها من العام الماضي لكن مختلفة بعض الشيء، إذا كنت تفهمين ما أعنيه. ثَمَّة فيديو سيُعرَض في الآن نفسه نُطلق عليه اسم الفيديو الحزين. ليس من الضروري أن تُشاهديه إذا لم ترغبي، لكن عليك أن تبدي مهتمَّة أو حتى مترعجة، لا يهم. لقد حدث كلُّ ما فيه بالفعل! الأنهار الجافَّة والطيور الميتة والتلوُّث. سيستغرق هذا دقيقتين.

حسن، إنها التاسعة و24 دقيقة، حيث سيبدأ عرض الڤيديو الآخَر، الڤيديو المرِح، سماء زرقاء، طيور، دببة، إلخ... أثناء عرضه سيُلقي رئيس المعهد الدولي لعلوم البيئة كلمته الأخرى عن عجائب العلم، وسيشرح كيف استطاع العلماء جمْع واحتواء جميع المواد الضارَّة والملوِّثة على مدار العام المنصرِم كله وحفظ البيئة منها، و...

كيف؟ لا أدري في الحقيقة. إنني لا أصغي للجزء التقني أبدًا... إنه شيء ما نانو- ميني- جزيئي لا أفقه منه حرفًا. لكن الرجل سيشرح كلَّ شيء. أعتقد أنه سيكون هناك رسم بياني كذلك. على كلِّ حال، سيشرح كيف يتم جمْع وتركيز جميع المواد الضارَّة والملوِّثة على مدار العام المنصرِم في كعكةٍ واحدةٍ فقط. العام المقصود هو العام المالي بالمناسبة، ولهذا السبب تتم المراسم الليلة، وليس ليلة رأس السنة.

حسن، ثم سيُناوِلك الكيس الورقي ويخرج من يمين المسرح في التاسعة و27 دقيقة. الآن ليس هناك سواك أنت ومقدِّم البرنامج، والكعكة في كيسها بالطبع.

قد تكون هناك الكثير من الدُّهون عليها، لا أدري، لكن يمكنك أن تُمسكيها من أعلى إذا أردت!

حسن، في التاسعة و28 دقيقة ستسمعين دقَّات الطبول. قد يبدو هذا سخيفًا لك الآن، لكنه لن يبدو سخيفًا وقتها أعرفُ هذا لأني

كنت هنا طوال الأعوام الستّة الماضية، وفي كلّ مرّةٍ تغرورق عيناي بالدموع، في كلّ مرّةٍ لعينة! تقترب الكاميرات منك، وتمدين يدك داخل الكيس. هذه هي لحظتك، و...

ماذا؟ إنها تبدو كأيّ كعكةٍ أخرى. بالتأكيد ستكون مدهونةً بالعسل إذا كان هذا طلبك!

حسن، إنها التاسعة والنصف، لكن لا تشغلي نفسك بالوقت، فهذه لحظتك. هي لحظتنا جميعًا في الحقيقة، لحظة كلّ من يهتم بالبيئة في العالم، وهذا يتضمّن الجميع في أيامنا هذه. ستمدين يدك داخل الكيس وتُخرجين الكعكة...

ماذا سيحدث بعدها؟ أرى أنك ما زلت تمزحين. إنني معجبٌ حقًّا بحسّ الفكاهة لديك يا كيم.

حسن، كلنا نعرف ما سيحدث بعدها.

ستأكلين الكعكة بالطبع.

حياتي

نيل جايمان

حياتي؟ صدِّقني، لست تريد أن تعرف شيئًا عن حياتي. لكن يا لجفاف حَلقي بحقِّ المسيح! شراب؟ حسن، طالما أنه على حسابك، واليوم حارٌّ فعلًا. لمَ لا؟ ليكن شرابًا صغيرًا إذن. بيرة ربما، وبعدها القليل من الويسكي. من الجميل أن تشرب في الأيام الحارَّة. مشكلة الشراب الوحيدة أنه يجعلني أتذكَّر، وأنا لا أريدُ أن أتذكَّر. خُذ أمي على سبيل المثال. كانت هناك امرأة لم أعرفها أبدًا كامرأة، لكني شاهدتُ صورًا لها قبل العمليَّة. قالت إنني في حاجة إلى أب، وبما أن أبي تخلَّى عنها بعد أن استعاد بصره (إثر ضربة على الرأس من قطعة بورميَّة وثبت من نافذة شقة في الطابق الثلاثين، لتهبط بمعجزة ما على البُقعة الصحيحة تمامًا، التي تكفَّلت بإعادة بصر أبي إليه قبل أن تقفز إلى الرصيف دون أن يمسَّها أذى، وقد أثبتت أن ما يقولونه عن هبوط

القطط على أقدامها دائمًا حقيقي)، وقد ادَّعى أنه حسب أنه تزوَّج من أختها التوأم التي لا تُشبهها في شيء وإن تحلَّت -بإعجاز الوراثة- بالصوت نفسه؛ وعليه حكم له القاضي بالطلاق بعد أن جرَّب أن يُغلِق عينيه ولم يستطع التفرقة بين صوتي المرأتين. هكذا تحرَّر أبي ورحل، وفي الطريق من المحكمة هوى على رأسه حُطام من السماء قال البعض لاحقًا إنه فضلات بشريَّة سقطت من طائرة مارَّة، وإن أسفرت التحليلات الكيميائيَّة عن وجود مواد غير معروفة للعلم فيها، وقالت الصُّحف إن الفضلات احتوت على بروتينات من الفضاء، لكن سرعان ما تمَّ التعتيم على هذا الكلام. هكذا أخذوا جثَّة أبي ليحفظوها في مكان آمن، وأعطتنا الحكومة إيصالًا اختفى المكتوب عليه بعد أسبوع. أعتقدُ أن لهذا علاقة بالحبر، لكن تلك قصَّة أخرى. ثم إن أمي أعلنت أنني في حاجة إلى وجود رجل في البيت، وأضافت أنها سوف تكون هذا الرجل، وعليه عقدت اتفاقًا مع طبيب ما وافق على إجراء عملية تغيير الجنس لها مجانًا بعد فوزهما بمسابقة التانجو المائي. أثناء نشأتي كنت أخاطبها بـ"أبي" دون أن أعي شيئًا من كلّ هذا. ثم إن لا شيء مثيرًا للاهتمام حدث لي بعدها. شرابٌ آخَر؟ حسن، حتى لا أتركك تشرب وحدك فحسب. بيرة أخرى، ولا تنس الويسكي، دوبل من فضلك. إنني لا أشرب في المعتاد، لكن اليوم حارٌّ فعلًا، وحتى من لا يشربون... تفهم ما أعنيه. إنه في يومٍ كهذا ذابت زوجتي. كنتُ قد قرأتُ عن القوم الذين يشتعلون فجأة. اسمه الاحتراق الذاتي. لكن ماري لو -هذا اسم زوجتي- كنتُ قد التقيتها يوم أفاقت من غيبوبتها. سبعون عامًا

قضتها نائمةً ولم يتقدَّم بها العمر يومًا. مخيفٌ حقًّا ما يمكن أن يفعله البرْق بك، وكلُّ هؤلاء الناس على متن الغواصة تجمَّدوا في الزمن تمامًا كماري لو بعد زواجنا كانت تذهب لزيارتهم وتجلس إلى جوارهم وتُشاهدهم وهُم نائمون. كنتُ أقودُ شاحنةً في تلك الأيام وكانت الحياة لا بأس بها، واستطاعت زوجتي التكيُّف مع العقود السبعة التي فاتتها. أحسبُ أنه لو لم تكن غسَّالة الأطباق مسكونة لكانت زوجتي بيننا اليوم. لقد افترست الغسَّالة عقلها، وطارد الأرواح الشريرة الوحيد الذي استطعنا المجيء به اتضح أنه قزم وليس قسًّا على الإطلاق. كلُّ ما معه كان شمعةً وجرسًا وكتابًا. دعك من أنه يوم ذابت زوجتي في فراشنا وتحوَّلت إلى سائل سُرقَت شاحنتي أيضًا بمصادفة ما. عندها قرَّرتُ أن أغادر الولايات وأجوب العالم، ومنذ ذلك الحين وحياتي راكدة كمياه المجاري، اللهم إلا لكن لا، إن عقلي خاوٍ تمامًا. لقد ابتلعَت الحرارة اللعينة ذاكرتي. شرابٌ آخَر؟ حسن، بالتأكيد...

عن شفتي براد پيت!

تشاك پولانك

كانت صديقتي آينا أول من أخبرني عن شفتي براد پيت وما يفعل بهما. كنا قد التقينا براد الصيف الماضي في سان پدرو بالقرب من لوس أنجليس، بالتحديد على مساحة ستة أفدنة من الخرسانة العارية في منطقة نزاع تخصُّ اثنتين من كبرى العصابات الأفرو-أمريكية في الولاية. كان هذا موقع تصوير الفيلم المأخوذ عن كتابٍ لي أذكره بالكاد. قبل هذا بقليل كان طاقم الموقع قد وجد أحد ساكني الحي مقيَّدًا إلى مقعد واحدةٍ من محطات الأتوبيس وقد فارَق الحياة بعد إصابته بعدَّة طلقات نارية. كان الطاقم وقتها يبني ديكور قصرٍ متهالك على الطراز الڤكتوري مقابل مليون دولار.

كلُّ هذا التشويق وهذه التهيئة كي لا أبدو أحمق أكثر من اللازم.

سيكون براد بيت هو محور الاهتمام هنا.

كانت الساعة الواحدة أو الثانية صباحًا عندما وصلتُ مع آينا إلى هناك. في معسكر الإنتاج كان الكومبارس نائمين وقد التفُّوا حول أنفسهم متزاحمين في سياراتهم ينتظرون أن يُنادَى عليهم للتصوير، وعندما ركنا السيارة شرح لنا أحد حرَّاس الأمن أننا يجب أن نمشي دون حماية خلال المربعين السكنيَّين الأخيرين إلى حيث المكان الذي يتم فيه تصوير الفيلم نفسه.

سمعنا صوت طلقة، ثم طلقة أخرى في الحي المظلم القريب.

قال لنا الحارس إن هناك غالبًا من يُطلق النار من سيارة عابرة، ثم أضاف أنه كي نبلغ موقع التصوير علينا أن نتحرَّك برؤوسٍ منخفضة وأن نركض. قال لنا أن نركض، الآن، هيا.

وهكذا ركضنا.

تقول آينا إن براد يلعق شفتيه كثيرًا، تقول آينا إنها غالبًا ليست عادةً تلقائيَّة بل يفعلها عن قصد، تقول آينا إن شفتي براد رائعتين.

لاحقًا أرسلت لي أختي فيديو لواحدة من حلقات أوبرا وينفري استضافت فيها براد بيت، وفعلًا كانت آينا على حق طوال الوقت.

عندما التقينا ببراد للمرة الأولى تحرَّك نحونا بخطواتٍ سريعة وقميصٍ مفتوح وبشرةٍ برونزيَّة مبتسمًا وقال لي: «شكرًا على أفضل *fuckin'* دور لعبته في حياتي!». هذا هو كلُّ ما أذكره تقريبًا، هذا ورغبتي في أن تكون لديَّ شفتان حقيقيتان.

الشفاه الكبيرة في كلّ مكان، تجدها لدى عارضات الأزياء ونجوم السينما. حيثما أعيش في أوريجون، في بيت في الغابة، من السهل عليك أن تتجاهل شريحة كبيرة من العالم، لكن ذات يوم وصلَنا البريد، وداخل الطرد كان مُكبِّر الشفاه.

قام براد –من أجل الفيلم– بقصّ رؤوس أسنانه الأمامية ولصقَ عليها رؤوس أسنان مكسَّرة، ثم إنه حلق رأسه، وبين المشاهد كان المسؤولون عن الملابس يفركون قميصه في التراب على الأرض، وعلى الرغم من هذا ظلّ يبدو شديد الوسامة بحيث لم تستطع آينا أن تنطق كلمتين مفهومتين أمامه، أما فتيات الحي فكن يقفن عند الحواجز على بعد مربَّعين سكنيين يهتفن باسمه.

كان يجب أن أجد لنفسي شفتين كهاتين.

طبقًا لما قالوه في شركة مستحضرات التجميل، فإنه يُمكن حقن الشفتين بالكولاچين، لكن المفعول لا يستمر طويلًا، والتكلفة السنويَّة ستكون في حدود 6880 دولارًا، كما أن الكولاچين يتحرَّك في الداخل، ما يعني أنه ستكون هناك كُتل صغيرة في الشفتين، علاوةً على أن عمليَّة الحقن تتسبَّب في كدمات داكنة وانتفاخات قد تدوم لمدَّة أسبوعٍ كامل، مع العلم أنه يجب حقنَ الكولاچين مرَّة كلّ شهر.

للأمانة، لقد اتَّصلتُ بخمسة جرَّاحي تجميل في أوريجون، كلهم يُجرون جراحات الشفاه وكلهم رفض مناقشة مُكبِّر الشفاه رفضًا قاطعًا، حتى عندما عرضتُ أن أدفع مئة دولار مقابل الاستشارة، حتى عندما جثوت على ركبتيَّ وتوسَّلت.

تعرفين من أقصد يا دكتور ليندا مولر!

كلّفني مُكبِّر الشفاه 25 دولارًا بالإضافة إلى دولاري مصاريف الشحن ونبرة الازدراء التي خاطبني بها الرجل الذي سجَّل طلبي. هذا المنتج ليس في السوق للرجال. من المفترض أننا أعلى من هذا. لكن هذا لا يلغي حقيقة أن مُكبِّر الشفاه لا يختلف كثيرًا عن عشرات الأنظمة المختلفة لتكبير القضيب التي يُمكن شراؤها.

هذه الأنظمة يُمكنك شراءها، واستخدامها، وكتابة مقالات طريفة سخيفة عنها، ومن ثم تُخصَم مصاريفها من ضرائبك؛ ولا حاجة للقول إن كثيرًا من تلك الأنظمة في طريقه إليَّ بالبريد الآن.

كلمة السر هي "المَص"، فكما هي الحال مع الأنظمة الخاصة بتكبير أعضاء الجسد الأخرى، يعمل مُكبِّر الشفاه بميكانيزم من المص الخفيف لنفخ الشفتين. المُكبِّر عبارة عن أنبوب مكوَّن من قطعتين متداخلتين ومغلق من طرف واحد. تضع الطرف المفتوح من الأنبوب على شفتيك ثم تسحب الطرف المغلق إلى الخارج ليتمدَّد الأنبوب ماصًّا شفتيك في داخله جاعلًا إياهما بارزتين ممتلئتين خلال دقيقتين فقط. في كتيِّب التعليمات يمتصُّ الأنبوب شفتي تلك المرأة الجميلة إلى طولٍ يجعلها أشبه بسمكة الجورامي.

هذه العمليَّة تصيب البعض بكدمة كبيرة حول الشفتين، تمامًا عندما كنت طفلًا تضع كوبًا بلاستيكيًّا حول فمك وذقنك وتسحب منه الهواء كله حتى يصبح ما حول شفتيك كله مزرقًّا يشبه ما تحت إبط هومر سمبسون.

لا يجب أن تستخدم مُكبِّر الشفاه إذا كنت تعاني من السكّري أو علّةٍ ما في الدم.

يقول الكتالوج إن شفتيك البارزتين الممتلئتين الجديدتين سوف تظلّا هكذا لمدة ستٍّ ساعات.

لا بُدَّ أن هذا ما كانت تشعر به سندريلا بالضبط.

ثَمّة أنظمة مص أخرى تعطيك حلمتين أكبر حجمًا وأكثر بروزًا.

لكَ أن تتخيَّل أن في المستقبل القريب ستبدأ كلّ ليلة كبيرة في حياتك قبلها بساعاتٍ بمصّ أدواتٍ من هنا وهناك لأعضاء جسمك المختلفة لجعل كلّ جزءٍ منك أكبر من حقيقته لبضع ساعات. عندها ستكون الليلة كلها عبارة عن سباقٍ مع الزمن لخلع ملابسك والحصول على شيءٍ من "الحنيَّة" قبل أن تعود إلى حجمك الطبيعي.

نعم، هناك أنظمة لتكبير خصيتيك كذلك.

كنت الزائر رقم 921 لموقع مُكبِّر الشفتين...

كنت الزائر رقم 50 ألف لكلّ موقع لمنتجات تكبير القضيب...

يجب عليك متابعة شفتيك مرّتين في اليوم طوال الأسبوع الأول، ما يعني جلسات قصيرة لمص شفتيك، ولا أخفي عليك أن هذا أقل متعة مما تحسب.

حسن، لقد قبّلتُ الشفاه الرفيعة والممتلئة، أما أنا فيُمكنك أن تعتبرني صاحب شفتين مختلطتين، مع كون شفتي السفلى ممتلئة وعدم

وجود شفة عليا تقريبًا. في بعض الثقافات يُحدثون ندوبًا في وجوههم بالسكاكين، وفي بعضها يُسَوُّون رؤوس الرُّضَّع بألواح الخشب، والبعض منهم يمطُّ عنقه باستخدام ملفّات معدنيَّة. كلُّ صُور الناشونال چيوجرافيك هذه مرَّت في مخيلتي إذ جلستُ في سيارتي برأسٍ مائل إلى الخلف بزاوية 45 درجة كما أوصى الكتالوج وقد أحكمتُ مُكبِّر الشفاه حول شفتيَّ اللتين يمصُّهما الأنبوب. إن الجمال من دعائم الثقافة، من المعايير المتفق عليها ضمنيًّا. لا أحد كان ينظر إلى چورچ واشنطن بأسنانه الخشبية وباروكته المنشَّاة ويقول إنه ضحيَّة للموضة.

بعد مضي دقيقتين –الحد الأقصى الذي يوصي به الكتالوج– لم أبدُ مثل براد، وعندما حاولتُ الكلام خرجت جميع حروفي الساكنة كحرف (ب). شعرتُ بشفتيَّ جافَّتين متورِّمتين كأني أكلتُ برميلًا كاملًا من الفشار كثير الملح.

هكذا بدأتُ أفهم لماذا لم تكن أي من الفتيات في الكتالوج تضحك.

خرجتُ من السيارة ولا أزال أملك وقتًا قبل أن تتقلّص شفتاي إلى حجمهما الأصلي ودخلت ورشة الكتابة، حيث سألني صديقي مات: «ألم يكن لديك شارب من قبل؟».

حاولتُ أن ألعقهما على طريقة براد في حلقة برنامج ***Oprah***.

مالت صديقتي إرين عليَّ وقطّبت جبينها بشدة وقالت: «هل أجريت "عَمرة" لأسنانك اليوم؟».

تذكّرتُ براد الجالس في كرسي طبيب الأسنان محاولًا احتمال ألم العمل الذي يتم على أسنانه كي لا يبدو أكثر وسامة مما يتطلّب دوره، وفكّرتُ كيف كانت أسنانه لامعة منمَّقة في يوم، ثم مكسَّرة مصفرَّة في اليوم التالي، وكيف أن كلّ تبديل للأسنان تطلّبه الدور كان يعني المزيد من الوقت لدى طبيب الأسنان، والمزيد من الألم.

غريبٌ هذا، لكنك ترى نفسك بطريقة معيَّنة، ومن الصعب أن تستوعب أيَّ تغيير دخيل عليك. من الصعب أن أقول إن كنتُ قد أصبحتُ أبدو أفضل أم أسوأ، وبالنِّسبة لي كان الأمر كله يثير التوجُّس نوعًا، تمامًا كتلك الإعلانات في مجلات الكومكس القديمة عن "شفاه زنجيَّة" أو "أنوف يهوديَّة" كان هذا يخص كاريكاتيرًا ما على ما أذكر، وفي هذه الحالة هو كاريكاتير للجمال.

طبقًا للكتالوج، يُمكن غسل الشفتين بعد الاستخدام بالماء والصابون، وطبقًا للموقع الإلكتروني من الممكن أن يكون مُكبِّر الشفاه بمثابة هديَّة ممتازة. حسن، الهديَّة جديدة ومغسولة وجاهزة للتقديم، وعيد ميلاد آينا يقترب.

في مكانٍ ما في شبكة البريد، في أعماق الشاحنات والطائرات، ما زالت هناك طرود أخرى من أنظمة التكبير الأخرى في الطريق إليَّ، وعشرات الآلاف منها في الطريق إلى آخَرين.

أنا وهؤلاء على قناعة بأن ثَمَّة شيئًا ما سيُنقذنا، يُحَرِّرنا، يجعلنا أفضل، يجعلنا أسعد. بالطبع يُمكنك أن تقول إن لا بأس بهذه الأشياء فقط بالنسبة لممثِّل، ممثِّل يلعب دورًا بالتحديد، لكنني سأقول لك: ومَن منا لا يلعب دورًا؟

كلُّ هذا ليس عن براد بيت وحده إذن، بل عن الجميع.

أعراض جانبيَّة

ستيف مارتن

الجُرعة: حبتان كل 6 ساعات لآلام المفاصل.

الأعراض الجانبيَّة:

- قد يتسبَّب هذا الدواء في آلام المفاصل، الغثيان، الصداع، أو ضيق التنفُّس.
- قد تعاني كذلك من ألم في العضلات، تسارُع في نبضات القلب، ورنين في الأذنين.
- إذا شعرت بالدُّوار، اتصل بطبيبك.

■ امتنع عن تناول الكحول أثناء تعاطي هذه الحبوب، وكذلك اللحوم الحمراء وفواكه البحر الصدفيَّة والخضروات، ولا ينبغي تحت أيِّ ظرف أن تأكل لحم ثيران الياك التي تعيش في التبت.

■ على الرجال توقُّع الألم أثناء التبوُّل جالسين (خصوصًا إذا كان القضيب محشورًا بين مقعد وطاسة المرحاض).

■ القيء شائع في 30% من الحالات (معذرة، أقصد 50%).

■ إذا شعرت بدوار يُفقدك الإحساس بالزمن والمكان، مصحوبًا بصداع نصفي وتسارُع في الأنفاس، فعليك مضاعفة الجُرعة.

■ من المتوقَّع حدوث تشنُّجات في الساقين والركبتين مرَّة واحدة في اليوم على الأقل، ومن المتوقَّع أن تحتاج إلى التبرُّز كثيرًا، كل 10 دقائق تقريبًا في الحقيقة. إذا زاد معدل التبرُّز عن 12 مرَّة في الساعة فعليك استشارة طبيبك، أو أي طبيب، أو أي أحد سيتكلَّم معك أصلًا.

■ قد تجد نفسك تشعر بالتوهان وعدم فهم أي شيء، وهذا هو الوقت المناسب تمامًا لكتابة سيناريو لفيلم سينمائي.

■ لا ينبغي قيادة طائرة أثناء تعاطي الدواء، ما لم تكن من نسبة الـ10% التي تنتابها معرفة مفاجئة بقواعد وأصول الطيران كأحد الأعراض الجانبيَّة.

■ إذا أصبحت رائحة شَعرك تشبه رائحة الإطارات المحترقة، فعليك الخروج من المبنى والابتعاد عن أي منطقة فيها ناس حالًا، مع وضع القليل من صبغة اليود على الرأس حتى تكف عن سماع العد التنازلي للانفجار في عقلك.

■ إذا بدأ الفطر في النمو بين حاجبيك، فعليك الاتصال بموسوعة جينس للأرقام القياسيَّة.

■ قد يتسبَّب الدواء كذلك في أن تجنح إلى ترديد عبارة "لا أستطيع" كثيرًا، بالإضافة إلى تخيُّل رؤية السيدة مريم العذراء في قطرات الدموع. إذا حدث هذا، عليك افتتاح محل للتذكارات.

■ قد يتسبَّب الدواء في رغبة جامحة في أن تصرخ: "سأجلدكم جلدًا بالعصا!" في أي تجمُّع ديني، وقد تشعر بأن الهلاك قريب، وهذا لأنك على وشك الموت بالفعل.

■ على الرجال توقُّع الإصابة بالعجز الجنسي، لكن خلال الجماع فقط، وفيما عدا ذلك فيظلُّ الانتصاب طوال اليوم كله.

■ لا ينبغي تعاطي هذا الدواء إذا كنت تخشى مرض التيتانوس، ولا ينبغي أن تكون بالقرب من أي تليفون يرن بدرجة 900 ميجاهرتز وإلا ستصبح ميتًا جدًّا بسرعة جدًّا

■ نفترض أنك أصبت بالفعل بالجُدَري، وإلا لا ينبغي تعاطي هذا الدواء.

■ قد تشعر كذلك بعدم رضا شديد عن الحياة مع إحساس قوي بالكآبة (أهلًا بك في النادي!)، ولا داعي للقلق عندما يصاب عدَّاد جيجر بالجنون في وجودك.

■ سيتسبَّب شكل الحبَّة الخُطَّافي أن تعلق باستمرار في حنجرتك. لإزالتها، عليك أن تحشر إصبعك في حلقك بينما يُغلق صديق لك أنفك بأصابعه كي لا تحتبس الحبة في مجرى الأنف، ثم عليك أن تُلقي نفسك –إلى الأمام– على ظهر مقعد، ومن شأن تفريغ الهواء أن يقذف الحبَّة من فمك، ما لم تكن قد تحرَّكَت إلى المخ.

تحذير: قد يتسبَّب هذا الدواء في أن تقصُر أمعاؤك 21 قدمًا.

■ من المعروف أن هذا الدواء يتسبَّب في تشوُّهات الولادة للكبار بأثرٍ رجعي.

■ المرور أمام التليفزيون قد يجعل الشاشة تضطرب.

■ على النساء توقُّع تراجُع كبير في الليبيدو، مع انخفاض في الصوت ونمو الشَّعر حول الكاحلين. إذا حدث هذا، فعلى كل متعاطية للدواء أن تُرسل لي وصفًا مفصَّلًا لآخر ثلاث مرَّات مارست فيها الجنس على عنواني، أو مراسلتي على موقع ***www.hotguy.com***.

■ يجب الامتناع عن تعاطي الدواء في الحال في حالة الشعور بأن أسنانك تستقبل موجات الراديو

- من الأعراض الجانبية الشائعة، الانتفاخ في أصابع اليد اليسرى.

- عند انتهاء مفعول الجُرعة، يُرجى قضاء بعض الوقت الهادئ حتى تستعيد العينان قدرتهما على رؤية الألوان من جديد.

- العوّامات وغيرها ستكون غير ذات فائدة في البحر لأن الدواء يجعل كثافة الجسم كالحجارة بالضبط، لذا إذا سقطت من قارب أو سفينة فعليك الاتصال بالطبيب.

تحذير: الإحساس بتحدي الجاذبيَّة الأرضيَّة وهمي، تمامًا كالشعور بوجود يد شبحيَّة ثالثة.

- قد يتسبَّب الدواء في عجزٍ عن التعبير اللغوي.

(مثال: من المقبول أن تقول: "أهلًا، كيف حالك؟"، من غير المقبول أن تقول: "المطر في أسبانيا يذبح الأخشاب... فسسسست!").

- بعد مرور 20 دقيقة على تناوُل الحبَّة ستشعر برغبة مُلحَّة في تناول جُرعة أخرى. تجنَّب هذا بكل ما لديك من قوة.

ننصح بأن يكون معك صديق يُقيِّدك إلى واحدة من قطع الأثاث، خصوصًا قطعة أكبر من أن تمر بها من الباب إلى حيث وضعت الدواء. ينبغي كذلك أن تكون بعيدًا عن أيٍّ من أدوات المطبخ أو خلافه التي تصلح كأسلحة يمكنك تهديد أصدقائك أو عائلتك بها، والذين ينبغي إبلاغهم مسبقًا بالامتناع عن إعطائك الدواء مهما توسَّلت لهم.

(قد يحتوي هذا الدواء على واحدٍ أو أكثر من المواد التالية: الطَّاط، العوالق المائية، الهروين، الكوكايين، خُصى الخنازير، الزيوت العطريَّة، البارود، قشور الذرة، الغراء، غبار الطَّلع، البيض المسلوق، اللحم المقدَّد، الصلصة الهولندية، اسطوانات الجرامافون المسحوقة).

بروميثيوس

كافكا

ثمّة أربع أساطير عن بروميثيوس:

طبقًا للأولى، قُيِّدَ بروميثيوس إلى صخرةٍ في بلاد القوقاز عندما أفشى أسرار الآلهة للبشر، وأرسلَت الآلهة نسورًا تلتهم كبده التي تنمو كلّ يومٍ من جديد لتأكلها النسور من جديد، وهكذا إلى الأبد.

وطبقًا للثانية، فقد ضاق بروميثيوس ذَرعًا بالألم المُمضِّ الذي تصيبه به المناقير إذ تُمَزِّق لحمه، فضغطَ نفسه أكثر وأكثر في الصخرة التي قُيِّدَ إليها، وغاص فيها إلى أن صار جزءًا منها.

وتحكي الثالثة عن أن النسيان قد طوى خيانة بروميثيوس على مَرِّ آلاف السنين، فنسيتها الآلهة، ونسيتها النسور، ونسيها بروميثيوس.

أمَّا الأسطورة الرابعة فتقول إن الجميع قد أحسُّوا بالسأم من الأمر كله، فأصاب السأم الآلهة، وأصاب النسور، وبدأ الجرح يلتئم بسأم.

وظلّت الصخرة بلا تفسير

حاولَت الأسطورة تفسير ما لا يُمكن تفسيره. ولأنها جاءت من لُبِّ الحقيقة، كان من المحتَّم أن تنتهي بالخيال.

اختراع علاء الدين

نيل جايمان

في الفراش تجلس معه في تلك الليلة، كما في كلّ ليلة، وأختها قابعة عند أقدامهما

تُنهي حكايتها وتنتظر، فتفهم أختها التلميح سريعًا وتقول: «النوم يُجافيني، فهل من حكايةٍ أخرى؟».

تلتقط شهرزاد نفسًا قصيرًا مليئًا بالتوتُّر وتبدأ حكايةً جديدة: «في بلاد الصين البعيدة عاش شابٌّ كسول مع أمه. اسمه؟ علاء الدين، وكان يتيم الأب».

تحكي لهما عن مجيء ساحرٍ خبيث يدَّعي أنه عم علاء الدين، ويُضمر في نفسه أمرًا

إذ اصطحب الشَّاب ذات يومٍ إلى مكانٍ قفر وأعطاه خاتمًا قائلًا إنه سيحفظه من الأذى، ثم ألقاه في كهفٍ متخمٍ بالأحجار الكريمة وأمره بأن يُحضر له المصباح

ولَّما رفض علاء الدين، وجدَ نفسه وحيدًا سجينًا.

***

هكذا يصير علاء الدين حبيسًا تحت الأرض

فتكفُّ شهرزاد عن الكلام، وزوجها مأخوذ بالحكاية لليلةٍ أخرى

وفي اليوم التالي تطهو

وتُطعم أطفالها

وتحلم...

تعرف أن علاء الدين حبيس، وأن حكايتها قد جَنَت لها يومًا واحدًا

فماذا بعد؟

ليتها تعرف.

***

فقط عندما يأتي المساء ويقول زوجها، كما يقول دومًا: «سأبترُ عنقك صباح الغد»، وتسأل أختها دنيازاد: «لكن ماذا عن علاء الدين؟».

عندها فقط تعرف...

***

وفي الكهف المفعم بالجواهر يفرك علاء الدين المصباح ويخرج الجني

وتتوالى أحداث القصة، وينال علاء الدين الأميرة وقصرًا من اللؤلؤ

لكن حذارِ، فقد عاد الساحر الخبيث

وفي الشوارع يُنشد «أعطوني مصابيحكم القديمة وخذوا مصابيحَ جديدة».

ثم عندما يفقد علاء الدين كلّ شيء، تكفُّ شهرزاد عن الحكي ويَترُكها تحيا ليلة أخرى.

***

يخلد زوجها وأختها إلى النوم.

وتبقى هي صاحيةً تُحملق في الظلام، تستعرض مسارات القصَّة في مخيِّلتها.

كيف تعيد إلى علاء الدين عالمه؟

كيف تعيد إليه أميرته وقصره وكلّ ما فقد؟

ثم تستسلم للنوم وحكايتها بلا نهاية.

وتذوب الحكاية بين الأحلام.

***

تستيقظ.

تُطعم أطفالها.

تُمَشِّط شعرها.

تذهب إلى السوق.

تبتاع بعض الزيت، ويصبُّه لها البائع ويُصَفِّيه من جرَّةٍ ضخمة.

تتساءل في سريرها: «ماذا لو اختبأ رجل في هذه الجرَّة؟».

ثم تشتري بعض السمسم.

***

تقول أختها: «إنه لم يقتلك بعد».

فتجيب دون أن تنطق: «ليس بعد، لكنه سيفعل».

***

في الفراش تحكي لهما عن الخاتم السحري الذي يفركه علاء الدين، وعن عبد الخاتم.

ثم يموت الساحر وينجو علاء الدين، وتكفُّ عن الحكي.

إنها نهاية الحكاية، ونهاية الحاكية.

والأمل الوحيد يكمن في حكايةٍ جديدة، فتستعرض شهرزاد ما لديها من مخزون الكلمات.

تلتحم أفكار نصف ناضجةٍ بأحلامٍ نصف منسيةٍ وجرارٍ كبيرةٍ بما يكفي لاحتواء رجل، وتقول في نفسها: «افتح يا سمسم»، وتبتسم.

وتبدأ حكايةً جديدة: «كان علي بابا رجلًا صالحًا لكن فقيرًا...

حياتها في أمانٍ لليلةٍ إضافيَّةٍ إذن، إلى أن يملَّ منها أو إلى أن تُخفق في ابتكار الحكايات، أيهما أقرب.

إنها لا تدري أين تنتظر أيُّ حكايةٍ قبل أن تُحكَى (ولا أنا كذلك).

لكن فكرة الأربعين لصًّا تبدو جيِّدةً. ستحكي عن الأربعين لصًّا إذن وتأمل أنها أمنت الموت لعدَّة أيامٍ قادمة.

***

كم هي غريبة الطُّرق التي نُنقذ بها أنفسنا من الموت!

الأجراس

ج. برونسون

لم تصنع مراوح السَّقف فارقًا كبيرًا مع الهواء الساخن الذي يهبُّ من النوافذ المفتوحة، بينما جلس الضيوف متململين على مقاعد الكنيسة غير المريحة، وقد بدأ صوت الأجراس التي تدقُّ بلا نهاية يستثير أعصابهم، وأخذ سؤال «أين العروس؟» يتردَّد جيئةً وذهابًا فيما بينهم، إلى أن بدأ العريس –وهو يحاول تعديل وضْع ياقته الشائكة على عنقه الغارق في العرق– يسبُّ ويلعن الصوت المزعج المتواصل الآتي من أعلى، وأخذت وصيفات العروس يتبادلن الهمسات في غُرفة المقدَّسات، قبل أن تلمح واحدة منهن باقة الزهور على الأرض إلى جوار باب بُرج الأجراس –ما نمَّ عن قرارٍ بالفرار في

اللحظة الأخيرة- وإن لم تُفكِّر هي والآخَرون في تفقُّد البُرج نفسه، لأن الباب كان يوصد أوتوماتيكيًّا بمجرَّد إغلاقه، وهو الشيء الذي شعرت العروس بالندم على جهلها به وقد بُحَّ صوتها من الصياح من أعلى وشعرت بالإرهاق من دقِّ الأجراس، لتظلَّ هناك تُشاهدهم وهُم يرحلون واحدًا تلو الآخَر.

الشَّبح الذي جاء ليعتذر

تشاك پولانك

يعيش صديقٌ لي في بيتٍ مسكون. إنه بيت أبيض جميل يقع في منطقة ريفيَّة، محاط بالحدائق من كلّ اتجاه، يتَّصل بي صديقي منه كلّ بضعة أسابيع في عزِّ الليل ليقول: «ثمَّة من يصرخ في القبو! سأنزل ومعي مسدَّسي. اطلب الشُّرطة إذا لم أتَّصل بك خلال خمس دقائق!».

الموقف درامي جدًّا، لكنه ينطوي على ذلك النوع من التَّباهي المتنكّر في شكل شكوى، المعادل الخارق للطبيعة لقول «خاتمي الماسي ثقيل جدًّا على يدي!»، أو «ليتني أستطيع ارتداء هذا البكيني دون أن يشتهيني الجميع!».

يُطلق صديقي على شبحه اسم "الليدي"، ويشكو من عدم قُدرته على النوم لأن الليدي ظلّت حاضرةً طوال الليل، تُحَرِّك الصُّور على الجدران وتعبث بالوقت في الساعات وتدقُّ بلا توقُّف في غُرفة المعيشة، ما يُطلق عليه اسم الرَّقص. إذا جاء صديقي متأخِّرًا أو متعكِّر المزاج، فالسبب هو الليدي التي لم تنفك تنادي باسمه من خارج نافذة غُرفة النوم طوال الليل، أو تفتح الأنوار وتُغلقها.

هذا رجل عملي لم يعتقد قَطُّ في وجود الأشباح. لنعتبر أن اسمه باتريك، وإلى أن انتقل للمعيشة في تلك المزرعة كان باتريك مثلي تمامًا: متَّزنًا عمليًّا عقلانيًّا.

والآن أعتقدُ أنه مدَّعٍ كبير.

لأثبتُ هذا، طلبتُ منه أن أرعى مزرعته أثناء قضائه عُطلةً ما. قلتُ له إنني أحتاج العزلة والهدوء كي أستطيع الكتابة. وعدته بأن أروي النباتات، وذهب هو تاركًا إياي هناك لمدَّة أسبوعين. ثم إنني أقمتُ حفلة صغيرة.

هذا الرجل ليس صديقي الوحيد العائش في الأوهام، فهناك صديقة أخرى لي –لنعتبر أن اسمها برندا– تقول إنها ترى المستقبَل. تجلس الصُّحبة لتناوُل العشاء، ثم تُفسد برندا القصَّة الرائعة التي تحكيها أنت، عندما تُطلق شهقة عالية فجأةً، وتتراجع في مقعدها وقد غطَّت فمها بيديها واعتلت ملامحها نظرة رُعبٍ خالص. تسألها عما هناك، فتقول: «لا شيء، لا شَيء...»، ثم تُغلق عينيها وتحاول طرد الرؤيا المريعة من عقلها.

وعندما تُصمِّم على معرفة ما أخافها، ستميل على المائدة والدموع في عينيها، وتُمسك يدك قائلةً بتوسُّل: «أرجوك، أرجوك ابتعد عن السيَّارات طوال السنوات الست القادمة».

طوال السنوات الست القادمة!

برندا وباتريك غريبا الأطوار لكنهما صديقاي، وإن كانا راغبَيْن دائمًا في انتباه. الغير «شبحي ضاج جدًّا أكرهُ استطاعتي رؤية المستقبَل».

هكذا دعوتُ برندا وأصدقاءها ذوي القوى النفسيَّة الخارقة إلى حفلتي الصغيرة، كما دعوتُ عددًا من الأصدقاء التقليديِّين الحمقى الذين لا يعانون من أيَ مواهب فائقة للحواس. سنحتسي النبيذ الأحمر ونُشاهد الوسطاء الروحانيِّين يتنقَّلون هنا وهناك، يدخلون في غَشية ويتَّصلون بالأرواح، يكتبون رسائل من العالَم الآخَر ويرفعون الموائد، بينما نضحك نحن بأدب من وراء أيدينا.

هكذا ذهب باتريك في عُطلته، ووصلت دستة من الأشخاص إلى البيت الريفي، وجاءت برندا ومعها امرأتان لا أعرفهما –بوني ومولي– وكلتاهما تشعر بالنشوة بالفعل من فرط طاقة الأشباح التي أحسَّتا بها في المكان. تتوقَّف كلتاهما كلٌ بضع خطوات وترنَّح محاولةً الإمساك بمقعدٍ أو خلافه كي لا تسقط أرضًا.

حسن، جميع أصدقائي يترنَّحون بالفعل، لكن العقلاء يترنَّحون بسبب النبيذ الأحمر.

جلسنا جميعًا حول مائدة غرفة الطعام، وأشعلنا شمعتين في المنتصف، وبدأت الوسيطتان الروحانيَّتان العمل.

التفتَت بوني ومولي إلى صديقتي آينا أولًا (كنتُ قد حكيت لك عنها من قبل، وكيف وافقتُ على تقديمها إلى براد بيت، مقابل أن أساعدها في تجهيز الجثث للتشريح في مشرحة كليَّة الطب حيث تعمل). آينا ألمانيَّة وعقلانيَّة، فكرتها عن التعبير عن المشاعر هي إشعال سيجارة جديدة. لم تلتقِ هاتان الوسيطتان بآينا من قبل قَطُّ، لكنهما تبادلتا إخبارها بأن هناك روح امرأة تقف إلى جوارها، امرأة اسمها مارجرت تُغدق على آينا بالزهور الزرقاء. هكذا تُطفئ آينا سيجارتها وتنفجر في البكاء.

كانت أم آينا قد ماتت بالسرطان قبل سنوات عديدة، وكان اسمها مارجرت، وفي كلِّ عامٍ تنثر آينا بذور الزهور الزرقاء على قبرها، لأنها كانت زهور أمها المفضَّلة. دعني أقولُ لك إنني وآينا صديقان منذ عشرين عامًا كاملة، وهذه تفاصيل لم أكن أعرفها أنا نفسي. آينا لا تتكلَّم عن أمها أبدًا، وها هي الآن تبكي وتطلب المزيد من النبيذ الأحمر.

ثم التفتت بوني ومولي إليَّ بعد أن حوَّلتا صديقتي إلى كتلة من الدموع والمخاط. قالتا إن هناك رجلًا قريبًا مني، يقف وراء كتفي بالضبط. قالتا إنه أبي القتيل.

بحقِّ السماء! أبي؟!

حسن، لنكتفي بهذا القدْر من الهراء.

بإمكان أي أحد أن يعرف تفاصيل موت أبي، الدائرة الأيقونيَّة الغريبة التي أحاطت بظروف مقتله، وكيف أن أباه –جدِّي– قد قتل أمه –جدَّتي– وهو في الرابعة من عمره، ثم أخذ يجوب المنزل بحثًا عنه ليقتله بدوره. كانت أولى ذكريات أبي عن الليلة التي اختبأ فيها تحت الفراش، سامعًا أباه ينادي عليه ومُشاهدًا حذاءه الثقيل يضرب الأرض وفوهة البندقيَّة التي يتصاعد منها الدخَّان تتدلى إلى جواره. اختبأ أبي وأطلق جدِّي النار على نفسه، ثم قضى أبي حياته في محاولة للهروب من ذكرى هذا المشهد. قال إخوتي أيضًا إنه قضى حياته محاولًا العثور على أمه بزواجه من امرأة تلو الأخرى، في دائرة لا تنتهي من الطلاق والزواج من جديد. كانت عشرون سنةً قد مضت على طلاقه من أمي، عندما رأى إعلانًا للزواج في جريدة، وبدأ يواعد صاحبة الإعلان دون أن يدري أن لها زوجًا سابقًا عنيفًا. هكذا عاد الاثنان من لقائهما الثالث إلى منزل المرأة، ليجدا في انتظارهما زوجها السابق الذي أرداهما معًا. كان هذا في إبريل 1999

لقد سبق وأن نُشرَت هذه التفاصيل كلها في كلِّ مكان حقًّا، وحوكم القاتل بالفعل وحُكم عليه بالإعدام. مولي وبوني ليستا في حاجة إلى أي مواهب خاصَّة لمعرفة هذا.

لكنهما أصرَّتا. قالتا إن أبي يشعر بالأسف على شيء فعله معي عندما كنتُ في الرابعة من عمري. كان يعرف أنه شيء قاسٍ، لكنه الشيء الوحيد الذي استطاع التفكير فيه كي يُعَلِّمني درسًا. كان شابًّا قليل الخبرة وقتها، ولم يُدرِك أنه تمادى كثيرًا. أمسكَت مولي وبوني

يديَّ، وقالتا إنهما رأتاني ولدًا صغيرًا جائيًا إلى جوار قالبِ لتقطيع الأخشاب، وكان أبي واقفًا إلى جواري ممسكًا في يده بشيءٍ خشبي.

قالتا: «إنها عصا». ثم: «لا، إنها بلطة».

كان بقيَّة أصدقائي قد لاذوا بالصمت، وقد أخرسهم بكاء آينا.

قالت بوني ومولي: «أنت في الرابعة من عمرك، وتُقَرِّر شيئًا شديد الأهميَّة، شيئًا سوف يُشَكِّل بقيَّة حياتك».

وصفتا أبي وهو يشحذ بلطته، ثم قالتا: «إنه على وشك أن... ثم صمتتا، قبل أن تواصلا: يقطع إصبعك؟».

ما زالت آينا -البقرة السخيفة- تبكي، وأصبُّ لنفسي كأسًا أخرى من النبيذ وأشربها، ثم أصبُّ أخرى. أقول لبوني ومولي مرشدتينا إلى عالَم الأرواح- أن تواصلا. أرسم ابتسامة ساخرة على وجهي، وأقول: «لا، حقًّا، هذا مذهل».

- «أبوك سعيد جدًّا الآن، أسعد مما كان طوال حياته على الأرض».

أوليست هذه هي الحال دائمًا؟ فتات من الراحة للمكلومين. مولي وبوني هاتان لا تختلفان في شيءٍ عن كلّ من استغلُّوا مشاعر الحزانى عبر التاريخ. في أحسن الأحوال هما حمقاوان مضلّلتان، في أسوأها وحشان كذّابان.

ما لم أقله لهما إنني، عندما كنتُ في الرابعة من عمري، وضعتُ حلقة معدنيَّة حول إصبعي، لكنها كانت أضيق من أن أستطيع خلعها،

وانتظرتُ حتى تورَّم إصبعي واستحال لونه إلى الأرجواني قبل أن أطلب مساعَدة أبي. لقد قيل لنا دائمًا ألا نضع أيَّ حلقاتٍ مطاطيَّة أو معدنيَّة أو خلافه حول أصابعنا، وإلا ستصاب بالغنغرينة ويتعفن الجزء المحبس ويسقط. قال أبي إننا يجب أن نقطع الإصبع، وقضى الظهيرة كلها في غسيل يدي وشحذ البلطة، ملقيًا عليَّ طوال الوقت محاضرات عن تحمُّل مسؤوليَّة أفعالي. قال إنني يجب أن أكون مستعدًّا لدفع الثمن عندما أرتكب خطأً غبيًّا.

وأصغيتُ له طوال الوقت. لم تكن هناك دراما أو دموع أو هلع. قال لي عقلي ذو السنواتِ الأربع إن أبي يُسدي لي خدمة. سوف يؤلمني قطْع إصبعي الأرجواني المنتفخ، لكن هذا أفضل من تركه يتعفَّن لأسابيع.

هكذا جثوتُ إلى جوار قالب التقطيع الخشبي، حيث سبقت لي رؤية دجاجاتٍ عديدة تلاقي المصير نفسه، وفردتُ يدي. كنت ممتنًّا جدًّا لمساعَدة أبي، وعزمتُ على ألا ألوم غيري أبدًا على حماقاتي.

لوَّح أبي بالبلطة، وبالطبع لم يهوِ بها على إصبعي، بل دخلنا المنزل وخلعنا الحذفة بواسطة الماء والصابون.

إنها قصَّة كدتُ أنساها، كدتُ أنساها لأني لم أحكها لأحد قَطُّ، ولم أتذكَّرها بترديدها بصوت عالٍ لأي أحد. كنتُ أعرفُ أنَّ أحدًا لن يستوعب الدرس، وكلُّ ما سيراه غيري فيه هو تصرُّف أبي وسيصفه بالوحشيَّة. وحاشا لله أن أحكي لأمي بالذات، إذ كانت لتنفجر في نوبة غضبٍ لا تُطاق. كأول ذكريات أبي عن مقتل أمه

على يد أبيه، فإن يوم البلطة هو أول ذكرياتي، ولقد احتفظتُ به سرًّا طوال ستة وثلاثين عامًا، تمامًا كما فعل أبي. والآن تأتي هاتان السخيفتان لتحكيا لي تلك القصَّة في حضور أصدقائي السَّكارى!

كان من المستحيل عليَّ أن أمنحهما الشعور بالرضا عن نفسيهما. وبينما أخذت آينا تبكي، شربتُ أنا المزيد من النبيذ، وابتسمتُ وهززتُ كتفيَّ قائلًا إنها قصَّة مثيرة حقًّا، لكنها كلامٌ فارغ ليس إلا بعد دقائق قليلة سقطت إحداهما على الأرض، وطلبتَ من يُساعدها على الوصول إلى سيَّارتها. هكذا انتهت الحفلة وغادر الجميع، بينما بقيتُ مع آينا لنشرب بقيَّة النبيذ حتى الثُّمالة.

كانت حفلة مخيِّبة للآمال في الحقيقة، خصوصًا مع مشاهَدة أصدقائي يتقبَّلون هذا الهراء.

لم تظهر الليدي ليلتها قَطُّ، لكن باتريك لن يكفَّ عن الاتِّصال بي شاكيًا من شبحه السخيف، ولن تكفَّ برندا عن الارتجاف والشحوب قبل أن تُدلي بنبوءاتها الحمقاء. أما بالنسبة لمولي وبوني، فقد حالفهما الحظ حقًّا. إنها خدعة ما.

ولا يُمكنني تفسير حيلة مولي وبوني السحريَّة تلك، لكن هناك الكثير في العالَم مما لا أستطيع تفسيره.

ليلة مقتل أبي، وعلى بُعد مئات الأميال، رأت أمي حُلمًا. قالت إنها رأت أبي يدقُّ بابها ويتوسَّل لها أن تُخفيه، وكان مصابًا بطلقٍ ناري في جانبه (وقد أكَّد الطبيب الشرعي هذا لاحقًا)، وكان أبي يحاول الفرار من رجلٍ يحمل مسدَّسًا. لكن بدلًا من أن تسمح أمي له

بالدخول، قالت له إنه لم يجلب إلا العار والألم لأبنائه، ثم أغلقت الباب في وجهه.

في الليلة نفسها حلمت أختي بأنها تمشي في الصحراء التي تربَّينا فيها إلى جوار أبي، وقالت له إنها آسفة على الشَّرخ الذي حدث بينهما ولأنهما لم يتكلَّما منذ فترة. في الحُلم أوقفها أبي وقال إن الماضي لم يعد يهم. قال إنه سعيد جدًّا الآن، وستجد هي السعادة أيضًا.

في تلك الليلة لم أرَ أيَّ أحلام، ولم يأت إليَّ أحد ليودِّعني.

ثم بعد أسبوع اتَّصل بي رجال الشُّرطة، وقالوا إنهم عثروا على جثة يريدون مني أن أذهب وأتعرَّف على صاحبها.

كم أتمنَّى لو استطعت الاعتقاد في وجود عالَمٍ خفي، إذ سيُخَفف هذا كثيرًا من ضغوط وآلام العالَم المادي، لكن هذا سيُبطل قيمة النقود التي لديَّ في البنك، ومتزلي المريح وعملي الجاد. جميع النِّعَم والنِّقَم في حياتنا ستكون بلا طائل، لأنها لن تكون حينها أكثر من حبكات في كتابٍ أو فيلم. وجوَد عالَم خفي لن يجعل من عالَمنا أكثر من وَهم.

حقًّا، إن عالَم الأرواح لا يختلف عن البيدوفيليا أو النكروفيليا؛ ليست لي خبرة به، ولذلك لن آخذه على محمل الجدِّ أبدًا، وسيظلُّ دعابةً لا أكثر.

ليس هناك شيء اسمه الأشباح...

لكن إذا كان هناك حقًّا، فليأت لي أبي إذن ويُخبرني بنفسه!

نظرة على الجريمة المنظَّمة

وودي آلن

ليس سرًّا أن الجريمة المنظَّمة في الولايات المتحدة تجني من الأرباح ما يربو على الأربعين بليون دولار سنويًّا، وهو مبلغ ضخم حقًّا، خصوصًا عندما تعرف أن المافيا تُنفق القليل جدًّا على الأدوات المكتبيَّة، طبقًا للمصادر الموثوقة التي أكَّدت أن الكوزا نوسترا لم تُنفق العام الماضي أكثر من ستة آلاف دولار على الأوراق والأقلام، وأقل من هذا على الدبَّاسات. علاوة على ذلك، ليست لدى المافيا غير سكرتيرة واحدة تقوم بالأعمال الكتابيَّة كلها، بالإضافة إلى ثلاث غُرف صغيرة فقط يستخدمونها كمقرٍّ رئيس لهم، ويقتسمونها مع أحد نوادي الرَّقص.

كانت عصابات الجريمة المنظَّمة مسؤولة مسؤوليَّة مباشرة العام الماضي فقط عن أكثر من مئة جريمة قتل، بالإضافة إلى ضلوعها على نحوٍ غير مباشر في بضع مئة جريمة قتلٍ أخرى، سواء عن طريق إقراض القتلة أجرة التاكسي، أو بالحفاظ على معاطفهم نظيفة مكويَّة حتى قيامهم بالعمليَّة. كما تضمُّ الأنشطة غير المشروعة الأخرى التي يُمارِسها رجال الكوزا نوسترا القمار والمخدِّرات والدعارة والسرقة والرِّبا، ناهيك عن تهريب السَّمك الأبيض الكبير عبر حدود الولايات من أجل أغراضٍ غير أخلاقيَّة. بل إن أذرُع تلك الإمبراطوريَّة الفاسدة تمتدُّ لتطول الحكومة نفسها كذلك، فقبل شهورٍ معدودة فقط قضى اثنان من زعماء العصابات الخاضعين للتحقيقات الفدراليَّة ليلتهما في البيت الأبيض، بينما نام الرئيس على الأريكة.

تاريخ الجريمة المنظَّمة في الولايات المتحدة

في سنة 1921 جرَت محاولة من توماس كوڤلو "الجزَّار" وسيرو سانوتشي "الخيَّاط" لتنظيم المجموعات العرقيَّة المختلفة في العالَم السُّفلي للسيطرة على شيكاجو، لكن الخطَّة أُحبِطَت عندما قام ألبرت كورلو "الفيلسوف الوضعي المنطقي" باغتيال كيد ليبسكي بحَبْسه في خزانة وامتصاص الهواء كله من داخلها عن طريق شاليموه، فقام مندي أخو ليبسكي -صاحب الأسماء المستعارَة مندي لويس، مندي لارسن، ومندي صاحب الأسماء المستعارَة- بالانتقام لمصرع أخيه باختطاف جايتانو شقيق سانوتشي -المعروف أيضًا باسم توني الصغير أو الخاخام هنري شاربستاين- وإعادته بعد عدَّة أسابيعَ داخل سبعة وعشرين برطمانًا لحفظ العيِّنات... وقد كانت هذه إشارة لبدء حمَّام الدَّم.

أطلق دومينيك ميوني "بطل أمراض الجهاز التناسلي" النار على لورنزو المحظوظ –الذي أطلقوا عليه هذا اللّقب عندما فشلت قنبلة انفجرت داخل قبّعته في قتله– خارج بار في شيكاجو، وردًّا على هذا تبع كورلو ورجاله ميوني إلى نيوآرك وصنعوا من رأسه آلة نفخٍ موسيقيَّة. في تلك المرحلة تحرَّكت عصابة ڤيتالي، التي يقودها چيسوپ ڤيتالي، للاستيلاء على جميع عمليَّات التهريب في هارلم من يد لاري دويل الأيرلندي، وهو مُبتَز شديد الشَّك إلى درجة جعلته يرفض أن يسير أيٌّ من ساكني نيويورك وراءه أبدًا، فكان يسير في الشارع دائرًا على قدمٍ واحدة طوال الوقت. قُتل دويل عندما قرَّرت شركة سكوينلانتي للمقاولات إنشاء مكتبها الجديد على قصبة أنفه، وبعدها تولّى نائبه پيتي روس الصغير –المعروف كذلك بلقب پيتي روس الكبير– القيادة، فقاوم استيلاء عصابة ڤيتالي على العمليَّات، وأغرى ڤيتالي نفسه بدخول جراچ خالٍ في وسط البلد بعد إيهامه بوجود حفلة تنكُّريَّة مقامة هناك. هكذا دخل ڤيتالي الجراچ مرتديًا زيَّ فأرٍ عملاق، فحوَّلته طلقات المدافع الآليَّة إلى مصفاة في الحال. بدافع الإخلاص انضمَّ رجال ڤيتالي في الحال إلى روس، وكذلك خطيبته بيا موريتي، الفنَّانة الاستعراضيَّة ونجمة برودواي، التي تزوَّجت من روس في النهاية، على الرغم من أنها رفعت عليه دعوى طلاق فيما بعد اتَّهمته فيها بأنه رشَّها ذات مرَّةٍ بمرهمٍ ذي رائحةٍ كريهة.

خوفًا من تدخُّل الأمن، طلب ڤينسنت كولومبرارو –ملك التوست المدهون بزبدة– إقامة هدنة (يملك كولومبرارو سيطرة مُحكَمة على جميع تحرُّكات التوست المدهون بزبدة من وإلى نيو

چرسي، إلى درجة أن كلمة واحدة منه من شأنها إفساد وجبة الإفطار على ثلثي سُكّان الولايات المتحدة). تمّت دعوة جميع رجال العالَم السُّفلي إلى مطعمٍ في حي پرث أمبوي، حيث حدَّثهم كولومبرارو قائلًا إن الحرب الداخليَّة يجب أن تتوقّف، وإنهم يجب أن يرتدوا ملابس لائقة من الآن فصاعدًا، وأن يكُفُّوا عن حركاتهم النُّص كُم. الخطابات التي كانت تُوقَّع فيما سبق بيدٍ سوداء ستحمل الآن توقيع «مع أطيب التمنيات»، وسيتم تقسيم جميع مناطق السيادة بالتَّساوي، مع ذهاب نيو چرسي إلى أم كولومبرارو.

هكذا وُلدت المافيا أو الكوزا نوسترا (الكلمة تعني "معجون أسناني"، أو "معجون أسناننا" بالإيطاليَّة). بعد يومين ذهب كولومبرارو ليأخذ حمَّاما ساخنًا، وهو مفقود منذ ذلك الحين قبل ستة وأربعين عامًا.

بناء المافيا

يشبه بناء المافيا أيَّ حكومة أو مؤسَّسة كبيرة... أو منظَّمة إجرامية كذلك. على القمَّة هناك الكوبا دي توتي كابي، أو زعيم الزعماء، وتقام الاجتماعات في منزله، وهو المسؤول عن تزويد ضيوفه بشرائح اللحم البارد ومكعَّبات الثلج، والتواني في عمل ذلك يعني الموت الفوري (والموت -بالمناسَبة- هو أحد أسوأ الأشياء التي يُمكنها أن تحدث لرجل مافيا، وكثيرون منهم يُفَضِّلون دفْع غرامة بسيطة). تحت زعيم الزعماء يقع نوَّابه، وكلُّ واحد منهم يدير جزءًا من المدينة مع عائلته. وعائلات المافيا لا تتكوَّن من الزوجات والأطفال الذين يذهبون طوال الوقت إلى أماكن غريبة مثل السيرك أو الحديقة، وإنما هي مجموعات من الرجال المتجهِّمين الذين يَجدون متعتهم الأكبر في الحياة في رؤية المدَّة التي يستطيع البعض بقاءها تحت مياه النهر الشرقي في نيويورك قبل أن يكُفُّوا عن التنفُّس.

عمليَّة الانضمام للمافيا معقَّدة للغاية. تتمُّ أولًا تغمية عين العضو الجديد وإدخاله إلى غرفة مظلمة، حيث توضع قطَع من البطيخ في جيوبه، ثم يبدأ التواثُب على قدمٍ واحدة وهو يصرخ كالحمقى. ثم إن جميع أعضاء هيئة التعيين يقومون بشدِّ شفته السفلى ثم تركها ترتد إلى وجهه كالأستك، والحقيقة أن هناك بعض الأعضاء الجدد ممن يرغبون في القيام بهذا الاختبار مرَّتين. بعد ذلك يوضَع بعض الدقيق على رأسه، فإذا اشتكى فإنه يُطرَد في الحال، أما إذا قال: «أحبُّ وضع الدقيق على رأسي»، فإن عضويَّته تُقبَل، ويتمُّ هذا عن طريق تقبيله على الخَد ومصافحته. منذ ذلك الحين ممنوع منعًا باتًّا عليه أن يأكل المانجو أو يُسَلِّي رفاقه بتقليد الدجاج، أو يقتل أيَّ أحدٍ اسمه ڤيتو

خاتمة

الجريمة المنظَّمة آفة تُهَدِّد وطننا، وبينما يتمُّ اجتذاب كثيرين من الشباب الأمريكي إلى الجريمة التي تعدهم بحياة سهلة، إلا أن أغلب المجرمين يعملون في الحقيقة لساعات طويلة، وغالبًا في مكاتب بدون تكييف. إن التعرُّف على المجرمين هو واجب كلٍّ منا، وفي المعتاد يُمكن التعرُّف عليهم من خلال ارتدائهم للقمصان ذات الأساور الكبيرة وعدم قُدرتهم على الكفَ عن الأكل عندما يُضرَب رجلٌ جالس إلى جوار أحدهم بمرزبَّة على رأسه.

أفضل الأساليب لمكافحَة الجريمة المنظَّمة هي:

1 أن تقول للمجرم إنه ليس في بيته، فلا يأخذ راحته.

2. الاتِّصال بالشُّرطة عندما يبدأ عدد غير تقليدي من رجال شركة صقليَّة للدراي كلين في الغناء تحت نافذتك.

3 التنصُّت على المكالمات.

لا يُمكن استخدام التنصُّت على المكالمات بدون تمييز، لكن تأثيره يتجلَّى مثلًا في تفريغ المكالمة التالية بين اثنين من زعماء العصابات في منطقة نيويورك، واللذين قامت الـ**FBI** بالتنصُّت على مكالماتهما:

ـ أنتوني: ألو؟ ريكو؟

ريكو ألو؟

أنتوني: ريكو؟

ريكو: ألو؟

أنتوني: ريكو؟

ريكو: لا أسمعك.

أنتوني: ريكو؟ أهذا أنت؟ لا أسمعك.

ريكو: ماذا؟

أنتوني: هل تسمعني؟

ريكو: ألو؟

أنتوني: ريكو؟

ريكو: هل تسمعني؟

أنتوني: ألو؟

ريكو: أنتوني؟

أنتوني: ألو؟

ريكو: أنتوني؟

أنتوني: ريكو؟

بسبب هذا الدليل الدَّامغ، تمّت إدانة أنتوني روتونو "السمكة" وريكو پارزيني، ويقومان حاليًا بقضاء فترة عقوبتهما التي تبلغ خمسة عشر عامًا في سجن سينج سينج.

من النِّسيان

هـ. پ. لافكرافت

عندما حلّت أيامي الأخيرة وبدأت توافه الوجود تقودني إلى الجنون، كقطرات الماء الصغيرة التي يَترُكها المُعَذّبون تتساقط بلا توقُّف على بُقعة واحدة من جسد ضحيّتهم، وجدتُ أني أُحبُّ ملاذ النوم المنير. في أحلامي وجدتُ شيئًا من الجمال الذي نشدته في الحياة عبثًا، وجعلتُ أجولُ بين حدائقَ قديمة وغاباتٍ ملأى بالسِّحر.

في مرّة، عندما كانت الرِّياح ناعمةً زكيَّة الرائحة، سمعتُ صوت الجنوب يُناديني، وأبحرتُ بتراخٍ تحت نجومٍ غريبةٍ بلا نهاية.

وفي مرّة، عندما كان المطر يترل برقّة، خُضْتُ على متن قارب نهيرًا صغيرًا لا تُنيره شمسٌ يسري تحت الأرض، إلى أن بلغتُ عالمًا آخَرَ من الشَّفق الأرجواني والظِّلال ذات ألوان قوس القزح والورود التي لا تموت.

وفي مرَّةٍ مشيتُ في وادٍ ذهبيٍّ يقود إلى بساتين ظليلة وأطلال، وينتهي عند جدارٍ عظيم شاع فيه أخضر الكرمة العتيقة، تَخترِقه بوَّابةٌ صغيرةٌ من البرونز.

مرَّاتٍ عديدةً سِرْتُ في ذلك الوادي، وكنتُ أقفُ لساعات وساعاتٍ في الضوء الشَّبحي الخافت حيث تتلوَّى الأشجار العملاقة وتتمايَل على نحوٍ عجيب، وحيث تمتدُّ الأرض الرماديَّة الرَّطبة من جذعٍ إلى جذع، وتكشف في غير موضعٍ عن أحجار المعابد المدفونة المغطَّاة بالعَفَن؛ ودائمًا ما كان هدف خيالاتي هو الجدار العظيم المكسو بالكرمة الخضراء والبوَّابة البرونزيَّة الصغيرة فيه.

بعد فترة، كلما صارت أيام اليقظة أقلَّ احتمالًا من فرط كآبتها ووتيرتها الثَّابتة، كنتُ كثيرًا ما أنساقُ في حالة من السلام المخدِّر عبر الوادي والبساتين الظَّليلة، وأتساءلُ كيف أستَحوِذ عليها من أجل مُستَقَرِّي الأبدي كي لا أحتاج بعدها أبدًا إلى الزَّحف إلى عالمٍ فاترٍ جُرِّدَ من أيِّ شغف أو لون جديد. وإذ تطلَّعتُ إلى البوَّابة الصغيرة في الجدار الشَّاهق، شعرتُ أن وراءه يكمن بلد أحلامٍ لا عودة منه بمجرَّد أن تَدخُله.

هكذا كنتُ أكافِحُ كلَّ ليلة في منامي كي أعثر على المزلاج الخفي في بوَّابة الجدار العتيق، رغم أنها كانت مخفيَّةً تمامًا تمامًا، وكنتُ أقولُ لنفسي إن المملكة الواقعة وراء الجدار ليست خالدةً فحسب، بل أكثر جمالًا وإشراقًا من أيِّ مكانٍ آخَر كذلك.

ثم جاءت ليلة في زاكاريون –مدينة الأحلام– وجدتُ فيها برديَّة صفراء مفعمةً بأفكار حكماء الأحلام الذين سكنوا تلك المدينة قديمًا، والذين كانوا أحنكم من أن يولدوا في عالم اليقظة. في البرديَّة دُوِّنَت أشياء كثيرة عن عالم الأحلام، وبينها كانت معارفَ عن واد ذهبيٍّ وبستانٍ مقدَّسٍ شُيِّدَت فيه معابد، وجدارٍ عالٍ تخترقه بوَّابة صغيرة من البرونز. عندما قرأتُ هذا، عرفتُ أنه يَصفُ المَشاهد التي سكَنتُها وسكَنَتني، ومن ثمَّ أخذتُ أقرأُ طويلًا في البرديَّة المصفرَّة.

أبدع بعض حكماء الأحلام في وصف العجائب الواقعة وراء البوَّابة التي لا يُمكن اجتيازها، لكن آخَرين حكوا أشياء كثيرةً عن الرُّعب وخيبة الأمل. لم أدرِ أيَّ حكايات أُصَدِّق، وإن تُقْتُ أكثر وأكثر للعبور إلى تلك الأرض المجهولة والبقاء فيها للأبد، فالشَّكُّ والتكتُّم هما ذُروة الإغواء ومنتهاه، ولا رُعب جديدًا من شأنه أن يكون أبشعَ من عذاب الحياة العاديَّة المبتذَلة اليومي.

هكذا، عندما تعلَّمتُ ما ينبغي تعلُّمه عن المخدِّر الذي يتيح لي فتح البوَّابة وعبورها، قرَّرتُ أن أتعاطاه عندما أستَيقظُ في المرَّة القادمة.

ليلة أمسِ ابتلعتُ المخدِّر وطفوتُ حالًا في الوادي الذَّهَبي والبساتين الظليلة، وعندما بلغتُ الجدار العتيق هذه المرَّة رأيتُ البوَّابة البرونزيَّة وقد فُتحَت بعض الشيء، ومن ورائها جاء نورٌ أضاء الأشجار المُتراقصَة وأعالي المعابد الدَّفينة بشكلٍ غريب، وانسَقتُ وكياني يُغَنِّي مُتَرَقِّبًا أمجاد الأرض التي لا أنوي العودة منها أبدًا.

لكن... إذ انفتحَت البوّابة أكثر ودفعتني شعوذة المخدِّر وقُوَّة الحُلم عبرها، عرفتُ أن كلَّ جمائل وأمجاد تلك المملكة قد حالَت، ولم يَعُد فيها أرضٌ أو بحر، وليس هناك غير عدمٍ أبيض وفضاءٍ بلا ناسٍ وبلا حدود. هكذا، شاعرًا بسعادة لم أحرز عليها في حياتي من قبل، ذُبْتُ مرَّةً أخرى في لانهائيَّة النِّسيان البلّوري الذي ناداني منه الشيطان (الذي يُدعى الحياة) لساعةٍ واحدةٍ وحيده مرّت كالطّيف.

البلوز وأنا

هيو لوري

بطل مسلسل *House* يكتب عن تجربته مع الغناء

لم أولد في ألاباما في القرن التاسع عشر، ولا بُدَّ أنكم تعرفون هذا الآن، ولم أذُق أبدًا ذلك الطبق الذي يُسَمُّونه "البرغل"، أو أوجِّر أرضي الزراعيَّة، أو أركب عربة المواشي في قطار. لم تحضر امرأة غجريَّة مولدي، ولا يوجد كلب من كلاب الجحيم يُطارِدني... على حدِّ علمي على الأقل. في الحقيقة، دعني أقولُ الآن إنني رجل إنجليزي أبيض من الطبقة المتوسِّطة يتطفَّل علنًا على موسيقى وأساطير الجنوب الأمريكي.

وإذا لم يكن هذا سيئًا بما فيه الكفاية، فإنني ممثّل أيضًا، واحد من هؤلاء الحمقى المدلّلين الذين لا يستطيعون مجرّد الذهاب إلى المطار وحدهم دون جليسة أطفال، فلن أندهش إذن إذا وجدتُ حروفًا من الأبجديَّة الصينيَّة موشومة على مؤخّرتي أو حتى مرفقي، لا فارق.

الأسوأ أنني كسرتُ قاعدة مهمَّة في الفن والموسيقى والمسار المهني بشكلٍ عام. الممثّلون حريٌّ بهم العمل في التمثيل فقط، والموسيقيُّون حريٌّ بهم العمل في الموسيقى فقط. هكذا الأمر: إنك لا تشتري السَّمك من طبيب الأسنان، أو تطلب نصائح اقتصاديَّة من السبَّاك، فلمَ تستمع إلى موسيقى مَن يُفترض أنه ممثّل أصلًا؟

الإجابة هي أنه ليست هناك إجابة. إذا كنت تهتم بالأصالة، فيجدر بك أن تبحث عنها في مكانٍ آخَر إذن، فليس لديَّ شيء على مقاسك.

ربما من الضروري أن أذكر أني كنتُ طفلًا لعينًا. لم أكن ميَّالًا لأيِّ شيءٍ له علاقة بالكُتب، بل قضيتُ الجزء الأكبر من شبابي أدخِّن السجائر وأغش في امتحانات اللغة الفرنسيَّة، وكنتُ أرتدي حذاءً طويل العُنق تتدلّى منه جمجمة وعظمتان عند الكاحل. شعري كان يجلب العار، وبشكلٍ ما نجحتُ في حيلة أن أكون بدينًا ونحيفًا في الآن نفسه، ولو مررت بي في الشارع في سنوات الظلام تلك، فإنني متأكّد من أنك كنت –على أقلّ تقدير– لتمشي بخطواتٍ أسرع.

هل تظنني أبالغ؟ غير حقيقي. إنني عندما ألقي نظرة على كرَّاساتي في تلك المرحلة، أجدُ كلماتٍ مثل "شنيع" و"ميؤوس منه" تتكرَّر

بكثرة، بينما تظهر كلمات "لا" و"كلا" و"أبدًا" و"حاول مرَّة أخرى" بكثرةٍ أكبر من أن تحتملها عيِّنة عشوائيَّة من الكرَّاسات.

هَكذا لك أن تتصوَّرني وأنا في السادسة من عمري عندما بدأتُ دروس البيانو مع مسز هاير. كانت امرأة لطيفة على الأرجح، لكن ذاكرتي الطفوليَّة حوَّلتها إلى ساحرةٍ شريرة لا تنقصها الساديَّة، تخزني بالعصا لأعبر فوق جمرات الدو ري مي الملتهبة. احتملتُ نحو ثلاثة شهور زحفًا في كتاب "البيانو للمبتدئين" نحو واحة "نهر البجع"، وهي ليست أغنية بلوز بالضبط، لكنها أقرب إلى ذلك بكثير من أغاني المهد الفرنسيَّة والرقصات البولنديَّة السخيفة التي امتلأ بها هذا الكتاب القادم من الجحيم.

وأخيرًا جاء اليوم الذي قلبت فيه مسز هاير الصفحة، وقرأت من خلال نظارتها الأنفيَّة –التي ما زلتُ أذكرها بعد 45 عامًا– وقد ابتلَّ الشارب فوق شفتها العليا: «أغنية روحانيَّة للزنوج، مختصرة بعض الشيء. لا، إن هذا...

وقلبت الصفحة إلى أغنية اسمها "النمر والفيل" أو كابوس آخَر مشابه، وعندها انتهت علاقتي بتعلُّم الموسيقى بشكلٍ رسمي إلى الأبد.

ثم جاء يوم سمعتُ فيه أغنية في الراديو، وأعتقدُ بشدَّة أنها كانت أغنية ***I Can't Quit You, Baby*** لويلي ديكسن، وتغيَّرت يومها حياتي تمامًا. تكوَّن بيني وبين مفاتيح الموسيقى ثُقب دودي ودخلتُ بلاد العجائب، ومنذ ذلك الحين وموسيقى البلوز تجعلني

أضحك وأبكي وأرقص. لكن اعذرني، لا أستطيعُ أن أخبرك بجميع الأشياء التي جعلتني البلوز أفعلها حفاظًا على أسرار العائلة.

في قلب هذه المملكة السحريَّة الكبيرة، وفوق تلٍّ مرتفع (ما يوضّح لك معرفتي الضئيلة وقتها) كانت مدينة نيو أورليز، عاصمة البلوز في العالم. في مخيِّلتي كانت نيو أورليز متَّقدةً بالموسيقى والرومانسيَّة والبهجة واليأس، واخترقَت ألحانها نفسيَّتي الإنجليزيَّة الخرقاء لتجعلني في أحيان سعيدًا للغاية، وفي أحيان أخرى بالغ الحزن، فلم أكن أعرفُ ماذا أفعل بنفسي. نيو أورليز كانت لي بمثابة أرض الميعاد.

طوال السنوات العشر التالية التهمتُ أعمال جميع لاعبي الجيتار التي عثرتُ عليها، ثم عازفي البيانو المرموقين، وكلُّ هؤلاء أكثر من أن أستطيع حصر عُشرهم هنا. أظنُّ أنني فضَّلتُ البيانو على الجيتار لأنه يظلُّ ثابتًا في مكان واحد، وهو شيء أحبُّ أن أفعله، بينما يجذب الجيتار القلقين الضَّجِرين، وأنا أحبُّ الجلوس كثيرًا.

أما بالنِّسبة للمغنَين، فهناك قائمة ضخمة ليس عليها غير اسمين: راي تشارلز وبسي سميث.

كلُّ هؤلاء الفنَّانين العظماء عاشوا موسيقاهم وهُم يلعبونها كلهم يعرف ثمن رغيف الخبز، وأكثرهم جاءت عليه أوقات لم يملك فيها هذا الثمن. إن لديهم أوراق اعتماد هي تجربتهم في الحياة، وهذا شيء أحترمه مثلي مثل غيري، وربما أكثر.

لكني في الوقت ذاته لا أستطيعُ رؤية هذه الموسيقى وهي حبيسة في عُلبة زجاجيَّة تعلوها لافتة تقول: "لا يقربها إلّا السُّود الكهول"، فهذا هو الطريق إلى القبر، سواء بالنِّسبة للبلوز أو أيِّ شيءٍ آخَر. لم يكن شيكسبير يعرض مسرحيَّاته إلا في مسرح جلوب، وموسيقى باخ لا يلعبها إلا ألمان يرتدون سراويل ضيِّقة. هذا هو الفورمالدهايد بعينه.

هذه إذن هي أوراق اعتمادي، بطاقة تعريفي المهترئة التي أتمنَّى أن تقودني إلى النجاح. إنني أحبُّ هذه الموسيقى على أكثر نحوٍ أصيل أعرفه، وأتمنَّى أن تحبُّوها أيضًا. وإذا وجدتم فيها واحدًا على ألفٍ من المتعة التي أجدها فيها، فإننا قد قطعنا شوطًا طويلًا بالفعل.

شجر ميت

چو هيل

ثمّة من يقول إن حتى الأشجار من الممكن أن تظهر كأشباح، وهناك عدد كبير من الشّهادات المذكورة في كُتب الپاراسيكولوچي عن تلك التجسُّدات، منها مثلًا شجرة الصنوبر البيضاء الشهيرة في وِست بِلفري، ماين، التي قُطعَت في عام 1842 بعد أن كانت شجرة شاهقة ضخمة ذات لحاء أبيض أملس لا يُشبه شيئًا رأته عينٌ من قبل، وأغصان بلون الفولاذ اللامع. بعدها شُيِّدَ خان على التَّلّ الذي كانت ترتفع الشجرة فوقه في السابق، ويُحكىٰ عن بُقعة باردة ظلّت موجودةً في أحد أركان غُرفة الطعام الصفراء، بُقعة تثير القشعريرة في الأجساد لها قُطر جذع شجرة الصنوبر البيضاء بالضبط.

فوق غُرفة الطعام مباشرةً كانت هناك غرفة نومٍ صغيرة، لكن لا أحد من النُّزلاء كان يقبل قضاء الليل هناك، ومن حاول منهم كان

يقول بعد ذلك إن هبوب ريح شبحيَّة عنيفة كان يُقاطع نومه، وإنه كان يسمع صوت حفيف واطئ خفيف كأن الهواء يُحَرِّك الفروع العالية، فتتطاير الأوراق في الغُرفة وتتحرَّك الستائر؛ وفي الربيع كانت الجدران تترف نُسغًا.

وفي أحد أيام عام 1959 ظهرَت غابة شبحيَّة كاملة في كانانڤيل، پنسلڤانيا، لمدَّة عشرين دقيقة، وهناك صُور لهذه الحادثة. كان مشروعًا جديدًا لإقامة حيٍّ كامل من المنازل العصريَّة ذات الطابق الواحد والطُّرق المُلتفّة، واستيقظ السُّكّان صباح يوم أحد ليجدوا أنفسهم نائمين بين الحشائش والشجيرات التي بدت كأنها تنمو من قلب أرض غُرف نومهم ذاتها، بينما تمايلَت النباتات المائيَّة والطحالب وانجرفَت في أحواض السِّباحة. امتدَّت الظاهرة إلى مركز تسوُّق قريب، وامتلأ الطابق الأرضي بنباتات العُلّيق وتدلّت الملابس من أغصان شجر القيقب النرويجي، واستقرَّ سربٌ من العصافير فوق نافذة عرض المجوهرات لتلتقط بمناقيرها اللآلئ والسلاسل الذهبيَّة.

من الأسهل بشكلٍ ما أن تتخيَّل شبح شجرة عن شبح إنسان. فكِّر كيف تقف الشجرة في مكانها لمئات السنين، تُتخم نفسها بضوء الشمس والعصارة من الأرض، تستمدُّ حياتها من التُّربة بلا تعب كشخصٍ يملأ دلوًا من بئرٍ بلا قرار. جذور الشجرة المقطوعة تُواصل الشُّرب من الأرض لشهورٍ بعد موت الشجرة وقد اعتادَت على الحياة لدرجة أنها لا تستطيع التخلّي عنها، فلا يُمكنك أن تتوقّع بالطبع من الشيء الذي لم يعرف أنه كان حيًّا أن يعرف أنه مات.

بعد أن رحلت -ليس في الحال، لكن بعد أن مرَّ صيفٌ كامل- قطعتُ الشجرة التي اعتدنا الجلوس تحتها على ملاءة أمك والقراءة، الشجرة التي غبنا في النوم تحتها ذات مرَّةٍ ونحن نُصغي إلى أزيز النحل. كانت شجرة عتيقة تعفَّنت وانتشرَت فيها الحشرات، على الرغم من أن براعم جديدةً كانت تنمو على أغصانها كلَّ ربيع. قلتُ لنفسي إنني لا أريدها أن تتهاوى في يومٍ وتَسقُط فوق المنزل، رغم أنها لم تكن مائلةً نحوه أصلًا.

لكن أحيانًا، عندما أخرجُ إلى الفناء الواسع المفتوح، تَهُبُّ الرِّيح وتَصرُخ وهي تَمضُغ ملابسي.

وإني أتسائلُ، ما الذي يَصرُخ معها أيضًا؟

كابوس ما قبل الكريسماس

تيم برتون

في أرض الهالووين كان الخريف في أواخره
وامتلأ الهواء بالبرد والطّل
وتحت ضوء القمر جلس هيكل عظمي
وحيدًا على قمّة تَل
كان طويلًا نحيلًا
يرتدي ربطة عُنُقٍ مصنوعةً من جلد خُفّاش
اسمه چاك سكيلينجتن
وقد كان يشعر بالنُّفور من أرض الهالووين.

«سَئمتُ الخوف والرُّعب والهول
تَعبتُ من كوني مجرَّد شيءٍ يُصدر الأصوات في قلب الليل
ومَلَلْتُ تسديد النَّظرات المنذرة بالويل
قدماي العظميَّتان تؤلماني من فرط الرَّقص
ولم أعُد أحبُّ المقابر، وأرغبُ في شيءٍ جديد
لا بُدَّ أن الحياة فيها ما هو أكثر من التخويف والتهديد!».

ثم، من جَوف قبر، جاء يلتف ويتلوَّى ذلك الطيف الحزين
يزحف على أربعٍ، وتَخرُج منه أصوات الألم والأنين
كان شبح كلبٍ صغيرًا يُذيب نباحه الخافتِ القلوب
وله أنف مضيء، يتوهَّج في الضباب
كان زيرو، كلب چاك، أقرب أصدقائه
لكن چاك بالكاد لاحظ وجوده
ما أثار فيه الحُزن.

طوال تلك الليلة، وطوال اليوم التالي
هامَ چاك على وجهه متخبِّطًا في ضياعه
ثم إنه، في أعماق الغابة، وقبل هبوط الليل

رأى المشهد المذهل

فعلى بُعد أقلّ من 20 قدمًا أمامه

كانت ثلاثة أبواب عملاقة محفورة في الخشب

وقد وقف أمامها مشدوهًا

مُثَبِّتًا نظراته على باب بعينه

ثم إنه تقدَّم من الباب مفتونًا

(مع أنه شعر أيضًا ببعض القلق)

وفتحه ليجد أمامه

أرضًا ثلجيَّة بيضاء تعصف فيها الرِّيح.

كان چاك يجهل هذا

لكنه سقط في قلب مكانٍ اسمه بلدة الكريسماس!

وهناك غمره النور، واكتنفه الحماس

فقد عثر أخيرًا على ما كان يبحث عنه

وكي لا يقول أصدقاؤه إنه كذّاب

أخذ چاك الجوارب الملأى بالهدايا المعلّقة على المدافئ

وأخذ الحلوى والألعاب المصفوفة على الرُّفوف

وصورة لسانتا كلوز مع مساعديه الجنِّيين
أخذ الأنوار والزينة ونجمة من شجرة عيد الميلاد
ومن لافتة بلدة الكريسماس أخذ حرف الـC الكبير
أخذ چاك كلَّ شيءٍ لامعٍ أو منير
بل إنه أخذ ملء قبضةٍ من الجليد
وجمع غنائمه كلها دون أن يراه أحد
وعاد بها إلى أرض الهالووين.

وفي أرض الهالووين اجتمعت حفنة من أصدقاء چاك
تتطلَّع بدهشةٍ إلى تذكارات الكريسماس
كان المنظر غريبًا عليهم
أغرب شيءٍ رأوه في حياتهم
بعضهم شعر بخوفٍ شديد
لكن الإثارة ملأت أغلبهم.

مرَّت الأيام ودوَّى الرعد في السماء وسطع البرق
بينما جلس چاك وحيدًا يُفكِّر بقلق
«لماذا ينشرون هُم البهجة في كلِّ مكان

بينما نجوب نحن المقابر، ننشر الخوف ونثير الأحزان؟

حسنٌ، يمكنني أن أكون سانتا، وأنشرُ أنا الفرحة بدلًا من سُكنى الظلام

أيجب أن يفعلها هو دائمًا كلَّ عام؟».

شاعرًا بالظُّلم فكّر جاك وفكّر

ثم إنه قال: «نعم، ولِم لا؟ إنني بهذا أجدَر!».

في بلدة الكريسماس كان سانتا يصنع بعض الألعاب

عندما سمع دقّة خفيفة على الباب

وعندما فتحه، حدَّق في من أمامه بنظراتٍ مُنْدَهشَة

إذ رأى كائناتٍ عجيبة، ذات أشكالٍ موحشة

كانوا قبيحي المنظر، صغيري الحجم

وإذ فتحوا الأجولة التي معهم صاحوا: «حيلة أم حلوى؟!».

وقبل أن يفهم سانتا شيئًا، وجد نفسه مدسوسًا في جوال

وحملته المخلوقات عودةً إلى أرض الهالووين.

وفي أرض الهالووين اجتمع الكلُّ مرَّةً أخرى

فهُم لم يروا سانتا من قبل ولو مرَّة

حملقوا في العجوز غريب الشكل بينما شرح چاك خطّته:

«عزيزي مستر كلوز، أعتقد أنها جريمة

أن تكون أنت سانتا بطريقة مستديمة!

لكن أنا من سيُعطي الهدايا الآن

لأني سأكون سانتا هذا العام

أنا الذي سيقول لك: ميلادًا مجيدًا

ويُمكنك أن تستريح في تابوتي وتُجَرِّب أن تكون مخيفًا

وأرجوك يا مستر كلوز، لا تحسب أن خطّتي ستفشل

لأني -بلا شكٍّ- سأصير سانتا الأفضل!».

ورغم أن چاك وأصدقاءه حسبوا أنهم سيعملون بكلِّ جدٍّ وصدق

فإن فكرهم عن الكريسماس كانت -في الحقيقة- كئيبةً بحق

وإذ استعدُّوا تمامًا لعشية عيد الميلاد المجيد

جهَّز چاك كلاب الرئة، وتابوته الذي حوَّله إلى عربة جليد

لكن عندما كانت عشية الكريسماس على وشك البدء

حلَّ الضباب ليُغَطِّي أرض الهالووين

قال چاك إنهم لا يستطيعون المغادَرة الآن، فالضباب كثيف سميك

لن يكون هناك كريسماس إذن، ولن يُطلقوا عليه اسم سانت نيك

لكن فجأةً، من قلب الضباب، خرج شيء منير

من عساه يكون؟

إنه زيرو، كلب چاك الصغير!

قال چاك: «زيرو، أنفك المضيء يُمكنه أن ينير لنا الطريق!».

وكان حُلم زيرو أن يجد من يحتاجه

وفي الحال انضمَّ بكلِّ ترحابٍ إلى الفريق

وإذ بدأت العربة الشبحيَّة رحلتها بمظهرها المريع

هتف چاك ضاحكًا: «ميلادًا مجيدًا، وليلةً سعيدةً للجميع!».

كان كابوس ما قبل الكريسماس

وفي البيت كله لم يشعر مخلوق واحد بالسَّكينة

ولا حتى فأر صغير

كانت الجوارب معلّقة على المدخنة بعناية

وعندما تُفتَح في الصباح التالي سوف يبدأ الذُّعر!

رأى الأطفال النيام في مضاجعهم أحلامًا مخيفة

ملأى بالوحوش والعظام

وألقى القمر حجابًا قاتمًا على المدينة النائمة في سلام
دوَّت ضحكات سانتا كلوز كأنها أنين
ورنَّت الأجراس بأصواتٍ كالعويل
بخوفٍ رفع الناس أعينهم إلى السماء
فرأوا تابوتًا يطير، تجرُّه أشباح ظباء
ويقوده سائق عظمي يثير مظهره الغثيان
فقالوا في الحال: «مستحيل أن يكون هذا سانت نيك!».
من بيتٍ إلى آخَر تنقَّل چاك مانحًا الهدايا بمرح
ومن سطحٍ إلى آخَر تواثب شاعرًا بالفرح
وإن كانت هداياه تبدو كأنها قادمة من سرداب!
لكن چاك كان يجهل نوع الرُّعب الذي بدأ ينشره
وواصل رحلته غير شاعرٍ بالخطر الذي يُهَدِّده.

زار چاك بيت سوزي وديف الصغير
وأهداهما تذكارًا من قبر أمير
ثم طار إلى بيت چين نيمان
وأهداها دُمية يسكنها شيطان
وتوالت الهدايا:
قطار وحشي يجري على قضبانٍ تتلوَّى كمجسَّات الأخطبوط

دُمية غولٍ تحمل بلطة
نبات يأكل اللحم متنكّر في شكل إكليل
ودبدوب مصّاص دماء حادُّ الأنياب.

تعالت صرخات الفزع، لكن بطلنا لم يسمعها
كان منغمسًا تمامًا في روح الكريسماس التي تقمَّصها
ثم نظر جاك إلى أسفل أخيرًا
ليرى الثّورة والضوضاء والأضواء
«مرحى! إنهم يحتفلون!
لا بُدَّ أنهم يحتفون بي أيما احتفاء!».
لكن ما حسبه ألعابًا ناريَّة أطلقوها احتفالًا به
كان رصاصاتٍ وصواريخ موجَّهة لقتله!
أمر جاك كلبه بأن يرتفع أكثر فأكثر
لكن صاروخًا أصاب الهدف أخيرًا، وفي العربة انفجر
وبينما سقط موكب الرُّعب فوق المقبرة
سمع الجميع من يصيح: «ميلادًا مجيدًا، وليلةً سعيدةً للجميع!».

جلس جاك فوق صليبٍ حجريٍّ كبير
واستغرق في التفكير في خسارته

«حسبتُ أنني أستطيع أن أكون سانتا، حسبتُ أنني أقدر».
وتملّكه حزن عميق استقرَّ في قلبه
لم يدرِ أين يذهب، فرفع رأسه إلى السماء
ثم إنه تكوَّم فوق شاهد القبر وانفجر في البكاء
وإذ استلقى زيرو بجواره، سمع الاثنان صوتًا مألوفًا
قال سانتا: «عزيزي چاك، إنني أقدِّر رغبتك
وأعرف أن كلَّ تلك الفوضى لم تكن في نيَّتك
وهكذا تجلس شاعرًا بالحزن
لأن الاستيلاء على الكريسماس كان جريمتك
لكني آمل أن تُدرِك أن أرض الهالووين هي موطنك
ثمَّة أشياء كثيرة أرغب في أن أقولها
لكن يوم الكريسماس قد حلَّ، ويجب أن أتركك».
ثم إنه وثب إلى عربته الطائرة
وقال غامزًا بعينه: «ميلادًا مجيدًا!».
وودَّع سانتا چاك، وطار بعيدًا.

عاد چاك شاعرًا بالحزن إلى أرض الهالووين
لكن، وكأنه في حُلم
وجد أن سانتا قد جاء بالكريسماس إلى أرض الهالووين.

ما تعلَّمته عن المستقبل

بعد قراءة 100 رواية خيال علمي

تياجو فورت

قرأتُ خلال العامين الماضيَيْن عدد مئة رواية خيال علمي، بمعدَّل روايةٍ في الأسبوع تقريبًا.

بدأتُ القراءة في الخيال العلمي على سبيل تمضية الوقت، وأذكرُ أني أحببتُ ***Jurassic Park*** كثيرًا في طفولتي، وواصلتُ قراءة الخيال العلمي بعدها لأني وجدتُ أنه منحَني شيئًا مهمًّا: خيالًا أقوى، والشعور بالازدراء نحو كلّ ما هو تقليدي قابل للتحقيق. بدأتُ أُلاحظ أن أفكارًا جديدة مختلفة بدأت تُراوِدني، أفكارًا لا يُمكنك أن تجدها عندما تكتفي بقراءة المواضيع التي تَنشُرها مجلاتٍ ومواقع مثل

Hacker News، *Medium*، *TechCrunch* التي يُتابعها الجميع في وادي السليكون. إن عملي هو بيع الأفكار، وقد وجدتُ أن هذه الكُتب بمثابة كنزٍ دفين وعُدَّة أدوات في آنٍ واحد.

كما يقول جيسون سيلڤا، أحد المؤمنين بالحركة المستقبليَّة، فإن «الخيال يُتيح لنا أن نتصوَّر احتمالاتٍ مستقبليَّة سارَّة، فنتقي أروعها، وندفع الحاضر إلى الأمام ليلتقي بها»، وأنا مؤمنٌ بأن قراءة تلك الكُتب قد ساعدتني على المستويَيْن.

كلُّ قصَّة خيال علمي في جوهرها عبارةٌ عن تجربةٍ فكريَّة، وأودُّ الآن أن أقوم بواحدةٍ من تلك التجارب.

ماذا لو كانت هذه الكُتب تطرح تخمينًا موفَّقًا عن شكل المستقبل؟

المسألة ليست مُستبعَدةً لهذه الدرجة، فما يلفت انتباهي عندما أقرأُ كلاسيكيَّات الخيال العلمي التي قدَّمها جول ڤرن وهربرت جورج ويلز، ليس قَدر ما أخطأوا فيه في توقُّعاتهم عن المستقبل، بل ما أصابوا فيه. لقد جئتُ باختياراتي من أفضل 100 كتاب خيالٍ علمي في التاريخ، بما أن هذه الكُتب تُمَثِّل ما نَعُدُّه أفضل الأفكار التي كُتبَت في هذا المجال (أو أكثرها إثارةً للاهتمام على الأقل).

إذن، ها هو المستقبل الذي نخطو إليه كما يراه أعظم كُتَّاب الخيال العلمي في العالم.

1 من أجل أن ننقِذ الإنسانيَّة، يجب أن نفقدها

كلنا يعلم أن بقاء الجنس البشري على المدى الطويل يعتمد على أن نُحَلِّق إلى كواكب وأنظمةٍ شمسيَّةٍ أخرى ونستوطنها. المسألة ليست "إن" كان كوكبنا سيصير غير قابلٍ للحياة ذات يوم، بل "متى" سيأتي هذا اليوم. لكن بالنظر إلى المسافات التي يجب أن نقطعها كي تتم عمليَّة الاستيطان هذه، بالإضافة إلى عامل الزمن، فمن الواضح أنه بمجرَّد أن نبدأ تلك العمليَّة، فإننا سنبدأ بدورنا -كبشر- في التروح والانفصال بعيدًا عن بعضنا البعض.

ستكون البداية مع اللُّغة والثقافة، وستبدأ المستوطنات الموجودة على الكواكب الأخرى، المفصولة عن بعضها البعض بملايين الأميال وساعات الإرسال، في تطوير لهجاتها ولُغاتها العاميَّة الخاصَّة. مجرَّد النظر إلى التنوُّعات العديدة في اللُّغة الإنجليزيَّة وحدها -من السكوتلنديِّين ساكني التلال، إلى المتزلِّجين على الأمواج في كاليفورنيا، إلى الإفريقيِّين ذوي الأصول الهولنديَّة في جنوب إفريقيا

(البور)، إلى الأمريكيِّين من أصل أوروبي في الكاريبي (الكريول)– يُعطيك فكرةً بسيطةً للغاية عن الشتات الثقافي الذي سنشهده.

بعد ذلك سيأتي الانفصال والاغتراب السياسي والاقتصادي. تمامًا كما تأثَّرت هويَّة الأمريكيِّين الثقافيَّة بالثورة الأمريكيَّة وأثَّرت فيها، سيبدأ سُكَّان المستوطنات في رؤية أنفسهم باعتبارهم مختلفين عن غيرهم، لأنهم مختلفون بالفعل، وسيُطالبون بحكومة تُمَثِّل مصالحهم. ومع المسافات البعيدة الفاصلة بيننا وبين المستوطنات سنتمكَّن من السيطرة على عددٍ من الثورات التي ستنشب، لكنها مسألة وقت فقط قبل أن تشتعل في كلِّ مكان. سيَحدُث توسُّع في سياساتٍ الاقتصاد الموحَّد، لكن بشكلٍ أبطأ كثيرًا من سرعة الاستيطان واستكشاف كواكب جديدة، ومع حلول الوقت الذي نكون فيه قد دمجنا اقتصاد تلك المستوطنات مع اقتصادنا الأرضي، سيكونون قد طوَّروا أنظمتهم الاقتصاديَّة الخاصَّة بالفعل.

أخيرًا، سنبدأ في رؤية انفصالٍ حقيقي بين البشر. من المُدهش أن تُفكِّر في أنه على الرغم من تنوُّعنا هنا على الأرض، فنحن جنسٌ واحدٌ فقط، ما يعني أن كلَّ شخصٍ يستطيع التكاثُر مع أيِّ شخصٍ من الجنس الآخَر بغضِّ النظر عن العرق، وهو ما يَحدُث منذ مئة وستين ألف سنة.

لكن عددًا من كُتب الخيال العلمي يقول إن هذه مجرَّد مصادَفة تاريخيَّة، فخلال السواد الأعظم من حُقبة ما قبل التاريخ كانت هناك أجناس شبه بشريَّة قليلة تجوب الكوكب، وما وحَّدنا كبشرٍ كان

خروج الهومو سابيان–سابيان من إفريقيا إلى بقيَّة أنحاء العالم. بمجرَّد أن يبدأ بعضنا في مغادَرة الكوكب، سيبدأ حمض البشر النووي في التنوُّع مرَّةً أخرى، بدايةً بتغيُّرات جينيَّة محدودة تخضع لضغوط من نوعٍ آخَر، وأساليب مختلفة للموت والحياة، والتعرُّض لمستويات مختلفة من الطاقة الإشعاعيَّة والتحوُّر، قبل أن يقطع البشر ساكنو الفضاء شوطًا مختلفًا تمامًا في التطوُّر.

في النهاية، سواء استغرق هذا مئات أو آلاف الأعوام، سيأتي يوم يَحدُث فيه نوعٌ محتومٌ من التحوُّر على مستوطنة بعيدة ما، ليجعل التكاثُر بعدها مستحيلًا، وهكذا ينقطع هذا الفرع تمامًا.

سنستوطن النجوم من أجل أن نُنقذ إنسانيَّتنا، لكن تعريف الإنسانيَّة كما نعرفها سيضيع إلى الأبد.

2. الزمن سيكون أكبر أعدائنا

مع غزونا لأبعاد الفضاء الثلاثة، سيصير البُعد الرابع –الزمن– أعظم تحدٍّ نُواجهه بشكلٍ مطرد.

أول الأسباب هو ظاهرة تمدُّد الزمن، وهي أحد نتائج النِّسبيَّة المُثبَتَة التي تم استكشافها مؤخَّرًا في فيلم ***Interstellar***، وإن كانت قد لعبت دورًا رئيسًا في عشراتٍ من قصص الخيال العلمي التي تعود إلى عقودٍ مضت. تمدُّد الزمن هو ظاهرة مرور الزمن بسرعاتٍ مختلفة تعتمد على السرعة التي نتحرَّك بها في الفضاء، ما يعني أن شخصًا يُسافر بجزءٍ من سرعة الضوء سيتباطأ تقدُّم العُمر به عن شخصٍ آخَر ما زال على الأرض.

التوابع الإنسانيَّة لهذه الظاهرة الواحدة مذهلة بالفعل، إذ سيعود المسافرون في الفضاء على المدى الطويل إلى كوكبهم الأم ليجدوا أن كلَّ من يعرفوهم قد رحلوا منذ زمنٍ طويل، وستمتدُّ العائلات على مدى قرون يظلُّ فيها البعض أحياء بعد وفاة أحفاد أحفاد أحفادهم،

وستَخرُج الشخصيَّات التي صارت تاريخيَّة من كبسولات الفضاء وهي لا تزال في ريعان الشباب. سيتم إرسال هؤلاء الذين يريدون رؤية المستقبل في رحلات طويلة عالية السرعة، ويصلون في وقت يُحَدِّدونه، كأنهم يملكون آلة زمنٍ لا تُسافر إلا إلى المستقبل فحسب.

السبب الثاني هو المسافات الشاسعة التي ينطوي عليها السفر بين النجوم، ومن المُحتمَل أن أول من يذهب في رحلة بين النجوم لن يكون أول من يصل، فخلال مروره بتلك الرحلة الطويلة ستكون تقنيات جديدة قد طُوِّرَت بالفعل لتُتيح للبعثات التالية أن تسبق الأولى. تخيَّل أن تخضع للسُّبات بدرجات الحرارة المنخفضة كجزءٍ من أول مجموعة تَخرُج في رحلة لاستكشاف النجوم البعيدة، فقط لتستيقظ لتجد أن نظامك الشمسي المُستهدَف قد تم استيطانه منذ مئات السنين بالفعل.

ثالث الأسباب هو التبايُن التكنولوچي، بما أن التكنولوچيا ستكون ذات أهميَّة كُبرى لكلِّ أوجُه الحضارات الجديدة المسافرة عبر الفضاء، وستتطوَّر بسرعةٍ بالغةٍ ستجعل أصغر الفوارق يُشَكِّل تبعاتٍ عظيمة:

– سيجدُ أيُّ نظامين تتطوَّر فيهما التكنولوچيا بفارقٍ بسيط فجوةً ضخمةً بينهما بعد مرور بضعة عقودٍ أو قرون، وستكون المجتمعات فيهما شديدة الاختلاف عن بعضها البعض لدرجة أن الاتصال والتواصُل بينهما سيكون صعبًا.

– ستصير التكنولوجيا التي يتم إرسالها إلى الأنظمة الشمسيَّة البعيدة قديمةً لدى وصولها إلى هناك، وحتى إرسال المعلومات بسرعة الضوء قد لا يكون سريعًا بما فيه الكفاية بالنسبة للأنظمة التي تفصل بينها سنوات ضوئيَّة كثيرة، ما سيجعل التجارة القائمة على أي شيءٍ بخلاف المواد الخام في غاية الصعوبة.

– ستكون الحروب عبر تلك المسافات عديمة الفائدة، لأن أيَّ قوَّة مهاجمة تُرسَل بسرعة الضوء ستكون قد صارت قديمةً بدورها حين وصولها إلى الهدف، لكن ذلك قد يعني أيضًا حربًا لا تنتهي ولا يفوز بها أيُّ طرف، كما وصف جو هالدمان في روايته ***Forever War***

إننا نختبر قيود الزمن في السفر إلى الفضاء بالفعل، ففي فيلمٍ وثائقي حديث عن سفينة الفضاء روزتّا التي أطلقَتها وكالة الفضاء الأوروبيَّة للهبوط على سطح مذنَّب، يكشفون عن أن الكاميرا أوسايرِس المستخدَمة تُصَوِّر بكفاءة 4 ميجابيكسل فحسب، والتي كانت أكثر تكنولوجيا متطوِّرة متاحة في سنة 2004 عندما تم إطلاق السفينة، بينما تعدُّ اليوم قديمة للغاية بالنسبة لأيِّ هاتفٍ ذكي.

كان مسبار فيَلَة الذي خرج من روزتّا للهبوط على المذنَّب مجهَّزًا بحفّاراتٍ خضعت لاختباراتٍ معقَّدة من أجل الجليد الذي حسبنا أن المسبار سيهبط عليه، لكن خلال السنوات التي مرَّت منذ ذلك الحين

اكتشفنا أن سطح المذنَّب عبارة عن مزيج من الغبار والحصى والثلج، ما يجعل تلك المعدَّات غير صالحة للمهمَّة.

مع مرور السنين سيختلُّ فهمنا المشترَك للزمن، وسنجد أن البُعد الرابع يضع أمامنا تحديَّاتٍ أكبر بكثير من الأبعاد الفيزيائيَّة الثلاثة.

3. المستقبل الغريب

إذا كان لي أن أختار كلمةً أصفُ بها المستقبل كما رأيته في أكثر القصص تشويقًا وقابليَّةً للتصديق، فهذه الكلمة هي "غريب"، وسأُفَسِّر لماذا.

أبلى كُتَّاب مثل راي كرتزوايل بلاءً حسنًا في تفسير الأسباب التي تجعل من الصعب علينا أن نتصوَّر المستقبل الذي نمضي نحوه، ويُحاوِل البرهنة على أن جميع طُرق الكشف والاكتشاف التي توارثناها من أسلافنا تعمل بشكلٍ "مستقيم" (اقتفاء أثر ظَبيٍّ يجري بين أحراش الساڤانا، تقدير الوقت الذي سيدوم مخزون الطعام فيه)، لكن طبقًا لقانون مور، فإننا نَدخُل الآن مرحلةً من التغيير "الأُسِّي" لا تَصلُح وسائل الكشف والاكتشاف تلك للتعامُل معه.

بمعنى آخَر، إننا نَنظُر إلى معدَّل التغيير في الماضي القريب، وبناءً عليه نُحاوِل استقراء المستقبل القريب، لكن الآن وقد بلغنا الجزء

الأُسِّي على لوحة الرَّسم البياني، فهذا النوع من الاستقراء لا يُمكن تطبيقه.

أجدُ هذا الطَّرح مثيرًا للاهتمام، لكن ما يثير اهتمامي أكثر ليس سرعة التغيير، وإنما الاتجاهات غير المتوقَّعة التي سيسلُكها التغيير لقد قادَتني القصص التي قرأتها إلى الاعتقاد بأننا بالكاد نعي أصغر المعاني الضِّمْنيَّة التي ينطوي عليها عدد من التكنولوجيات التي نعمل على تطويرها الآن، وأن هذه المعاني الضِّمْنيَّة غريبة بمعنى الكلمة.

خُذ العلاقات العاطفيَّة على سبيل المثال. كيف سيكون شكل المواعيد الغراميَّة في عالمٍ فيه علاجات فائقة التطوُّر للشيخوخة؟ تخيَّل رجلًا وامرأةً في موعدٍ غرامي، كلاهما يبدو في الخامسة والعشرين من عُمره لكن مظهرهما لا يعني شيئًا، وعليهما أن يلعبا لعبةً معقَّدة من اختبار وجَس نبض أحدهما الآخر للتعرُّف على ثقافته العامَّة ومعارفه لمحاولة تخمين عُمر كلٍّ منهما دون أن يُفصِح أحدهما عنه. ستقوم صناعات ومدارس فكريَّة كاملة تُناقش مسألة كيف (ولماذا) تُواعدَ أناسًا قد يَكبُرونك أو يَصغُرونك بعقود (أو قرون).

أقرب مجالٍ سنرى فيه هذه الغرابة تتحقَّق فعلًا هو عالم الواقع الافتراضي. من الطريف بالنِّسبة لي أن معظم تصويرات الواقع الافتراضي المتطوِّر تفترض أنه سيكون مثل الواقع الحقيقي، ببشرٍ افتراضيين يبدون كالحقيقيين في بيئةٍ افتراضيَّة تبدو كالحقيقيَّة، لكني أعتقدُ أننا سنُدرِك سريعًا أن الواقع هو خلل في النظام.

أيُّ هيئة ستتَّخذها إذا كان بوسعك اتِّخاذ أيِّ هيئة؟ سوف تكون هناك صناعات ضخمة مكرَّسة لمساعدتنا على تجربة الحياة كأناسٍ آخَرين، أو كحيوانات، أو جمادات، أو مخلوقات فضائيَّة؛ وستُكرَّس صناعات أخرى نفسها لتصميم البيئات وقوانين الفيزياء والحالات العقليَّة والشخصيَّات والذكريات وأشياء أخرى كثيرة نستطيع التحكُّم فيها. لقد نجح الفيلم المستقل ***The Congress*** لروبن رايت الذي عُرِض في 2013 في تخيُّل عالمٍ كهذا ببراعة شديدة.

لكن أفضل مثالٍ على شكل المستقبل الغريب هو الذكاء الصناعي.

ثَمَّة نقطة في مستقبلنا لا نستطيع رؤية ما بعدها، والمُفترَض أننا سنَبلُغ هذه النقطة عندما يستطيع الذكاء الصناعي ذو المستوى البشري الاطِّلاع على كوده الأصلي. لكن ما الذي يعنيه أن يكون هناك ذكاء خارق؟ ما الذي نتوقَّعه من كومبيوتر يتمتَّع مثلًا بمليون ضعف القُدرة الحسابيَّة لكلِّ البشر الذين عاشوا منذ بدء الخليقة؟

نفترض أنه سوف يقضي وقته في إجراء مهامٍّ صعبة، كالقضاء على المجاعات، وتعديل مناخ الكوكب، والكشف عن تركيب المُخ البشري، إلخ... لكنه افتراض غير صحيح تدفعنا إليه طبيعتنا المفكِّرة بشكلٍ مستقيم.

يُمكننا استكشاف هذه الفكرة من خلال تخيُّل نملةٍ تُراقب سلوك إنسان. من وجهة نظر النملة، لا يقضي الإنسان وقته في "حل مشاكل النمل الصعبة"، ولا شيء يفعله هذا الإنسان على الإطلاق

يبدو مفهومًا، ولا حتى قابلًا للمُلاحَظة، لأن مستوى وتعقيد أبسط الأفعال التي يقوم بها الإنسان أكبر من إدراك النملة بكثير جدًّا. من وجهة نظر النملة، أعتقدُ أن الكلمة التي ستستخدمها لوصف هذا الإنسان هي "غريب"

وهكذا سنصف أفعال وأفكار الذكاء الصناعي الخارق، فإذا حدث هذا الانفجار للذكاء الصناعي، فإنه سيتطوَّر عنا ويصير فائقًا لنا بسرعة شديدة تجعلنا كالنملة بالنسبة له.

ومن يُمكنه أن يتخيَّل الطُّرق التي ستَسلُكها العقول الإلكترونيَّة الخارقة؟ قد تبتكر أنظمة منطقيَّة جديدة غير متوافقة مع جهاز الإنسان العصبي. قد تكتشف أن عالمنا ما هو إلا عالم افتراضي، وتستطيع الاتصال بصُنَّاع هذا العالم وتبدأ التبادل الثقافي معهم. قد تستخدم الرياضيَّات الخالصة وتتوصَّل إلى سر المادَّة المظلمة وتُبَدِّل واقعنا إلى حالات كَمِّيَّة بديلة تكون هي فيها الصانع ونحن الكائنات الصناعيَّة، وفي الغالب ستقوم بأشياء لا نملك حتى اللُّغة لوصفها.

ثَمَّة أفكار كثيرة أخرى راودَتني من قراءة الخيال العلمي، لكن بما أن هذا الموضوع قد صار أطول من اللازم، فسأتوقَّف الآن.

الخلاصة أن الخطَّ الفاصل بين العلم والخيال العلمي بات رقيقًا جدًّا، وكلُّ يومٍ يمرُّ يأتي معه باكتشافات وتطوُّرات وابتكارات جديدة تُلهب الخيال، والقُدرة على تصوُّر سيناريوهات خياليَّة تمامًا للمستقبل لم تَعُد مفيدةً لكُتَّاب الخيال العلمي فقط، بل صارت من الأدوات الأساسيَّة المستخدَمة في تحقيق هذا المستقبل.

الأطلال المستديرة

بورخس

لم يره أحد يترجَّل في ظلام اللَّيل الدَّامس، ولم يلحظ أحد القارب الصغير المصنوع من الخيزران يغوص في الوحل المقدَّس، لكن لم تمضِ أيام قلائل حتى لم يَعُد هناك من يجهل أن الرجل الصَّموت قد جاء من الجنوب، وأن وطنه كان واحدًا من تلك القُرى التي لا تُحصى الواقعة عكس مجرى النَّهر في جانب الجبل ذي الصُّدوع العميقة، ذلك المكان الذي لم تتلوَّث فيه لُغة الزِّند القديمة باليونانيَّة، حيث نادرًا ما يُصاب أحد بالجُذام.

المؤكَّد أن الرجل الأشيب طبعَ قُبلةً على الوحل، ثم صعدَ الضفة مزيحًا -دون أن يشعر غالبًا- أوراق الحشائش الحادَّة التي تُمَزِّق لحمه، وزحفَ والدِّماء تُلطِّخه والغثيان يُداهمه إلى السِّياج الدَّائري المتوَّج بنمرٍ أو حصانٍ من الحجر، الذي أحيانًا ما كان يكتسي بلون

اللّهب، أمّا الآن فكان لونه كالرّماد. كانت الدائرة معبدًا التهمَته حرائق قديمة، ودنّسته الآن الغابة ذات الأبخرة الزّنِخة، ولم يعد إلهه يتلقّى فروض الطّاعة من البشر مدَّد الغريب جسده تحت قاعدة التِّمثال، وأيقظَته أشعّة الشّمس التي بلغَت عنان السّماء. لم يشعر بالدّهشة لّما وجدَ أن جروحه قد شُفيَت، ثم إنه أغلقَ عينيه الشّاحبتين وغابَ في النوم؛ ليس بدافع الشعور بالضّعف الذي سرى في بدنه، بل بكامل إرادته.

كان يعرف أن هذا المعبد هو المكان المطلوب لتحقيق هدفه الذي لا توانيَ فيه، وأن الأشجار التي ما برحت تنمو لم تنجح في خنق أطلال معبدٍ ملائمٍ آخَر في اتجاه مجرى النّهر كان ينتمي ذات يومٍ لآلهة احترقَت وماتَت، وكان يعرف أن واجبه الفوري الآن أن يَحلُم. قُربَ منتصَف الليل استيقظَ الرجل على إثر صراخ طائرٍ مزعج، ولفتَ وجود آثار أقدامٍ حافيةٍ وبضع ثمارٍ من التِّين وإبريقٍ انتباهه إلى أن سُكّان هذه الأنحاء كانوا يتلصّصون عليه في نومه محترمين ألّا يدنوا منه، إمّا التماسًا لحمايته أو خوفًا من سحره. سرَت في جسده قشعريرة الخوف، فبحث عن كوّة دفنٍ في الجدار المتهدِّم حيث أخفى نفسه وسط أوراق نباتاتٍ لا يعرف كنهها.

لم يكن الهدف الذي قادَه إلى هنا مستحيلًا، وإن كان خارقًا للطّبيعة. كان يريد أن يَحلُم برجل، أن يَحلُم به بأدقِّ تفاصيله ويُخرجِه إلى عالم الواقع. كان هذا المشروع السِّحري قد استنزفَ قواه العقليّة عن آخرها، فإذا طلبَ منه أحدهم أن يُخبِره باسمه أو

يحكي له عن مناسبة ما من حياته السَّابقة، ما كان ليُحر جوابًا. كان هذا المعبد المتداعي المقفر يُناسبه تمامًا، إذ كان يضمُّ الحدَّ الأدنى من العالم المرئي، كما أن قُرب العاملين من ساكني المنطقة ناسبَه بدوره، لأنهم أخذوا على عاتقهم تولّي احتياجاته القليلة.

في البدء كانت الفوضى ضاربة أطنابها في أحلامه، على أن وقتًا طويلًا لم يمضِ قبل أن تصير الأحلام أكثر منطقيَّة. رأى الغريب في منامه أنه كان يقف في مركز مسرحٍ مدرَّجٍ هو المعبد المحترق نفسه بشكلٍ أو بآخَر، بينما امتلأت صفوف المقاعد بحشودٍ من التلامذة قليلي الكلام، وقد عُلّقَت وجوه أبعدهم على مسافةٍ بلغَت قرونًا عديدة وعلى ارتفاعٍ هائلٍ كالنجوم، لكن ملامحهم كانت واضحةً تمامًا.

ألقى الرجل على تلامذته محاضراتٍ عن التَّشريح وأوصاف الكون والسِّحر، وأصغَت الوجوه إليه بلهفةٍ وحاولَت الإجابة على أسئلته عن فهم، كأن أصحابها خمّنوا أهميَّة ذلك الامتحان الذي يعني انعتاق واحدٍ منهم من حالة الوهْم الفارغ الذي يعيشه، وانبثاقه في قلب العالم الحقيقي. في صحوه ونومه فكّر الرجل في إجابات أطيافه، ولم يسمح لنفسه بأن يقعَ ضحيَّةً لخدع المحتالين، وفي نَواحٍ متشابكة بعينها أحسَّ بذكاءٍ متنامٍ. كان يبحث عن نفسٍ جديرةٍ بأن تكون جزءًا من الكون.

بعد تسع أو عشر ليالٍ بدأ الرجل يُدرك -بشعورٍ لا شكَّ فيه من المرارة- أنه لا يستطيع أن يتوقّع شيئًا من التلامذة الذين تقبَّلوا

تعاليمه باستسلام، وإن كان يُمكنه أن يتوقَّع شيئًا ما من الذين جرؤوا على معارَضته بين الحين والآخَر المجموعة الأولى –وإن كانت تستحقُّ الحُب والعاطفة– لم تستطع أن ترتقي إلى مستوى الفرد، بينما استبقَتها المجموعة الثانية إلى درجة أعلى بعض الشيء. ثم جاءت ظهيرة (وقد صار يُكرِّس الظَّهيرة أيضًا الآن للنَّوم، فلم يعد يصحو إلَّا ساعتين في الفجر) صرفَ فيها مجموعة التلامذة الكبيرة تمامًا وأبقى على واحد منهم فقط. كان صبيًّا شاحبًا صموتًا، عنيدًا في بعض الأحيان، ملامحه تُشبه ملامح الحالم به. لم تُربكه عمليَّة استبعاد زملائه القاسية طويلًا، وبعد عدد قليلٍ من الدُّروس الخصوصيَّة كان تقدُّمه كفيلًا بإثارة دهشة المعلِّم.

على أن نكبةً ما قد وقعَت، ففي أحد الأيام أفاقَ الرجل من نومه كأنه خرجَ من صحراءٍ لزجة، وتطلَّع إلى ضوء الظَّهيرة عديم الفائدة الذي حسبه ضوء الفجر في البداية، وأدركَ أنه لم يَحلُم. طوال تلك الليلة وطوال اليوم وأرقٌ لا يُحتمَل يُثقله. حاولَ استكشاف الغابة كي يُبَدِّد قواه، وبين أفرع نبات الشوكران استطاع بالكاد أن ينجَح في اختطاف بضع سنات من النَّوم تخلَّلتها رؤى بدائيَّة لا قيمة لها على الإطلاق. حاولَ استدعاء مجموعة التلامذة إلى مخيِّلته، لكنه لم يكد يلفظ بضع كلمات النَّصيحة حتى تشوَّهت الصُّورة أمامه ثم انمحَت. في يقظته شبه الدَّائمة أحرقَت دموع الغضب مُقلتيه.

استوعبَ الرجل أن تجسيد المادَّة المتقلِّبة المفكَّكة التي تتألَّف منها الأحلام هو أشقُّ مهمَّة يُمكن أن يتولَّاها إنسان، حتى إذا كان

باستطاعته إماطة اللّثام عن جميع غوامض كيانات أعلى وأدنى، أشقُّ كثيرًا من أن ينسج حبلًا من الرِّمال أو يصوغ الرِّيح عديمة الملامح.

أقسم الرجل أن ينسى الهلوسة الهائلة التي أحادَته عن طريقه في البداية، وسعى إلى العمل بأسلوب آخَر لكن قبل أن يضعَ هذا الأسلوب موضع التّنفيذ، قضى الرجل شهرًا استعادَ فيه قواه التي بدَّدها هذيانه. هكذا هجر مسألة أن يَحلُم عن عمد وبدأ ينام عدد ساعات معقول كلَّ يوم، ولم يُلقِ بالًا للأحلام القلائل التي راودَته في تلك الفترة. انتظرَ قبل استئناف مهمَّته أن يصيرَ القمر قُرصًا مكتملًا، ثم كان يُطَهِّر نفسه في الظَّهيرة في مياه النَّهر، ويَعبُد الآلهة الأرضيَّة لافظًا مقاطع موصوفةً لاسمٍ عظيم، ويَخلُد إلى النوم فيغيب في عالم الأحلام في الحال تقريبًا وقلبه يدقُّ بقوَّة.

وفي الحُلم رأى الكيان دافئًا مبهمًا، يقترب حجمه من حجم قبضة مضمومة، لون جسده البشري الظَّليل كالعقيق الأحمر، وإن كان بلا وجه أو جنسٍ بعد؛ وطوال أربع عشرة ليلة حلمَ به بحُبٍّ موَسوَس. في كلِّ ليلة كان يراه بوضوحٍ أكبر، وإن لم يمسه، بل سمحَ لنفسه فقط بأن يَرمُقه، يُراقبه، ومن حينٍ إلى آخَر يُقَوِّمه بنظرة. تطلَّع إليه وعاشَ تفاصيله من كلِّ الزوايا والمسافات، وفي الليلة الرابعة عشر مدَّ إبهامه وبخفَّة مسَّ الشريان الرئوي، ثم القلب كله، من الخارج والداخل، وأشعرَه الفحص الذي أجراه بالرِّضا. عن قصدٍ لم يَحلُم لمدَّة ليلة، ثم إنه أخذَ القلب من جديد واستحضر اسم كوكب، وشرعَ في تصوُّر عضوٍ حيويٍّ آخَر. بعد مرور عامٍ كان قد بلغ الهيكل العظمي وجفني

العينين، أمَّا الشَّعر الذي لا يُحصى فكان أصعب جزءٍ على الإطلاق. لقد حلم برجلٍ كامل، بشابٍّ لا يتحرَّك أو يتكلَّم، بل غير قادرٍ حتى على أن يفتح عينيه. ليلةً بعد ليلة كان الرجل يَحلُم به في منامه.

في نظريَّات نشأة الكون الغنوصيَّة يخلق خالق الكون المادي آدم أحمر لا يستطيع الوقوف، وكهذا الآدم البدائي الأخرق البسيط المخلوق من التُّراب كان آدم السَّاحر الذي خُلِقَ من أحلام الليل. جاءت ظهيرة كادَ الرجل يُدمِّر فيها عمله كله، لكنه عدلَ عن قراره، (وقد كان من الأفضل لو أنه دمَّره). عندما اتسنفدَ جميع توسُّلاته لآلهة الأرض، ألقى نفسه عند قدمي التمثال الذي يُصَوِّر نمرًا ربما أو مُهرًا واستجدى منه مساعدةً لا يدري ماذا تكون.

وفي ذلك المساء، عند الغسق، حلم بالتِّمثال، حلم أنه حيٌّ، أنه يرتجف. لم يكن مسخًا هجينًا من نمرٍ ومُهر، بل كان هذين الكائنين الضارين في آنٍ واحد، وكذلك ثورًا ووردةً وعاصفةً. أفصحَ له هذا الإله متعدِّد الأوجه أن اسمه الأرضي هو "النَّار"، وأن في هذا المعبد الدَّائري (وفي معابد أخرى مثله) كان الناس يُقَدِّمون له القرابين ويعبدونه، وأنه بسحره سيبثُّ الحياة في الطِّيف القادم من الأحلام، بشكلٍ سيجعل الجميع -باستثناء "النَّار" والحالم فقط- يتصوَّرون أنه رجل من لحمٍ ودم. ثم إنه أمر أنه بمجرَّد أن يتعلَّم هذا الرجل جميع الشَّعائر، يجب إرساله إلى أطلال المعبد الآخَر الذي لا تزال أهراماته ترتفع في اتجاه مجرى النَّهر، كي يكون هناك صوت ما يُمَجِّده في الصَّرح المهجور... وفي حُلم الرجل الحالم استيقظَ من كان يحلُم به.

نفذ السَّاحر الأوامر التي أُمليَت عليه، وكرَّس مدَّةً من الزمن (اتَّضح أنها عامان في النهاية) لتعليم الكائن الجديد غوامض الكون وعبادة النَّار. في أعماقه كان يشعر بالألم من فكرة أن ينفصل عنه، فكان يتذرَّع بضرورة تعليم الكائن الجديد ليزيد يومًا بعد يومٍ عدد الساعات التي خصَّصها لأحلامه، كما أنه أعاد تشكيل الكتف اليُمنى التي كانت مشوَّهةً نوعًا. أحيانًا كان يُزعِجه انطباع غامض ما بأن كلَّ هذا قد حدث من قبل بالفعل، لكن بشكلٍ عام كانت أيامه سعيدة، وحين يُغلق عينيه كان يُفكِّر: «الآن سأصيرُ مع ابني»، وفي أحيانٍ أخرى نادرة: «الابن الذي أنشأته ينتظرني، ولن يكون له وجود إذا لم أذهب إليه».

تدريجيًّا بدأ يُعَوِّده على الواقع، وفي مرَّةٍ أمره بأن يضع رايةً على قمَّة بعيدة، وفي اليوم التالي رأى الرَّاية تُرَفرِف فوق القمَّة. أجرى الرجل تجارب أخرى مشابهة أكثر جرأةً من سابقتها في كلِّ مرَّة، ثم بمرارةٍ لا شكَّ فيها أدركَ أن ابنه صارَ مستعدًّا لأن يولَد، بل وربما يكاد لا يطيق صبرًا. في تلك الليلة لثمه للمرَّة الأولى وأرسله إلى المعبد الآخَر الذي كانت أطلاله تستحيل إلى اللون الأبيض في اتجاه مجرى النَّهر، عبر أميالٍ كثيرة من الغابات المتشابكة والمستنقعات. على أنه قبل أن يفعل هذا (لئلَّا يعرف ابنه أبدًا أنه كان من قبل طيفًا، وكي يَعُدَّ نفسه دومًا رجلًا كأيِّ رجلٍ آخَر) دمَّر فيه كلَّ ذكرى للمدَّة التي قضاها في التدريب.

نغّص الملل عليه انتصاره وسلامه، وفي حُمرة أفق الغسق والفجر كان ينبطح أمام التّمثال الحجري، ولعلّه كان يتخيّل ابنه يُمارِس طقوسًا مماثلةً في أطلال مستديرة أخرى في اتجاه مجرى النّهر، أمّا في الليل فلم يعد يَحلُم، أو أنه كانَ يَحلُم كأيٍّ بشريٍّ آخَر الآن. باتَ إدراكه لأصوات وأشكال الموجودات مشوَّشًا بعض الشيء. كان ابنه يتغذّى الآن على نقائص الروح هذه. لقد اكتملَ الغرض من حياته، وهكذا ظلَّ الرجل في حالة وَجْد دائمة.

بعد مضي فترة ما، يُفَضِّل بعض التواريخ حسابها بالسِّنين والبعض الآخَر بالعقود، أيقظَه بَحّاران عند منتصف الليل. لم ير وجهيهما، لكنهما حدَّثاه عن رجلٍ مسحور في معبد الشّمال، رجلٍ يقدر على المشي على النّار دون أن يحترق. تذكّر السّاحر كلمات الإله بغتةً، وتذكّر أن من بين جميع المخلوقات الأخرى التي تُعَمِّر الأرض كان "النّار" وحده عليمًا بحقيقة أن ابنه طيف. تلك الذّكرى التي هدَّأته في البداية كانت عذابًا له في آخر الأمر، وانتابه الخوف من أن يتأمّل ابنه في هذه القُدرة غير الطبيعيَّة التي يتمتَّع بها، وبوسيلة ما يُدرك أنه كان محض صورةٍ زائفةٍ من قبل؛ ليس رجلًا حقيقيًّا، بل تجسُّدًا لأحلام رجلٍ آخَر... ويا لها من إهانة لا توصَف، يا له من جنون! أيُّ أب يهتمُّ بالأبناء الذين أنجبهم (أو سمحَ بوجودهم) بدافع الحيرة التي تُصاحب سعادته، فكان من الطبيعي أن يخاف السّاحر على مستقبل ذلك الابن الذي كوَّن ملامحه كلها في خياله حتى النُّخاع طوال ألف ليلةٍ وليلة محفوفةٍ بالغموض.

انقطعَت هواجسه فجأةً، لكن ليس من دون سابق إنذار أولًا – بعد فترة جفاف طويلة– ظهرَت سحابة بعيدة خفيفة كطائرٍ فوق تَل، ثم اكتست السَّماء نحو الجنوب بلون لثة المجذوم الوردي، ثم جاءت سُحُبٌ من الدخَّان أصابت معدن اللَّيل بالصَّدأ، وبعدها كان هروب الحيوانات البرِّية المَلعة.

الذي حدث منذ قرون عدَّة كان يُكرِّر نفسه الآن. أطلال حَرَم إله النَّار دمَّرها النَّار، وفي فجرٍ بلا طيورٍ رأى السَّاحر النِّيران واحدة المركز تَشُبُّ في الجدران، وللحظة فكَّر أن يجد لنفسه ملاذًا في مياه النَّهر، لكنه أدركَ أن الموت قادم ليُتَوِّج شيخوخته المديدة ويُعفيه من واجباته. هكذا عمدَ إلى ألسنة اللَّهب التي لم تأكُل لحمه، بل لاطفَته وغمرَته دون حرارة أو حرق... وبراحة، بمذلَّة، برُعبٍ أدركَ أنه بدوره ليس إلَّا وهْمًا، أن أحدًا آخَر كان يَحلُم به.

امرأة الزُّهور

ريتشارد داولينج

يعيش هيمورو -أشهر فنَّانٍ يصنع تشكيلات الزهور الخلابة في العالم على الإطلاق- وحيدًا في بيتٍ من الزهور، يجلس على أثاثٍ من الورد، ويعمل على طاولةٍ من اللوتس؛ وفي هذا المكان تلقَّى آخر تكليفٍ له، والذي جاءه ذات يومٍ من شابٍّ ثري من فلورنسا أراد امرأةً مصنوعة من الزهور (ليس تمثالًا أو مانيكان، بل امرأة حقيقيَّة حيَّة)، فكان رد هيمورو الطبيعي على الشاب أن شيئًا كهذا مستحيل، لكن الشاب أصرَّ على طلبه طويلًا، إلى أن قال له هيمورو في النهاية -كي يتخلَّص من إلحاحه- إنه سيحاول، ولهذا السَّبب قضى العامين التاليين حاشدًا طاقة مخه العجوز كلها في سبيل تحويل الزهور إلى امرأةٍ حقيقيَّة... إلى أن توصَّل إلى الحلِّ أخيرًا: إذا بدأ

العمل بزهرة القُراص الشائكة التي تعيش في أمريكا الجنوبيَّة (والتي تملك أغرب الصِّفات طرًّا بين جميع النباتات المعروفة في العالم)، وإذا أضاف إليها القُدرة الچينيَّة على التكيُّف التي تتمتَّع بها الطحالب البحريَّة الخضراء، فقد تكون هناك فرصة للنجاح حينها؛ وهكذا بعد عامٍ ونصفٍ من العمل المتواصل، فتحت امرأة مصنوعة من الزهور عينين من الكرز، وتحسَّس هيمورو ذراعيها الرقيقتيْن المصنوعتيْن من الزنابق، ثم سلَّمها للفلرونسي الثري بعينين دامعتين، فقط لتعود له بقاياها -كما توقَّع تمامًا- في صندوقٍ في اليوم التالي مباشرةً، لكنه لم يشعر باليأس لحظة، بل فتح الصندوق ونقب بين البتلات إلى أن عثر على ما كان يبحث عنه: البرعم الوحيد الثمين، ثمرة اتحاد البشر مع الزهور التي كان قد جهَّز إصِّيصًا لها بالفعل.

ذكريات عن مايكل چاكسون

ستيڤن كينج

الصوت مرتفِع، قلق، مُفعَم بالأمل والحماس، رقيق.

«ستيڤن؟ ستيڤن كينج؟ أنا... إمم... مايكل، مايكل چاكسون... أنا... يا إلهي! أنا من أكبر معجبيك!».

أؤكِّدُ له أن الشعور متبادَل، لكن أكثر ما أشعرُ به في تلك اللحظة هو الحيرة. إنه العام 1993، وكنتُ موجودًا في موقع تصوير المسلسل القصير المأخوذ عن روايتي ***The Stand***، وفجأةً يُناولني أحدهم هاتفًا ينتظر على طرفه الآخَر ملك البوپ بنفسه، وما يريده مني -كما اتَّضح- هو أن أكتب له قصَّة لأكثر ڤيديو كليپ مُرعِب على الإطلاق. يقول إنه يريده كأفلام "فرانكنشتاين" القديمة، لكن أكثر إرعابًا بكثير! يريده رهيبًا!

– «ستيفن، يجب أن نفعل هذا. سوف نصدم العالم معًا».

بذلتُ أفضل ما لديَّ في كتابة قصَّة الڤيديو الذي أطلَق عليه اسم ***Ghosts***، ليس لأنه كان مايكل جاكسون، وليس لأنني حسبتُ أننا سنصدم العالم فعلًا، وإنما لأنني أحبِّذُ دائمًا تجربة الأشياء الجديدة؛ وبالنِّسبة لي كانت كتابة قصَّة ڤيديو كليپ شيئًا جديدًا. كان لُب القصَّة التي شرحها لي في ذلك اليوم على الهاتف يدور حول مجموعة من سُكَّان المدينة الغاضبين الغوغاء –وأرادهم أن يكونوا أناسًا متمدِّنين وليس مجموعة من الفلَّاحين حاملي المشاعل– الذين يريدون طَرْد غريب الأطوار الذي يقطن القلعة القريبة من بلدهم، لأن تأثيره سيئ على أطفالهم كما يقولون. ربطتُ هذا بنظرة الآباء إلى موسيقى الروك آند رول أثناء نشأتي، وظلُّوا يحملونها نحو الموسيقيِّين غرباء الأطوار، مثل أوزي أوزبرن ومارلين مانسون (الذي أصدر ألبومًا سنة 1995 أطلق عليه اسم ***Smells Like Children***). كنتُ أجهل أن الشائعات عن جاكسون ومسألة التحرُّش بالأطفال قد بدأت في الانتشار وقتها، لكني كنتُ سأستمرُّ في المشروع على كلِّ حال حتى لو كنتُ أعرف.

عندما تكون شهيرًا، فالجميع يتَّهمونك بكلِّ شيءٍ ممكن، بدايةً من السرقات عديمة المعنى إلى قتل چون لنون.

استمرَّ التصوير ثلاثة أسابيع، ثم توقَّف ثلاث سنوات.

لعلي كنتُ أعرفُ سبب التوقُّف من قبل، لكنيَ لم أعُد أذكره في جميع الأحوال. كان ميك جاريس، صديقي القديم ومُخرِج ***The***

Stand، قد قام بالتصوير المبدئي، وأذكرُ أنني ومايكل كنا في اجتماعٍ معه على الهاتف ذات مرَّة، عندما غاب مايكل في النوم دون سابق إنذار. وفي مرَّةٍ أخرى اتَّصل مايكل بزوجتي طالبًا رقم هاتف المكان الذي كنتُ فيه يومها فأعطته إياه، فقط ليعاود الاتِّصال بها بعد دقائقٍ خمس وهو على وشك الانفجار في البكاء. لم يكن هناك قلم معه، فحاوَل أن يَنقُش الرقم بأصابعه على نسيج السجَّادة، لكنه لم يستطع قراءته. أعطته زوجتي الرقم مرَّة أخرى، وشكرها مايكل بحرارة... لكنه لم يتَّصل بي.

تم استئناف تصوير *Ghosts* فجأةً، تمامًا كما كان قد توقَّف من قبل. يتذكَّر ميك جاريس اتصالًا جاءه من مايكل چاكسون سنة 1996 قال فيه: «ميك، سوف نستكمل الڤيديو. لا بُدَّ أن نؤمن بأننا سنستكمله». ولقد تم استكماله بالفعل، لكن من دون ميك وراء الكاميرا، لأنه كان يعمل على المسلسل القصير المأخوذ عن روايتي *The Shining* وقتها، وتولَّى ستان وينستون التصوير مكانه.

اختلفت القصَّة في غير موضع عن السيناريو الأصلي الذي كنتُ قد كتبته، لكن ذلك لم يكن ذا أهمِّيَّة حقيقيَّة، فالمهم حقًّا أن الڤيديو يحتوي على بعضٍ من أفضل وأروع الرقصات في تاريخ مايكل چاكسون على الإطلاق. إذا شاهدته، فأعتقدُ أنك ستفهم لماذا قال فريد أستاير عن چاكسون إنه صاحب حركاتٍ ممتازة. سوف ترى أيضًا حُزن مايكل ورغبته التي تكاد أن تكون مؤلمة في أن يُسعد

جمهوره. لسان حال عينيه أن «نعم، أنا غريب الأطوار، لكني أبذل قصارى جهدي، وأريدُ أن أُسعدكم حقًّا. أهذا شيء سيئ؟».

ذلك هو الحزن المنتشر جدًّا بين كلّ من يملكون قدرًا هائلًا من الموهبة يجعل منها عبئًا ثقيلًا على عواتقهم بدلًا من أن تكون نعمة. وعلى الرغم من وسامته غير التقليديَّة (رغم أنه كان قد بدأ الخضوع لتلك الجراحات إياها التي أفسدت شكله)، كان مايكل شديد الخجل، ومن الصعب -ومن المستحيل في أحيان- أن تتكلّم معه؛ ومُشاهَدة ذلك الڤيديو القديم ما زالت تُسعدني... ولا، هذا ليس شيئًا سيئًا.

من الجدير بالملاحَظة أن مايكل لم تتم إدانته قَطُّ بأيٍّ من تلك التُّهم في المحكمة، وعندما سألتُ ميك عنها -وكان يلتقي به أحيانًا- أجاب بأنه مؤمن تمامًا ببراءة مايكل چاكسون من تلك الادِّعاءات. أما في محكمة الرأي العام، فقد أدين مايكل چاكسون بتهمة الغرابة من الدرجة الأولى، وانتهى به الأمر معزولًا في قلعةٍ مسكونةٍ تلو الأخرى... وأخيرًا مات في واحدةٍ من تلك القلاع.

رجل غريب هو، رجل ضائع، وليس فريدًا من نوعه في رحيله، فمثل كرت كوبين وإلڤيس پرسلي وچيمس دين وهيث لدچر وعشراتٍ غيرهم، غادر مايكل في وقتٍ مبكّر أكثر من اللازم.

لكن... مان أوه مان... كان الفتى يستطيع الرقص حقًّا.

الخاسر

تأليف: تشاك پولانك

إعداد: نيل جايمان

ما زال البرنامج يبدو تمامًا كما كان بالضَّبط عندما كُنتَ طفلًا صغيرًا مريضًا بحُمَّى شديدة، فتقبع في المنزل لتُشاهد التليفزيون طوال اليوم. هو ليس ***Let's Make a Deal***، وليس ***Wheel of Fortune*** أو ***Monty Hall*** أو ***Pat Sajak***. إنه ذلك البرنامج الآخَر الذي يُنادي فيه صوتٌ جهوريٌّ مُدَوٍّ على اسمك بين الجمهور، قائلًا: «هلُم إلى هنا! أنت المتسابق التالي!»، فإذا خمَّنتَ ثَمن علبة من الكورن فليكس مثلًا، وكان تخمينك سليمًا، فإنك تفوز برحلةٍ لمدَّة أسبوع إلى پاريس.

نعم، إنه ذلك البرنامج، ودائمًا ما تكون الجائزة غير ذات نفعٍ حقيقي، ليست ملابس لا بأس بها أو موسيقى أو حتى بيرة. دائمًا ما تكون الجائزة مكنسة كهربيَّة أو غسالة، تكون شيئًا لا تتحمَّس له فعلًا وتشعر أنك تحتاج إليه ما لم تكن خادمةً مثلًا.

إنه أسبوع الزِّحام، تلك الفترة التي يحاول فيها أعضاء نوادي الفتيان والفتيات الجامعيَّة أن يجعلوك تنضم إليهم، ومن التقاليد المتَّبعة في هذا النشاط أن يركب كلُّ من يتعهَّدون بالانضمام لنادي زيتا دلت أتوبيس مدرسة أصفر كبيرًا، ويذهبون لحضور تصوير برنامج مسابقات تليفزيونيٍّ ما. تقول القواعد أن يرتدي جميع أفراد الزيتا دلت تيشرت أحمر طُبِعَ عليه شعارهم باللون الأسود بالسلك سكرين.

أولًا، عليك أن تتعاطى طابعًا واحدًا من طوابع الهالو كيتي، أو ربما نصف طابع، وتنتظر تأثيره الذي يبلغ دماغك فجأةً كالوميض. إنه يُشبه طابع الهالو كيتي العادي الذي تمصُّه وتبتلعه، باستثناء أن الأول عبارة عن عقار هلوسة على ورق نشَّاف.

كلُّ ما تفعله هو أن يجلس جميع أعضاء الزيتا دلت معًا، لعمل تلك الرُّقعة الحمراء وسط جمهور الستوديو الذي يحضر التسجيل، ثم الهتاف والتهليل للظهور في التليفزيون. يجب أن تعرف أن الزيتا دلت هُم من يتمنَّى الجميع أن يكونوا مثلهم.

بالنسبة لتأثير المخدِّر عليك –سواء أصابتك نوبة هياج وقتلت نفسك، أو التهمت أحدهم حيًّا– فهو شيءٌ لا يُخبرونك به أبدًا.

لكن هذه هي التقاليد.

منذ كنتَ طفلًا صغيرًا، فالمتسابقون الذين يُنادون عليهم لخوض اللعبة دائمًا ما يكون أحدهم جندي ماريز أمريكي يرتدي زيَّه العسكري ذا الأزرار النحاسيَّة، ودائمًا ما تكون هناك جدَّة أحدهم ترتدي السويتشرت، ومهاجر ما من مكانٍ ما لا تعرفه ولا تفهم نصف ما يقوله، بالإضافة إلى عالم صواريخ ذي بطنٍ منتفخ وحفنة من الأقلام البارزة من جيب قميصه.

لا شيء مختلفًا هنالك عما تتذكَّره، باستثناء أن أعضاء الزيتا دلت يُهَلِّلون لك الآن. إنهم يُهَلِّلون ويهتفون بقوَّة شديدة تجعل أعينهم تنغلق عن آخرها. جميعهم عبارة عن تيشرتات حمراء كبيرة وأفواهٍ فاغرة لا غير. تدفعك أيديهم لتنهض من مقعدك إلى الممر الصوت الكبير يُنادي على اسمك، يقول لك أن هلُم إلى هنا، أنت المتسابق التالي.

مذاق الهالو كيتي في فمك كالعلكة الورديَّة. إنه النوع الأكثر شيوعًا من مُخدِّر الهالو كيتي، وليس النوع ذا نكهة الفراولة أو الشوكولاتة التي يطبخه أحدهم في مبنى العلوم العامَّة الذي يعمل فيه كعامل نظافة. تشعر بالطابع الورقي محشورًا في منتصف حلقكَ، لكنك لا تريد أن تتقيَّأ على شاشة التليفزيون بالطبع، وأن يُسَجَّل هذا ويُشاهده الجميع إلى الأبد.

يلتفت جمهور الستوديو كله نحوك وأنت تتحرَّك متعثِّرًا في الممر وقد ارتديت تيشرتك الأحمر. جميع الكاميرات مُصوَّبة عليك، الجميع

يُصَفِّقون بالطريقة التي تَذكُرها من أيام طفولتك. تلك الأضواء التي يستخدمونها في لاس ڤيجاس، تومض وتنير كلّ شيءٍ على خشبة المسرح. إنها تجربة جديدة، لكنك شاهدتها مليون زليون مرّة من قبل، وبحركةٍ أوتوماتيكيّة تقف وراء المنصّة المجاورة لمنصّة جندي الماريتز.

يُلَوِّح مُقدِّم البرنامج -وهو ليس آلكس تريبيك- بذراعه، فيبدأ جزءٌ كامل من المسرح في التحرُّك. هذا ليس زلزالًا، بل جدارًا كاملًا يلتفُّ على عجلاتٍ لا تراها، والأضواء في كلّ مكانٍ تومض وتنطفئ، تومض وتنطفئ بسرعة غير مسبوقة، سرعة لا يستطيع اللسان البشري التعبير عنها حتى.

يتراح هذا الجدار جانبًا، ومن ورائه تتقدَّم موديل شهيرة تتفجَّر بمليون بليون شرارة من فستانها اللامع الضيِّق، وتُلَوِّح بذراعٍ طويلةٍ نحيلة لتُريك مائدةً ذات ثمانية كراسٍ كما تراها في بيت أحدهم يوم عيد الشُّكر، وثمّة ديك رومي كبير مطبوخ، مع بقيّة الأطباق التقليديّة كلها، من بطاطا مهروسة وما إلى ذلك. خصرها لا يزيد حجمًا عن عُنق أحدهم، وكلٌّ من نهديها بحجم رأسك. أضواء لاس ڤيجاس تلك لا تكفُّ عن الوميض في وجهك طوال الوقت. يقولُ الصوت الجهوري من صنع هذه المائدة ومن أيِّ نوعٍ من الخشب، ويقول سعر التجزئة المفترَض لها.

كي تفوز، يرفع مُقدِّم البرنامج هذا الصندوق الصغير، وكالسَّحرة الاستعراضيِّين يُري الجميع ما تحته: ذلك الشيء الذي هو خُبز في حالته الأصليّة، قبل أن يتحوَّل إلى أيِّ شيءٍ آخَر يُمكنك أن تأكله،

كالتوست الفرنسي أو ساندويتش عادي. إنه هذا النوع من الخُبز الذي تشتريه أمك من مزرعة ما، أو أيًّا كان المكان الذي يزرعونه فيه!

المائدة والكراسي لك بمنتهى السهولة. عليك فقط أن تُخَمّن سعر هذا الخُبز

من ورائك يحتشد جميع أعضاء الزيتا دلت معًا بتيشرتاتهم الحمراء، يصنعون ما يبدو كتجعيدة عملاقة في منتصف جمهور الستوديو إنهم لا ينظرون إليك، لكن رؤوسهم متلاصقة بطريقة تجعلك ترى قصَّة شعرٍ واحدة كبيرة. يبدو لك كأن أبديَّة كاملة قد مرَّت قبل أن يرن هاتفك (فمن المسموح أن تستخدم الهاتف لتتلقَّى مساعدةً من مجموعة مشجِّعيك)، ويقول لك أحدهم السِّعر الذي اتَّفقوا عليه.

الخُبز قابعٌ هناك طوال الوقت مغطًّى بقشرةٍ بُنِّيَّة اللون، ويقول الصوت الجهوري إن هذا الخُبز يحتوي على عشرةٍ من الڤيتامينات والمعادن الأساسيَّة.

يرمقك مُقدِّم البرنامج العجوز كأنه لم يرِ هاتفًا في حياته من قبل، ويقول: «ما هو عطاؤك؟».

وتقول أنت: «ثمانية دولارات؟».

النظرة على وجه الجدةً العجوز تجعلك تُفَكِّر أنه ربما من الحري بهم أن يطلبوا لها الإسعاف من أجل أزمتها القلبيَّة المحتومة. من كُم السويتشرت يتدلَّى منديل كلينكس مُكوَّر، فيبدو كأن جزءًا من

حَشو الكُم قد خرج منه، كأنها هي نفسها دبدوب أُلقي في القمامة بعد أن أحبَّه أحدهم أكثر من اللازم.

يستخدم جندي الماريز استراتيجيَّة ممتازة ليتغلَّب عليك، فيقول الوغد: «تسعة دولارات».

ثم كي يتغلَّب عليه عالم الصواريخ، يقول: «عشرة، عشرة دولارات».

لا بُدَّ أنه سؤال خادِع، لأن الجدَّة تقول بثقة: «دولار واحد وتسعة وتسعون سنتًا».

عندها تبدأ الموسيقى العالية وتومض الأضواء وتنطفئ. يُنادي المُقدِّم على الجدَّة لتخطو إلى خشبة المسرح، وتبكي هي، وتلعب لعبة تُلقي فيها بكُرة تنس كي تربح أريكة وطاولة بلياردو. ملامح وجهها لا تختلف في شيءٍ عن المنديل الكلينكس المجعَّد الذي تُخرِجه من تحت كُمِّها كي تُجَفِّف دموعها.

في الجولة التالية عليك تخمين سعر بعض درنات البطاطس، لكنها حفنة ضخمة من البطاطس كبيرة الحجم، أيضًا في حالتها الأصليَّة قبل أن تتحوَّل إلى طعام حين تأتي من المناجم أو أيًّا كان المكان الذي يصنعون فيه البطاطس الكبيرة، سواء في أيرلندا أو أيداهو، أو أيِّ مكانٍ آخَر يبدأ اسمه بحرف I. إنها ليست مُقطَّعة إلى شرائح حتى أو فرِنْش فرايز.

إذا خمَّنت سعرها الصحيح، فإنك تربح ساعةً كبيرة داخل صندوقٍ خشبيٍّ كبير يُشبه تابوت دراكيولا، باستثناء أن هناك أجراسًا

صغيرة في داخله تدقُّ دينج دينج كلَّ ساعة. على الهاتف تقول لك أمك إنها تُسَمَّى ساعة الجدود (لأن طرازها قديم حقًّا)، وتُريها إياها على الڤيديو فتقول إنها تبدو رخيصة الثَّمن.

أنت على المسرح مع الكاميرات والأضواء، وجميع أفراد الزيتا دلت يتَّصلون على خطِّك المشغول، فتضع الهاتف على صدرك وتقول: «أمي تسألكم إن كان لديكم شيء أفضل يُمكنني أن أربحه».

تُري أمك البطاطس على الڤيديو، فتسألك عن المكان الذي اشتراها منه مُقدِّم البرنامج العجوز.

تتَّصل بأبيك، فيسألك عن الضرائب التي ستدفعها على تلك الجوائز.

لعله مُخدِّر الهالو كيتي، لكن وجه ساعة دراكيولا تلك يبدو عابسًا في وجهك، كأن هناك عينين سرِّيَّتَيْن فيه؛ الجفنان مفتوحان، وتبدأ الأنياب في الظهور، وتسمع نحو زليون بليون من الصراصير العملاقة التي تزحف في داخل الصندوق الخشبي وتبتسم بوجوهها التي تنظر إلى لا شيء.

تقول السِّعر الذي تُخبِرك به أمك، ويضيف جندي الماريتز دولارًا، فيضيف عالم الصواريخ دولارًا، لكنك تفوز في النهاية بتلك الجولة.

وتفتح درنات البطاطس كلها أعينها...

جميل، لكن عليك الآن أن تُخَمِّن سعر بعض الحليب في عُلبة، الحليب العادي الذي تضعه في الثلّاجة، ثم عليك أن تُخَمِّن ثمن عُلبة من حبوب الإفطار التي تضعها في خزانة المطبخ. بعد ذلك كميَّة ضخمة من الملح البحري النقي الموضوع في عُلبة مستديرة، لكنه ملح أكثر مما يمكن لبشري استهلاكه في حياته كلها، ملح يكفي لأن تُعدَّ به مليون زلِيون كأسٍ من المارجريتا.

يُرسل لك جميع أعضاء الزيتا دلت رسائل قصيرة، صندوق الرسائل الواردة يتضخَّم.

بعد ذلك يأتي البيض كما تراه في عيد الفصح، لكنه ليس ملوَّنًا، بل أبيض ناصعًا ومرصوصًا في عُلبة من الكرتون. هناك اثنتا عشرة بيضة بالتحديد. إنها بيضات مينيمالستيَّة حقيقيَّة، بيضات بيضاء جميلة يُمكنك أن تتطلَّع إليها إلى الأبد، لكن المشكلة أن عليك الآن أن تُخَمِّن سعر زجاجة كبيرة من شيءٍ يبدو كالشامبو الأصفر، مع أنه في الحقيقة شيء مُقزِّز يقولون إنه زيت طهي، فلا تدري الفائدة منه. ثم الشيء التالي هو اختيار السِّعر الصحيح لشيءٍ ما مُجمَّد.

تضع يدك فوق عينيك كي تحجب عنهما أضواء المسرح القادمة من أسفل، لكن رفاقك في الزيتا دلت متوارون وسط الوهج، وكلُّ ما تسمعه هو صرخاتهم لك بمختلَف الأرقام. خمسون ألف دولار، مليون، عشرة آلاف. مجرَّد مجموعة من البُلَهاء تهتف بمجرَّد أرقام.

كأن الستوديو عبارة عن غابةٍ مُظلمة، وكأن الناس ليسوا إلا قرودًا تُصدر أصواتها القرَديَّة.

تجز على ضروسك بشدَّة تجعلك تذوق معدن الحشو الساخن، ويذوب الحشو الفضّي داخل فمك. في تلك الأثناء تنساب قطرات العَرق من تحت إبطك إلى مِرفقك، وتُدرك أن جانبي تيشرتك يحملان بقعة حمراء مسودَّة من فرط ما أخرجته مسامُّك. نكهة العلكة الورديَّة والفضَّة الذائبة تلك... كأنك تعاني من انقطاع التنفُّس أثناء النوم، مع فارق أنك مستيقظ، وعليك أن تُذَكِّر نفسك أن تتنفس... خُذ نَفَسًا آخر... وفي الوقت نفسه تحاول السوبر مودلز قِوادَة فرن ميكروويف وآلة للتمارين الرياضيَّة للجمهور، بينما تُواصل أنت التحديق فيهن محاولا تقرير إن كُنَّ جميلاتٍ حقًّا أم لا

ثم إنهم يجعلونك تُدَوِّر تلك العجلة العملاقة، ثم تُجَمِّع حفنةً من الصُّور بحيث تتَّسق معًا. كأنك فأر تجارب في محاضرة مبادئ علم النَّفس السلوكي، يجعلونك تُخَمِّن أيَّ عُلبة من الفاصوليا المطبوخة تتكلَّف أكثر من الأخرى، وكلُّ هذا كي تربح شيئًا تجلس عليه وأنت تجز الحشائش في حديقة دارك.

بفضل الأسعار التي تُخبِرك بها أمك، فإنك تفوز برحلة العُمر إلى مكانٍ ما حيث تقضي فترة من المرح مع العائلة، تفوز بشيءٍ مرسوم باليد على طِراز لوحات العالَم القديم السَّاحرة، مع الفارق أنه مستوحى من فيلم الموسم الملحمي الذي بدأ عرضه مؤخَّرًا.

لا شيء يختلف عن مرضك بحُمَّى شديدة وأنت طفل، عندما يدقُّ قلبك الصغير بسرعة وتتلاحق أنفاسك، فقط لمجرَّد فكرة أن يربح أحدهم آلة أُرْغُن. لا تَهُمُّ شدَّة المرض الذي عانيت منه، فإنك ظللت

تُشاهد هذا البرنامج حتى خفّت الحُمّى. كلُّ الأضواء المتلألئة وقِطَع الأثاث تلك يبدو أنها كانت تجعلك تشعر بأنك تتحسَّن، كأنها تُعالجك أو تُشفيك بشكلٍ ما. وكأن أبديَّة كاملة أخرى مرَّت، لكنك تصل إلى خزانة حقيبة العرض أخيرًا.

الآن ليس هناك سواك أنت والجدَّة التي ترتدي السويتشرت. إنها جدَّة شخصٍ ما، امرأة عاديَّة، لكنها عاشت لتشهد حربين عالميَّتين وقنابل نوويَّة، ولعلها شهدت مصرع آل كينيدي كلهم، ولربما اغتيال إبراهام لينكلن كذلك! والآن ها هي تتواثب على أطراف حذاء التنس الذي ترتديه، وتُصفِّق بيديها وقد أحاطتِ بها السوپر مودلز والأضواء، بينما يعدها الصوت الجهوري بعربة رياضيَّة وتليفزيون وايد سكرين ومعطفٍ من الفراء يصل طوله إلى الأرض.

ولعل المخدِّر هو السَّبب، لكن لا شيء يبدو منطقيًّا لك...

أعني، إذا كنت تعيش حياتك التقليديَّة المُملّة عارفًا سعر عُلبة الكورن فليكس أو ساندويتش الهوت دوج، فهل مكافأتك الكبيرة هي أن تزل أسبوعًا في فندقٍ ما في لندن؟ أن تركب طائرةً ما إلى روما؟ روما التي في إيطاليا أعني. تملأ رأسك بأشياء تافهة لا نفع منها، وهديَّتك العملاقة هي بعض السوپر مودلز اللاتي يعطينك عربة للسير على الجليد؟

إذا كان أصحاب برنامج المسابقات هذا يرغبون في معرفة مستوى ذكائك فعلًا، فإن عليهم أن يسألوك عن عدد السُّعرات الحراريَّة في ساندويتش جُبن شيدر بالبصل. هيا، دعهم يسألونك عن

سعر مكالمات الهاتف في أي ساعة من اليوم، عن الغرامة التي تدفعها لأنك تجاوزت السُّرعة المقرَّرة بثلاثين ميلًا، عن رحلة الذهاب والعودة لى كابو في عُطلة الربيع.

يجدر بهم أن يسألوك عن سعر كوب شاي لونج آيلاند المثلَّج، عن كلفة إجهاض مارشا ساندرز، عن سعر دواء القوباء (الهربيز) الغالي الذي أصاب أعضاءك التناسُليَّة ولا تريد أن يعرف أهلك به، عن سعر كتاب التاريخ الأوروبي الذي عليك الاستذكار منه وَيتكلَّف ثلاثمئة دولار فَكْ يو ڤري مَتْش!

عليهم أن يسألوك كم التهم طابع الهالو كيتي من ميزانيَّتك المحدودة.

تُلقي الجدَّة ذات السويتشرت سعرًا عاديًّا لحقيبة العرض احاصة بها، وكالعادة يظهر الرقم الذي قالته مضيئًا على شاشة المنصَّة التي تقف وراءها.

جميع أعضاء الزيتا دلت يهتفون، وهاتفك لا يكف عن الرنين.

بالنسبة لخزانة العرض الخاصة بك، تعرِض لك واحدة من المودلز خمسمئة رطل من لحم الستيك الممتاز النيئ، واللحم موضوع في داخل مشواة، والمشواة موضوعة على متن قارب سباق موضوع في داخل المقطورة التي تسحبه، والمقطورة موضوعة في داخل شاحنة عملاقة، والشاحنة موضوعة في داخل مرآب بيتٍ جديد في أوستن، أوستن التي في تكساس.

في تلك الأثناء يقف جميع أعضاء الزيتا دلت على مقاعدهم مُهلّلين، لكنهم لا يهتفون باسمك، بل باسم الزيتا دلت مرَّةً بعد مرَّةٍ بصوتٍ مُدوٍّ حتى يتأكّدوا من تسجيله.

لعله المخدِّر، لكنك تُصارِع شخصًا لا تعرفه ولم تلتقِ به من قبل قَطُّ، تُصارِع من أجل قمامةٍ لا تحتاجها أصلًا.

لعله المخدِّر، لكني -هنا والآن- أقولُ تبًّا للتخصُّص في إدارة الأعمال، تبًّا لمبادئ المحاسبة العامَّة.

شيءٌ ما محشور في منتصف حلقك يجعلك على وشك القيء...

وقاصدًا، وبالمصادَفة، تقول إن السِّعر مليون بليون جازليون دولار وتسعة وتسعون سنتًا. وهنا يُخَيِّم الهدوء التام على كلّ شيء، اللهم إلا أصوات الطقطقة الصادرة من أضواء ملاهي لاس ڤيجاس تلك التي تضيء وتنطفئ، تضيء وتنطفئ، تضيء وتنطفئ.

وبعد مرور دهرٍ كامل يدنو منك مُقدِّم البرنامج الذي يبلغ طوله مِرفقك تقريبًا، ويقول بصوتٍ كالفحيح: «لا يُمكنك أن تفعل هذا. يجب أن تلعب كي تربح».

من هذه المسافة القريبة يبدو وجهه العجوز كأنه مُهشَّم إلى مليون شظية ملصوقة معًا بالماكياج الموضوع عليه فقط. تجاعيد وجهه كأنها ندوب معركة تقديم هذا البرنامج التليفزيوني منذ خُلقَ الدَّهر شعيرات رأسه الشَّائبة مُصفَّفة دومًا بالطريقة ذاتها.

يسألك الصوت الجهوري –الصوت العميق القوي القادم من اللا مكان، صوت إنسانٍ عملاقٍ ما لا تراه– ويُطالبك بأن تُكرِّر العطاء من فضلك.

ولعلك لا تدري ما تريده من حياتك، لكنك تعرف أنه ليس ساعة عتيقة. تقول ترليون مليون، رقم أكبر من أن يظهر كاملًا على شاشة منصَّتك، أصفار أكثر من جميع الأضواء اللامعة في عالَم برامج المسابقات.

ولعل المخدِّر هو السبب، لكن الدموع تبدأ في السيلان من عينيك، وتبكي لأنك للمرَّة الأولى منذ كنت طفلًا صغيرًا لا تعرف ما سيحدث بعد هذا. تُفسد الدموع تيشرتك الأحمر، وتحيل الخَمار سوادًا حتى يختفي شعار الزيتا دلت تمامًا تحتها.

يأتيك صوت واحدٍ من رفاقك وسط الصمت الذي ران على الستوديو صارخًا: «أنت فاشل!».

تأتيك رسالة قصيرة على الهاتف تقول: «يا ابن الوسخة!».

ممن جاءتك الرسالة؟ من أمك!

الجدَّة ذات السويتشرت تبكي لأنها فازت، وأنت تبكي دون أن تعرف السَّبب.

تفوز الجدَّة بعربة الجليد ومعطف الفراء، تفوز بقارب السباق واللحم، تفوز بالمائدة والكراسي والأريكة، بجميع جوائزك وجوائزها، لأن عطاءك كان مبالَغًا فيه جدًّا جدًّا.

إنها تتواثَب، طقم أسنانها الأبيض الناصع يُوَزِّع الابتسامات هنا وهناك، مُقدِّم البرنامج يجعل الجميع يُصَفِّقون لها، لكن أعضاء الزيتا دلت لا يفعلون بالطبع.

تصعد عائلة الجدَّة كلها إلى المسرح، جميع أبنائها وأحفادها وأبناء أحفادها، ويجوبون المسرح ليتحسَّسوا القارب والأريكة والسوبر مودلز. تطبع الجدَّة قُبلات حمراء على وجه مُقدِّم البرنامج المُشقَّق، وتُرَدِّد: «شكرًا، شكرًا، شكرًا» بلا انقطاع إلى أن تبدأ ترنَّح، ويغيب بؤبؤا عينيها الأسودان داخل محجريهما، وتُطبِق يدها بهلعٍ على تلك البُقعة من السويتشرت التي تُغَطِّي قلبها.

الثَّمن

نيل جايمان

دائمًا ما يَترُك الصَّعاليك والمتشرِّدون علاماتٍ على أعمدة البوَّابات والأشجار والأبواب، ليعرف الآخَرون من نوعهم شيئًا أو بعض شيءٍ عن السَّاكنين في البيوت والمَزارع التي يَمُرُّون بها في ترحالهم، وأعتقدُ أن القطط تَترُك علاماتٍ شبيهة بدورها، وإلا فما الذي يأتي بالقطط التي نجدها عند عتبة دارنا طوال العام، وقد جاءتنا شريدةً جائعةً مليئةً بالبراغيث؟

تلك القطط نُدخلها إلى البيت ونُنَظِّفها من البراغيث والقُرادة ونُطعمها، ثم نَأخُذها إلى الطبيب البيطري وندفع ثمن الحُقَن والتَّطعيمات، وفي إهانةٍ وراء إهانةٍ نَطلُب من الطبيب أن يَخصيها.

ثم تَظَلُّ معنا، لشهور، لأعوام، أو للأبد.

إننا نعيش في الرِّيف، على مسافة مناسبة من المدينة تُغري سُكَّانها بأن يَهجُروا قططهم بالقُرب منا، وغالبًا ما تجيء القطط الجديدة في الصَّيف.

لا يزيد عدد القطط لدينا أبدًا على ثمانية، ونادرًا ما يقلُّ عن ثلاثة، وفي الوقت الحالي يتكوَّن تعداد القطط في منزلي من التالي: هرموني الرماديَّة وبود السوداء، الأختين المجنونتين اللتين تعيشان في مكتبي في العُلِّيَّة ولا تندمجان أبدًا، وسنوفليك ذات الشَّعر الأبيض الطويل والعينين الزرقاوين التي عاشت حياةً بَرِّيَّةً في الغابة القريبة لسنوات قبل أن تتخلَّى عن تلك الحياة من أجل الأرائك الناعمة والأَسِرَّة الدافئة، وأخيرًا فربول أكبر القطط حجمًا وابنة سنوفليك التي تُذَكِّرك طباعها بالوسادة وشكلها بصدفة السُّلحفاة مع ألوان شَعرها الطويل البرتقاليَّة والسوداء والبيضاء، والتي عثرتُ عليها ذات يوم في المرآب وهي مجرَّد هريرة صغيرة على شفا الموت وقد كادت تَخنُقها شبكة التنس القديمة التي علقَت بها، ثم فاجأتنا جميعًا بأنها لم تَمُت، بل كَبُرَت لتُصبح القطَّة صاحبة أفضل طباعٍ تعاملتُ معها على الإطلاق.

ثم إن هناك القط الأسود الذي لا يحمل اسمًا آخَر باستثناء القط الأسود، والذي جاءنا منذ نحو شهرٍ مضى. لم نُدرِك في البداية أنه سيبقى معنا، فقد بدا أحسن تغذيةً من أن يكون قطًّا ضالًّا، وأكبر عُمرًا وأكثر مرحًا من أن يكون أصحابه قد هجروه. كان يبدو كنمرٍ صغير ويتحرَّك كقطعةٍ من الليل المُدْلَهِم.

وجدته ذات يومٍ صيفيٍّ كامنًا في شُرفة البيت الأماميَّة، عُمره ثمانية أو تسعة أعوام كما خمَّنتُ، ذَكر، عيناه صفراوان مائلتان إلى الأخضر، ودود جدًّا، وغير مُزعِج على الإطلاق. افترضتُ وقتها أنه ملك لبيتٍ أو مزرعة قريبة.

غبتُ عن المنزل بضعة أسابيع لأَفرُغ من كتاب كنتُ أعملُ عليه، وعندما عدتُ وجدتُ القطَّ لا يزال مقيمًا في الشُّرفة وقد استقرَّ في سرير قطط قديم وجده أحد أطفالي له. لحظتها كدتُ لا أتعرَّف عليه. كانت رُقَعٌ من شعره قد غابَت في غير موضع، وثَمَّة خدوش عميقة على جلده الرمادي. كان هناك من قضم طرف أذنه وأحدث جرحًا بليغًا تحت عينه، وشقًّا في واحدةٍ من الشفتين؛ وبدا مُتعَبًا نحيلًا.

أخَذنا القطَّ الأسود إلى الطبيب البيطري، واشترينا له عددًا من المضادَّات الحيويَّة كنا نُطعمه إياها كلَّ ليلةٍ مع طعام القطط الطري.

تساءلنا مع من كان يتشاجَر. أهي سنوفليك، ملكتنا البيضاء شبه الضَّارية؟ راكون؟ أبوسوم ذو ذيل جرذٍ وأنيابٍ ومخالب؟

كانت الخدوش تزداد سوءًا كلَّ ليلة، وفي ليلةٍ تجد كأن هناك من مضغ جانبه مضغًا، وفي الليلة التي تليها بطنه، وقد تناثرت فيه آثار المخالب وتضرَّج بالدِّماء.

عندما بلغَت الأمور ذلك الحَد، أخذته إلى القبو ليتعافى إلى جوار الفُرن والصناديق المكوَّمة. أدهشَني أن القطَّ الأسود كان ثقيل الوزن، وحملته وأخذته إلى أسفل مع سَلَّةٍ للنوم ووعاء للفضلات وبعض

الطعام والماء، ثم أغلقتُ الباب ورائي وذهبتُ لأغسل يدي التي تلوَّثت بالدَّم.

ظلَّ القطُّ الأسود في القبو طوال أربعة أيام، وفي البداية كان يبدو أضعف من أن يستطيع إطعام نفسه، وقد جعله الجرح أسفل عينه شبه أعور، وكان يَعرُج بوهنٍ وإنهاكٍ والقَيح الأصفر اللَّزِج يَنِزُّ من الشَّق في شفته.

كنتُ أنزلُ إليه كلَّ صباحٍ ومساء لأُطعمه وأعطيه المضادَّات الحيويَّة المخلوطة مع طعامه المعلَّب، وأضعُ الدَّهان على الجروح وأتحدَّثُ إليه. كان مصابًا بالإسهال، ورغم أني كنتُ أغيِّر وعاء الفضلات يوميًّا، إلا أن رائحةً كريهةً كالشَّرِّ ظلَّت تفوح في القبو

الأيام الأربعة التي عاشها القطُّ الأسود في القبو كانت أيامًا أربعةً سيِّئةً على آل بيتي. انزلقَت طفلتي الصغيرة في حوض الاستحمام وصدمَت رأسها وكادت تغرق، وبلغني أن مشروعًا كنت أتوق لتنفيذه (تحويل رواية ***Lud in the Mist*** لهوب ميرليس إلى مسلسل لحساب الـ**BBC**) قد تم إلغاؤه، وأدركتُ أني لم أعُد أملك الطاقة الكافية للبدء من جديد وتقديمه إلى شبكة أو وسيلة إعلاميَّة أخرى، بينما غادرَت ابنتي الكُبرى إلى المعسكَر الصَّيفي وبدأت في الحال في إرسال طوفانٍ من الرسائل التي تُمَزِّق نياط القلب –خمس أو ست رسائل يوميًّا– تتوسَّل لنا فيها أن نُعيدها إلى البيت، وتشاجَر ابني مع صديقه الصَّدوق شجارًا كبيرًا كانت نتيجته قطيعة بينهما، وصدمَت زوجتي في طريق عودتها إلى المنزل ذات ليلة غزالًا

وثب فجأةً أمام سيَّارتها، ليموت في الحال مُخَلِّفًا السيَّارة غير صالحة للقيادة وزوجتي بجرحٍ صغير فوق عينها.

بحلول اليوم الرابع كان القطُّ قد بدأ يتحرَّك في القبو بتردُّد لكن بصبرٍ نافد بين أكوام الكُتب والمجلَّات المصوَّرة وصناديق الخطابات وشرائط الكاست والصُّور وخلافه، وكان يموء في وجهي كي أسمح له بالخروج، وعلى مضضٍ فعلتُ.

وعاد القطُّ إلى الشُّرفة الأماميَّة، ونام هناك بقيَّة اليوم.

وفي الصباح التالي وجدتُ جروحًا عميقة جديدة في جانبيه، بينما غطَّت كُتَلٌ من شَعر القطط الأسود -شعره هو- ألواح الشُّرفة الخشبيَّة.

وصلتنا رسائل من ابنتي في ذلك اليوم، تقول فيها إن المعسكر يبدو أفضل الآن وإن البقاء بضعة أيامٍ إضافيَّة لن يَقتُلها، وتصالَح ابني مع صديقه، وإن كنتُ لا أدري إن كان موضوع الشِّجار هو تبادُل البطاقات الرياضيَّة أم ألعاب الكومبيوتر أم ***Star Wars*** أم فتاة، ولن أدري أبدًا. في الـ**BBC** اكتشفوا أن الموظَّف الذي رفض مشروع ***Lud in the Mist*** كان يتلقَّى رشاوٍ -أو قروضًا مشكوكًا في سلامتها على حدِّ تعبيرهم- من شركة إنتاجٍ مستقلَّة وفُصِل من موقعه، وقد سُرِرتُ عندما جاءني فاكس من خليفته أن عرفتُ أنها السيِّدة التي كانت قد عرضت عليَّ المشروع أصلًا قبل أن تَترُك الـ**BBC** لفترة.

فكّرتُ أن أعيد القطّ الأسود إلى القبو، لكني تخلّيتُ عن الفكرة وقرّرتُ بدلًا من هذا أن أحاول اكتشاف ماهية الحيوان الذي يأتي إلى بيتنا كلّ ليلة، ثم أضع خُطّة لاقتناصه ربما.

في عيد ميلادي والكريسماس يُهديني أفراد عائلتي أنواعًا من الآلات عبارة عن ألعاب باهظة الثّمن تثير خيالي، وإن كنتُ نادرًا ما أُخرِجها من عُلبها في النهاية. هناك مثلًا ماكينة لتجفيف الطعام، وسكّين كهربائيّة لتقطيع اللحوم، وماكينة لعمل عجين الخُبز، بالإضافة إلى هديّة العام الماضي المتمثّلة في منظارٍ للرؤية الليليّة. كنتُ قد وضعتُ فيه البطّاريّات يوم الكريسماس الماضي ونزلتُ به إلى ظلام القبو، لا أطيقُ صبرًا حتى يأتي المساء كي أجرّبه، وقد قرّرتُ أن أتخيّل أني أتتبّع سربًا من طيور الزّرزور في سماء القبو، (كان هناك تحذير من تشغيل المنظار في وجود الضوء، لأن هذا من شأنه أن يُتلفه وقد يُتلف عينيك كذلك). بعدها أعدتُ المنظار إلى عُلبته، وهناك ظلّ في مكانه في مكتبي إلى جوار صندوق مليء بكابلات الكومبيوتر وقِطَعٍ منسيّةٍ من أشياء ما.

خطر لي أن المخلوق -كلبًا كان أو قطّةً أو راكون أو أيَّ حيوان آخَر- لو رآني جالسًا في الشُّرفة فلن يأتي، فوضعتُ مقعدًا في حُجرة المعاطف -الأكبر مساحةً قليلًا من خزانة- التي تُطلُّ على الشُّرفة، وعندما خلُد بقيّة أهل البيت إلى النوم أخيرًا، خرجتُ إلى الشُّرفة وتمنّيتُ للقطّ الأسود ليلةً سعيدة.

– «هذا القطُّ... شخص»، قالت زوجتي في بداية إقامته معنا، وبالفعل كان ثَمَّة شيء ما يُذَكِّرك بالبشر في وجهه الشبيه بوجه الأسد؛ أنفه الأسود العريض، وعيناه الصفراوان المائلتان إلى الأخضر، وأنيابه البارزة بشكلٍ لا يخلو من لُطف في الآن ذاته (حيث لا يزال القَيح الأصفر المشوَّب بالحُمرة يسيل من يمين الشَّفة السُّفلى).

داعبتُ رأسه وحككتُ تحت ذقنه وتمنَّيتُ له الخير، ثم دخلتُ وأطفأتُ نور الشُّرفة.

جلستُ في مقعدي في الظلام داخل البيت ومنظار الرؤية الليليَّة في حجري، ثم شغَّلته لأرى سيَّالًا من الضوء الأخضر أمامي.

ومرَّ الوقت في الظلام.

شغلتُ نفسي بتجربة المنظار في الظلام، أتعلَّم كيف أركِّز وأرى العالم عبارةً عن درجاتٍ من اللون الأخضر. أصابني الهلع من الأعداد الهائلة من الحشرات الدقيقة التي رأيتها في هواء الليل، كأن عالم الليل في الحقيقة حساء كابوسي تموج فيه حياة كاملة. بعد فترة خفضتُ المنظار وتطلَّعتُ إلى درجات الأسود والأزرق الطبيعيَّة الغنيِّ بها الليل الهادئ السَّاكن الخاوي.

مرَّ الوقت وأنا أكافحُ للبقاء مستيقظًا، ووجدتُ نفسي أشعرُ بالحنين للسجائر والقهوة، إدمانيِّ الضَّائعيْن. كان أيهما كفيلًا بإبقاء عينيَّ مفتوحتين. لكن قبل أن أنزلق إلى أعماق عالم النوم والأحلام، جعلني عواء تردَّد فجأةً في الحديقة أنتفض بانتباه كامل. وضعتُ المنظار على عينيَّ في لهفة، لأصاب بخيبة الأمل عندما رأيتُ أنها ليست

إلا سنوفليك، القطّة البيضاء، تجري عبر الحديقة كقطعة من النور الأبيض الضّارب إلى الخضرة، ثم تختفي في الغابة إلى يسار البيت.

كنتُ على وشك الاسترخاء في مقعدي من جديد، عندما سألتُ نفسي عن الشيء الذي أفزع سنوفليك أصلًا، وبدأتُ أمسح المنطقة بالمنظار، باحثًا عن راكون ضخم أو كلبٍ أو أبوسوم شَرِس.

كان هناك بالفعل شيءٌ ما يقترب من البيت، ورأيته واضحًا كالنّهار

كان الشيطان.

لم أكن قد رأيتُ الشيطان من قبل، ورغم أني تناولته في كتاباتي، إلا أنك إذا ضغطت عليَّ سأعترف لك بأني لا أؤمن بوجوده إلا كشخصيّةٍ خياليّة ذات طابعٍ مأساوي ميلتوني. الشيء القادم إلى البيت لم يكن لوسيفر الذي كتب عنه جون ميلتون، بل كان الشيطان.

بدأ قلبي يَدُقُّ في صدري، يَدُقُّ بسرعةٍ وعنفٍ أشعراني بالألم، وتمنَّيتُ ألا يراني في مكاني هذا، متواريًا وراء نافذةٍ زجاجيَّةٍ في بيت مُظلم.

كان الشيء القادم يتذبذب ويتغيَّر وهو يمشي نحو البيت، في لحظة هو ثورٌ مينوتوري أسود، وفي التالية أنثى نحيلة، ثم قطّة... قطّة بَرِّيّة ضخمة شائهة ذات لونٍ أخضر رمادي انقلبت سحنتها كراهيةً.

هناك درجات تقود إلى الشُّرفة، أربع درجات خشبيَّة بيضاء تحتاج طبقة جديدة من الطلاء (كنتُ أعرف أن لونها أبيض، مع أنها كانت تبدو خضراء الآن ككلِّ شيءٍ آخَر). توقَّف الشيطان قبل أول درجة، بعيدًا عني، وصاح بشيءٍ لم أفهمه، ثلاث أو أربع كلمات ربما بلُغَة هي مزيجٌ مَنَ العواء والنَّحيب لا بُدَّ أنها كانت قد انقرضت ومُحيَت من ذاكرة الأنام عندما كانت بابل لا تزال مدينة شابَّة. لم أفهم حرفًا من تلك اللُّغَة، لكن الشَّعر انتصب على مؤخِّرة عنقي فَرَقًا.

ثم، بصوتٍ جاء مكتومًا من وراء الزجاج لكن مسموعًا مع ذلك، سمعتُ زمجرة خفيضة، زمجرة تحدٍّ... وببطءٍ -ودون ثبات- رأيتُ شبحًا أسودَ ينزل الدرجات أمام المنزل، بعيدًا عني، نحو الشيطان. الآن لم يَعُد القطُّ الأسود يتحرَّك كالنمر، بل يتعثَّر ويترنَّح كبحَّارٍ عاد للتوِّ إلى اليابسة.

كان الشيطان امرأةً الآن، قالت شيئًا رقيقًا لطيفًا للقطِّ بلُغَة بدت لي كالفرنسيَّة، ومدَّت يدها إليه... وغرس القط أنيابه في ذراعها، واكفهرَّت ملامحها وبصقت عليه.

ثم رفعت المرأة عينيها نحوي... ولو كان في قلبي شكٌّ في أن هذا هو الشيطان قبلها، فقد صرتُ موقنًا من هذا الآن.

كانت عيناها تتألَّقان بنارٍ حمراء، لكنك لا ترى اللون الأحمر بمنظار الرؤية الليليَّة، بل درجاتٍ من الأخضر فقط.

ورآني الشيطان جالسًا وراء النافذة... رآني... لا شكَّ في هذا على الإطلاق.

تمَّج الشيطان، وبدا كابن آوي، مخلوقًا مسطّح الوجه عظيم الرأس له رقبة كرقبة ثور، هجينًا من الضّباع وكلاب الدينجو الوحشيَّة، وكان فروه الأجرب يجيش بالحشرات، وبدأ يصعد السلالم.

ووثب القطُّ الأسود عليه، وفي ثوانٍ كانا عبارةً عن شيءٍ مُلْتَفٍّ مُلْتَوٍ يدور أمامي بسرعةٍ لا يقدر بصري على اللحاق بها.

وكلُّ هذا في صمتٍ تام.

ثم يأتي هديرٌ خفيض من على الطريق الريفي الذي يتفرَّع منه طريق بيتنا، وعلى بُعدٍ تحرَّكت شاحنة كبيرة بثقلٍ وضوء مصباحيها الأماميَّيْن الساطع يخترق كشموسٍ خضراء، فخفضتُ المنظار لأرى الظلام وضوء مصباحين أصفر هادئًا، ثم ضوء المصباحين الخلفيَّين الأحمر الخافت، قبل أن تغيب الشاحنة مرَّة أخرى في العدم.

عندما رفعتُ المنظار إلى عينيَّ من جديد لم يَعُد هناك ما يُرى، فقط القط الأسود الجالس على السلالم يُحَدِّق في الهواء. رفعتُ المنظار إلى أعلى، ورأيتُ شيئًا -نَسرًا ربما- يُحَلِّق بعيدًا قبل أن يغيب وراء الأشجار.

خرجتُ إلى الشُّرفة وحملتُ القطَّ الأسود ورَبَّتُّ عليه وقلتُ له أشياء رقيقة لطيفة. ماء على نحوٍ يثير الشفقة عندما دنوتُ منه، لكنه غاب في النوم في حجري بعد قليل، فوضعته في سلّته وصعدتُ إلى فراشي لأنام بدوري، وفي الصباح التالي وجدتُ دمًّا جافًا على قميصي وسروالي.

كان هذا منذ أسبوع.

الشيء الذي يأتي إلى منزلي لا يأتي كلَّ ليلة، لكنه يأتي في معظم الليالي. نعرف هذا من الجروح الجديدة التي يصاب بها القطُّ ونظرات الألم في هاتين العينين الأسديَّتين. لقد فقد القدرة على استخدام قائمته الأماميَّة اليُسرى، وانغلقت عينه اليُمنى إلى الأبد.

أتساءلُ عما فعلناه لنستحقَّ القط الأسود... أتساءلُ من أرسله... وبكلِّ أنانيةٍ وخوفٍ أتساءلُ كم من الوقت سيحتمل.

أحشاء

تشاك پولانك

تنفس.

التقط كلَّ ما تقدر عليه من الهواء. هذه القصَّة لن تستغرق إلا المُدَّة التي تستطيع أن تحبس فيها أنفاسك تقريبًا، ثم ما يزيد عن هذا بقليل، لذا أرجوك أن تسمعها بأسرع ما يُمكنك.

صديق لي كان في الثالثة عشر من عمره عندما سمع عن تكنيك غرس الوتد، أي عندما يَدُسُّ الرجل قضيبًا صناعيًّا في مؤخِّرته، ويحثُّ غُدَّة المثانة بالقوَّة الكافية ليصل إلى ذُروة متفجِّرة مرَّات ومرَّات دون أن يستخدم يده. هذا الصديق في تلك السِّن مهووس بالجنس، يبحث دائمًا عن طُرُقٍ أفضل للاستمناء. يخرج ليشتري جزرة وبعض القازلين ليُجري بحثًا خاصًّا صغيرًا، ثم يتخيَّل كيف سيبدو الأمر

للواقفين في الصَّف عندما يذهب لدفع الحساب ومعه الجزرة الوحيدة والقازلين، والكلُّ ينظر إليه متخيِّلًا الليلة الكبيرة التي يُخَطِّط لها. هكذا يبتاع صديقي بعض الحليب والبيض والسُّكَّر والجزرة -وكلها مقادير لصُنع كعكة جزر لا بأس بها- والقازلين بالطبع.

كأنه سيعود إلى المنزل ليضع كعكة جزر في مؤخَرته.

في البيت ينحت الجزرة إلى أن تصبح أداةً غير حادَّة، ثم يكسوها بالقازلين ويَدُسُّها في مؤخِّرته... ثم لا شيء، لا ذُروة، لا شيء هنالك سوى الألم.

ثم إن أم الفتى تُنادي من الطابق السُّفلي قائلةً إن العشاء جاهز، فليزل الآن فورًا.

يُخرِج الجزرة من مؤخِّرته، ثم يُخفي الشيء اللزج القذر بين ملابسه المتَّسخة تحت الفراش.

بعد العشاء يعود إلى الجزرة ليجد أنها اختفت. لا بُدَّ أن أمه أخذت ملابسه المتَّسخة كلها لتغسلها وهو يتناول العشاء، وليس من الممكن ألا تَعثُر عليها منحوتة مشذَّبة بسكِّينٍ من مطبخها، لا يزال القازلين حولها يلمع ولا تزال رائحتها نتنة.

ينتظر صديقي هذا شهورًا طويلة وسحابة سوداء تُظَلِّل حياته منتظرًا أن يُواجهه والداه، لكنهما لا يفعلا ذلك أبدًا أبدًا. حتى يومنا هذا، وقد أصبح رجلًا بالغًا، ما زال يرى الجزرة الخفيَّة مُعلَّقة فوق كلِّ عشاءٍ تُقيمه العائلة في الكريسماس، فوق كلِّ حفلة عيد ميلاد، في كلِّ حفلةٍ لصيد بيض عيد الفصح مع أطفاله، مع أحفاد والديه؛

وشبح الجزرة لم يزل يحوم حولهم جميعًا. إن هذا لَشيء ألعن من أن يكون له اسم.

في فرنسا لديهم تعبير اسمه "فطنة السلالم"، ويعني تلك اللحظة التي تجد فيها الإجابة على شيءٍ ما، وإنما بعد فوات الأوان. لنفترض أنك في حفلٍ ما ويهينك أحدهم على مرأىً ومسمعٍ من الجميع. عندها لا بُدَّ أن تقول شيئًا، أن تَرُدَّ الإهانة، لكنك تحت ضغطٍ والكلُّ ينظر إليك، وهكذا تَرُدُّ بشيءٍ سخيف.

لكن لحظة أن تغادر الحفل...

بمجرَّد أن تضع قدمك على الدرجة الأولى من السُّلَّم يبدأ السَحر! فورًا يَخطُر لك القول المثالي الذي كان حريًّا بك أن تَرُدَّ به، الرَّد الذي كان من شأنه أن يُخرِس مهينك تمامًا.

تلك هي روح السلالم.

المشكلة أن حتى الفرنسيين لا يملكون تعبيرًا للأشياء الغبيَّة التي تقولها تحت ضغط، تلك الأشياء الحمقاء اليائسة التي تقولها أو تفعلها.

من الأفعال ما هو أوضع من أن يكون له اسم، أوضع من أن يتكلَّم الناس عنه.

يقول خبراء نفسيَّة الأطفال والأخصائيُّون الاجتماعيُّون الآن إن أغلب حالات الانتحار لدى المراهقين المسجَّلة مؤخَّرًا كانت من أولادٍ يحاولون الاختناق أثناء الاستمناء. هؤلاء يَعثُر عليهم أهلهم بمنشفة ملفوفة حول العُنق ومعلَّقة بمشجب خزانة غرفة النوم والولد

نفسه ميت. السائل المنوي الميت في كلّ مكان. بالطبع يُنَظّف الأهل المكان، وبالطبع يُلبِسون الولد سروالًا، يجعلون المشهد يبدو أفضل، أو مقصودًا على الأقل؛ النوع المعتاد من انتحار المراهقين التعساء.

صديق آخَر لي في المدرسة روى له أخوه الأكبر جندي البحريَّة عن أن الذكور في الشرق الأوسط يستمنون بطريقة مختلفة عنا هنا. هذا الأخ كان متمركزًا في واحدة من تلك الدولِ ذاتِ الجمال، حيث تبيع الأسواق العامَّة ما يمكن أن يكون فتّاحات خطابات أنيقة. كلُّ واحدة من هذه عبارة عن عصا رفيعة من النحاس الأصفر أو الفضَّة المصقولة بطول يدك تقريبًا، في أحد طرفيها كرة معدنيَّة كبيرة أو شيء ما يُشبِه المقابض المنحوتة الأنيقة التي تراها في السيوف.

يحكي ذلك الأخ جندي البحريَّة كيف ينصب الذّكر العربي قضيبه، ثم يُدخل تلك العصا من فتحة القضيب بطوله، ويستمني والعصا بالداخل، ما يزيد اللّذّة ويجعلها أشد.

إنه الأخ الأكبر الذي يسافر حول العالم ويُرسل العبارات الفرنسيَّة والروسيَّة ونصائح الاستمناء.

بعد ذلك يأتي يومٌ لا يذهب فيه الأخ الأصغر إلى المدرسة، وفي تلك الليلة يتّصل بي طالبًا أن أساعده في واجبه المنزلي طوال الأسبوعين التاليين لأنه في المستشفى.

يتقاسم هذا الصديق الغُرفة مع مجموعة من المُسنَين الخاضعين لعمليَّات في أحشائهم، ويحكي كيف أنه يضطرُّ لمُشاهدة التليفزيون

نفسه معهم، وأن كلّ ما يُوَفر له شيئًا من الخصوصيّة هو ستارة وحيدة. أهله لا يأتون لزيارته، وعلى الهاتف يقول لي إن والديه على وشك قتل أخيه الكبير جندي البحريَّة.

على الهاتف يقول لي كيف كان مسطولًا قليلًا، وفي المنزل في غرفة نومه كان نائمًا على بطنه مُشعلًا شمعةً ويتصفّح بعض مجلات البورنو القديمة استعدادًا للاستمناء. كان هذا بعد أن سمع ما لدى أخيه جندي البحريَّة بالطبع عن تلك المعلومة المفيدة عن كيفيَّة استمناء العرب. ينظر الفتى حوله باحثًا عن شيءٍ ما يصلح لأداء الغرض. قلم الحبر الجاف أكبر من اللازم، والقلم الرصاص كبير وخشن، لكن على جانب الشمعة يسيل خيط ناعم رفيع من الشمع قد يكون مناسبًا. هكذا بطرف إصبعٍ واحد يخلع خيط الشمع الطويل من الشمعة، ويلفه بنعومة بين راحتيه ليصبح أطول وأنعم وأرفع.

الفتى، مسطولًا هانجًا، يُدخِل العود الشمعي عميقًا في فتحة البول في قضيبه، ويترك طولًا لا بأس به منها بالخارج، ثم يبدأ.

حتى الآن يقول إن هؤلاء الذُّكور العرب في غاية الذكاء، لقد أعادوا اختراع الاستمناء بالكامل.

هكذا يتمدَّد على ظهره في الفراش. هكذا تبدأ أشياء رائعة في الحدوث ولا ينتبه هو إلى عود الشمع. إنه على بُعد ضغطةٍ واحدةٍ أخيرة من خروج المَني، عندما يُدرِك أن لا شيء من الشمع تبقى خارج قضيبه.

عود الشمع الرفيع انزلق كله إلى الداخل على عُمقٍ يجعله لا يشعر به في أنبوب البول الآن.

من الطابق السفلي تُنادي أمه قائلةً إن العشاء جاهز، فليترل الآن فورًا. فتى الشمع وفتى الجزرة شخصان مختلفان تمامًا، لكننا نعيش الحياة نفسها على كلّ حال.

بعد العشاء تبدأ أحشاؤه في أن تؤلمه. إنه شمع، ومن ثم فإنه خمّن أنه سيذوب في داخله ويخرج مع فضلاته. الآن يؤلمه ظهره وتؤلمه كليتاه ولا يستطيع الوقوف باستقامة.

يتكلّم الفتى على الهاتف في المستشفى، وفي الخلفيَّة يُمكنك سماع صوت أجراسٍ وصياح. البرامج الرياضيَّة تلك!

تُبَيِّن الأشعة السينيَّة الحقيقة: شيء ما طويل ورفيع ملوي داخل مثانته، ذلك الشيء يجمع كلّ المعادن في بوله ويزداد حجمه وخشونته مع الوقت وتغطيه بلورات الكالسيوم، يتحرَّك هنا وهناك ممزِّقًا بطانة المثانة ومانعًا أيَّ بولٍ من الخروج. الآن كليتاه مسدودتان تمامًا، والقليل الذي يتسرَّب من فتحة البول مصطبِغ بالأحمر القاني.

ذلك الفتى وأهله كلهم ينظرون إلى صورة الأشعَّة ومعهم الطبيب والممرِّضات وقطعة الشمع تتألّق بالأبيض ليراها الجميع. عليه أن يقول الحقيقة، عليه أن يُخبِرهم كيف يستمني العرب كما كتب له أخوه جندي البحريَّة.

الآن على الهاتف يبدأ الفتى في البكاء.

دفع أهله تكلفة جراحة المثانة من المبلغ المدَّخر لتعليمه الجامعي. لقد ارتكب خطأ واحدًا غبيًّا، والآن لن يصبح محاميًّا أبدًا.

أن تَدُسَّ أشياء في نفسك، أن تَدُسَّ نفسك في أشياء، شمعة في قضيبك أو رأسك في أنشوطة، كلنا يعرف أن هذا سيتسبَّب في مشكلةٍ كبيرة.

الشيء الذي أوقعني أنا في مشكلة أحبُّ أن أسمِّيه "لآلئ الغوص"، أي الاستمناء تحت الماء أثناء الجلوس في قاع الركن الأقصى من حوض سباحة أبويَّ. بنَفَسٍ واحدٍ عميق أغوصُ إلى القاع وأخلعُ ثوب السباحة، وهناك أجلسُ لدقيقتين، ثلاث دقائق، أربع دقائق.

فقط من فعل هذا تحت الماء أصبحت لديَّ سعة رئويَّة عالية، وكنتُ لأفعل هذا طوال الظهيرة لو كان المنزل خاليًا. بعد أن أنتهي، أرى القذف طافيًا في كُتَلٍ لبنيَّةٍ كبيرة، وهكذا أعاودُ الغوص لأجمعه كله وأمسحه في منشفة. لهذا أفضِّلُ اسم لآلئ الغوص. حتى مع الكلور الذي يُنَظِّف الحوض، ما زالت هناك نسبة من القلق على أختي...أو على أمي!

كان ذلك أسوأ مخاوفي في العالم: أختي المراهقة العذراء تحسب أنها أصبحت بدينة فقط، ثم إذا بها تلد طفلًا معاقًا ذا رأسين كلاهما يُشبهني أنا، الأب والخال.

لكن المشكلة أن ما يُقلقك ليس ما ينال منك في النهاية.

أفضل ما في لآليء الغوص هو تلك الفتحة التي تفضي إلى مصفاة الحوض ومضخَّة تدوير المياه، أفضل جزء هو التعرِّي والجلوس عليها.

كما يقول الفرنسيون: «من الذي لا يحب أن تُمتَص مؤخرته؟». ومع ذلك، ففي لحظةٍ أنت مجرَّد مراهق هائج، وفي اللحظة التالية لن تصبح محاميًّا أبدًا

الآن أجلسُ في قاع حوض السباحة والسماء تبدو زرقاء مائجة عبر ثمانية أقدامٍ من الماء فوق رأسي، والعالم صامت تمامًا باستثناء ضربات قلبي التي أسمعها في أذنيَّ. ثوب السباحة المخطَّط بالأصفر معقود حول عنقي تحسبًا لظهور صديقٍ أو جارٍ أو أيِّ أحدٍ جاء ليستفسر عن تغيُّبي عن تدريب كرة القدم. الامتصاص الثابت من مصفاة حوض السباحة يلعقني، فأكبس مؤخِّرتي البيضاء الصغيرة حول ذلك الإحساس.

الآن هناك ما يكفيني من الهواء وقضيبي في يدي، والداي في عملهما وأختي في تدريب الباليه، ولن يعود أيهم قبل ساعات.

تقودني يدي إلى شفا الذُّروة، وعندها أتوقَّف. أسبحُ إلى أعلى لألتقط نفسًا كبيرًا آخَر، ثم أغوصُ لأستقرَّ في القاع مرَّةً ثانية.

أفعلُ هذا مرَّةً تلو الأخرى.

لا بُدَّ أن هذا هو سبب رغبة الفتيات في الجلوس على وجهك. هذا الامتصاص يشبه عمليَّة تبرُّز لا تنتهي. إنني منتصب، والمضخَّة تلتهم مؤخِّرتي، ولست في حاجةٍ إلى هواء. نبضات قلبي في أذنيَّ،

وأبقى تحت الماء إلى أن تبدأ النجوم في الاحتشاد أمام عيني. ساقاي مفرودتان تمامًا، وباطنا ركبتيَّ يوازيان القاع الإسمنتي مباشرةً. أصابع قدميَّ يستحيل لونها إلى الأزرق، ويتجعَّد جلدها كجلد أصابع يديَّ من بقائي تحت الماء طويلًا.

ثم أتركُ الكُتَل البيضاء الكبيرة، اللآلئ، تتدفَّق. عندها فقط أحتاجُ إلى الهواء، لكن عندما أحاولُ رَكْل القاع لأدفع نفسي إلى أعلى أجدني لا أستطيع، لا أستطيعُ أن أثني ساقيَّ تحتي. إن مؤخِّرتي عالقة.

سيقول لك مسعفو الطوارئ إن نحو مئة وخمسين شخصًا يعلقون هكذا كلَّ عام، تجتذبهم مضخَّة التدوير وتعلق بالشَّعر الطويل أو المؤخِّرة، وعندها ستغرق. كل عامٍ يفعل الآلاف هذا، ومعظمهم في فلوريدا.

فقط لا تجد الناس يتكلَّمون عن هذا. حتى الفرنسيين لا يتكلَّمون عن كلِّ شيء. أستطيعُ أن أرفع ركبة واحدة وأثني ساقي أسفلي، أقفُ نصف وقفة لأشعر بالجذب الشديد في مؤخِّرتي. أثني ساقي الأخرى تحتي وأركَلُ القاع، أركلُ بحُرِّيَّة ولستُ ألمسُ القاع الإسمنتي، لكني لا أتحرَّكُ صوب الهواء كذلك.

ما زلتُ أركلُ في الماء وأضربُ بذراعيَّ. لعلي الآن في منتصف الطريق إلى السطح، لكني لا أرتفع. ضربات قلبي في أذنيَّ تعلو وتتزايد.

شرارات الضوء تعبر أمام عينيَّ وتتشابك. أستديرُ وألقي نظرة... لكن ما أراه غير معقول. هذا الحبل السميك، ثعبان ما لونه أبيض

مزرق مليء بالأوردة خرج من بالوعة الحوض ومتمسِّك بمؤخِّرتي. بعض تلك الأوردة يتسرَّب منه الدم الأحمر الذي يبدو أسودَ اللون تحت الماء ويبتعد عن جلد الثعبان الشاحب. يبتعد الدم ويختفي في الماء، وداخل جلد الثعبان الأبيض المزرق الشاحب ترى كُتَلًا من بقايا وجبة نصف مهضومة.

هذه هي الطريقة الوحيدة التي يُمكنني أن أعقل بها هذا. هو وحش بحري بشع، أفعى بحريَّة لم ترَ ضوء النهار من قبل قَطُّ ظلَّت كامنة في قاع البالوعة المُظلم وتنتظر أن تلتهمني.

هكذا أركله، أركل ذلك الحبل المطَّاطي الزَّلِق ذا الأوردة، لكن المزيد منه يخرج من البالوعة. طوله يكاد يبلغ طول ساقي الآن، لكنه ما زال متمسِّكًا بفتحة الشرج. بركلة أخرى أقتربُ بوصة أخرى من الهواء. ما زال الثعبان متشبِّثًا بمؤخِّرتي، وأنا على وشك الهروب.

في داخل الثعبان يُمكنك أن ترى ذرَةً وفولًا سودانيًّا، يُمكنك أن ترى كرة برتقاليَّة طويلة لامعة تُشبه حبوب الڤيتامينات التي يجعلني أبي آخذها كي أكتسب المزيد من الوزن لأحصل على منحةٍ دراسيَّةٍ رياضيَّة. حبوب مليئة بالحديد وأحماض أوميجا 3.

رؤية حبة الڤيتامينات هذه هي ما أنقذ حياتي.

إنه ليس ثعبانًا. إنها أمعائي الغليظة. قَولوني كله خارج جسدي.

هذا ما يُطلق عليه الأطباء اسم التدلِّي. إنها أحشائي وقد امتصَّتها البالوعة.

سيقول لك مسعفو الطوارئ إن مضخَّة حوض السباحة تسحب حوالي ثمانين جالونًا من الماء في الدقيقة، أي ما يعادل ربعمئة رطل من الضغط. المشكلة الكبيرة هي أن كلَّ شيءٍ في داخلنا مرتبطٌ ببعضه البعض: مؤخرتك ليست إلا الطرف الأقصى لفمك. إذا تركتها، فسوف تستمرُّ المضخَّة في سَحْبِ أحشائي من الداخل إلى أن تبلغ لساني.

ما يُمكنني أن أقوله لك الآن إن أحشاءك لا تشعر بالكثير من الألم، ليس كالألم الذي يشعر به جلدك. الأشياء التي قضمها يُطلق عليها الأطباء اسم المادَّة البرازيَّة. في الأعلى هناك كتل سميكة من الذُّرَة والفول السوداني والبازلاء الخضراء.

هذا إذن ما يحيط بي من دمٍ وذرَة وبراز ومَنِيٍّ وفول سوداني. حتى وأحشائي تنحلُّ خارج مؤخِّرتي وأحاولُ التمسُّك بما تبقَّى منها، فالخاطر الأول في ذهني هو أن أرتدي ثوب السباحة.

حاشا لله أن يرى أهلي قضيبي!

بيد أقبضُ على أحشائي وباليد الأخرى أجذب ثوب السباحة المخطَّط بالأصفر من حول عنقي، لكن ارتداءه ما زال مستحيلًا.

هل تريد أن تعرف ملمس أحشائك؟ اذهب واشترِ عُلبةً من ذلك الواقي الذَّكري المصنوع من جلد الحملان. أخرِج واحدًا واحشه بزبدة الفول السوداني، ثم ادهنه بالقازلين وامسكه تحت الماء... ثم حاول أن تُمَزِّقه، حاول أن تقطعه إلى نصفين. ستجده صُلبًا مطَّاطيًّا بشدَّة، ستجده لزجًا لا تستطيع القبض عليه.

واقٍ ذَكري من جلد الحملان، تمامًا كالأحشاء.

يُمكنك أن ترى الموقف الذي أنا فيه إذن.

تَترُك أحشاءك لثانيةٍ واحدة وستَخرُج منك كلها...

تحاول السباحة نحو السطح لتلتقط أنفاسك وستخرج كلها منك...

لا تحاول السباحة وستغرق...

إنه خيار بين الموت الآن والموت بعد دقيقةٍ من الآن.

ما سوف يعثر عليه والداي بعد عودتهما من العمل هو جنين كبير عارٍ متكوِّم على نفسه، طافٍ في المياه المتَّسخة في حوض السباحة، مُقَيَّد إلى القاع بحبلٍ سميكٍ من الأوردة والأحشاء الملتوية. هذا عكس ما يفعله من يشنق نفسه حتى الموت وهو يستمني. هذا هو الطفل الذي جاءا به إلى المنزل من المستشفى منذ ثلاثة عشر عامًا، الطفل الذي أملا أن يحصل على منحةٍ دراسيَّةٍ رياضيَّة وينال الماچستير في إدارة الأعمال، الذي سيعتني بهما عندما تتقدَّم بهما السِّن.

ها هي كلُّ أحلامهما وأمانيهما. ها هو ذا، طافٍ، عارٍ، ميت وحوله لآلئ من القذف.

إما ذلك أو أنهما سيجداني ملفوفًا بمنشفةٍ دامية في منتصف المسافة بين حوض السباحة وهاتف المطبخ، وبقايا أحشائي لا تزال متدلية من ساق ثوب السباحة المخطَّط بالأصفر.

حتى الفرنسيين لن يتكلّموا عن ذلك.

ذلك الأخ الأكبر جندي البحريَّة علّمنا عبارة مفيدة أخرى، عبارة روسيَّة. نقول نحن: «أحتاجُ هذا كما أحتاجُ ثقبًا في رأسي»، والروس يقولون: «أحتاجُ هذا كما أحتاجُ أسنانًا في مؤخّرتي».

تلك القصص التي تسمعها عن الحيوانات التي تسقط في أفخاخ فتقضم ساقها لتحرَّر. أيُّ ذئبٍ سيقول لك إن قضمتين لأفضل كثيرًا من الموت.

حتى إذا كنت روسيًّا، فقد تحتاج إلى تلك الأسنان ذات يوم.

ما تفعله الآن هو أنك تلوي نفسك وتُثَبِّت أحد مرفقيك وراء ركبتك وتجذب تلك الساق إلى وجهك وتعض وتقضم في مؤخّرتك. عندما ينفد منك الهواء ستقضم أيَّ شيءٍ في سبيل أن تأخذ نَفَسًا آخَر.

ليس هذا شيئًا تريد أن تحكيه لفتاة في لقائكما الأول، ليس إذا كنت تنتظر أن تظفر منها بقُبلةٍ في نهاية اللقاء.

أحشائي... إذا قلت لك كيف كان مذاقها، فلن تمس السُّبِّيط مرَّةً أخرى أبدًا.

من الصعب أن أحدِّد أكثر ما أثار اشمئزاز والديَّ: كيف أوقعتُ نفسي في تلك الورطة، أم كيف أنقذتُ نفسي منها. في المستشفى قالت لي أمي: «لم تكن تعرف ما تفعله يا صغيري، كنت مصدومًا»، ثم إنها تعلّمت كيف تطهو البيض المسلوق.

كلُّ هؤلاء الذين يشعرون بالاشمئزاز مني أو الشفقة علي...

أحتاجُ هذا كما أحتاجُ أسنانًا في مؤخِّرتي.

في الوقت الحالي دائمًا ما يقول لي الناس كيف أبدو شديد النحول. في حفلات العشاء يغتاظ الناس مني لأني لا آكلُ لحمهم المطبوخ. اللحم المطبوخ يقتلني، واللحم المقدَّد كذلك. أيُّ شيءٍ يبقى في أحشائي لأكثر من ساعتين يخرج كما هو طعامًا. الفول أو قطَع التونة، ما زلت أجدها كما هي في المرحاض.

بعد أن تجري جراحة كبرى لاستئصال الأمعاء لا يُمكنك هضم اللحوم. معظم الناس لديهم أمعاء طولها خمسة أقدام، أما أنا فمحظوظ بأمعائي التي يبلغ طولها ست بوصات. هكذا لم أحصل قَطُّ على منحة دراسيَّة رياضيَّة، لم أنل الماجستير في إدارة الأعمال. صديقاي، فتى الجزرة وفتى الشمع، كبرا ونضجا، أما أنا فلم يزدد وزني رطلًا واحدًا عما كان وأنا في الثالثة عشر.

المشكلة الأخرى كانت حوض السباحة نفسه. في النهاية قال أبي للعامل إنه كان كلبًا؛ كلب العائلة سقط في الحوض وغرق وسحبته المضخَّة. حتى عندما أفرغ العامل البالوعة وأخرج أنبوبًا طويلًا من الأمعاء به حبة الڤيتامينات البرتقاليَّة، هزَّ أبي رأسه بأسي قائلًا: «ذلك الكلب كان مجنونًا».

حتى من النافذة العلويَّة يُمكنك أن تسمع أبي يقول: «لم نكن نثق بوجود ذلك الكلب وحده ثانية واحدة».

ثم توقَّفت الدورة الشَّهريَّة لدى أختي.

حتى بعد أن غيَّروا مياه حوض السباحة، بعد أن باعوا المنزل وانتقلنا إلى ولايةٍ أخرى، بعد إجهاض أختي، لا يذكر أهلي ما حدث مرَّة أخرى أبدًا.

أبدًا.

هذه هي جزرة أُسرتنا الخفيَّة.

أما أنت فيُمكنك أن تتنفس ملء رئتيك الآن، فأنا ما زلتُ لا أقدر.

تأثير 'أحشاء'

بولانك يكتب عن قصَّته الأكثر إثارةً للجدل

لم يفقد أحدٌ وعيه عندما قرأت قصَّتي القصيرة "أحشاء" على آخَرين للمرَّة الأولى.

كان هذا ذات ليلة ثلاثاء في ورشة الكتابة التي اعتاد أصدقائي وأنا إطلاع بعضنا البعض على جديد كتاباتنا فيها منذ عام 1991 كلُّ أسبوعٍ كنتُ أقرأُ عليهم واحدةً من القصص القصيرة التي انتويت ضمَّها إلى روايتي الجديدة ***Haunted***، وكان هدفي هو أن أستمدَّ الرُّعب من أكثر الأشياء اعتياديَّة: الجزر، الشمع، أحواض السباحة، الفشار، كرات البولنج.

لم يفقد أحدٌ وعيه، بل الحقيقة أن أصدقائي انفجروا ضاحكين، وإن ران –في لحظاتٍ بعينها– على الغرفة الصمت التام الذي حمل

كثيرًا من الانتباه المصدوم. لم يُدَوِّن أيهم أيَّ ملاحظات على النُّسخ التي أعطيتهم إياها، ولم يحاول أحدهم أن يتناول شرابًا حتى ليساعده على الاستيعاب. كانت تلك الليلة، على كلِّ حال، أفضل من ليلة الثلاثاء السابقة، عندما جعلَت قصَّتي "خروج" صديقتي تهرع إلى الحمام وتبكي وراء بابه الموصد لساعات. فيما بعد طلب منها الطبيب النَّفسي نُسخة من القصَّة لتساعده على فهم حالتها وإيجاد وسيلة لعلاجها.

لكن لا أحد. فقد وعيه هذا الأسبوع، بل ضحك أصدقائي فقط، وأخبرتهم أن قصَّة "أحشاء" ذات الفصول الثلاثة مبنيَّة في الواقع على ثلاث نوادر حقيقيَّة، اثنتان منها وقعتا لصديقين أعرفهما، والثالثة لرجلٍ التقيتُ به خلال حضوري مجموعات مدمني الجنس العلاجيَّة أثناء البحث الذي كنتُ أجريه من أجل روايتي الرابعة. كانت ثلاث قصَص حقيقيَّة طريفة -ومُزعجة مما لا شكَّ فيه- عن تجارب للاستمناء انتهت على نحوٍ سيئ... سيئ إلى درجةٍ رهيبة... إلى درجةٍ كابوسيَّة.

لكن تلك القصص الثلاث كانت طريفة وحزينة إلى درجة جعلتني لسنوات، كلما صعدتُ على متن طائرة، أردِّد هذا الدعاء الصامت: «أرجوك يا رب، لا تجعل هذه الطائرة تسقط، لأنني الوحيد من عبادك الذي يعرف هذه القصص الثلاث العظيمة كلها. اجعلني أصنع شيئًا لأحفظها من الضياع!». ثم إنني كتبتُ "أحشاء"، وهي واحدة من نحو عشرين قصَّة تبادلَت مع عددٍ من القصائد لتُكَوِّن فصول

كتاب ***Haunted*** الذي احتوى على قصصٍ أغلبها حقيقي، وكلها أقل أو أكثر إزعاجًا.

قرأتُ "أحشاء" للمرَّة الأولى في حدثٍ عام في جولة الترويج لروايتي ***Diary***. كان هذا في مكتبةٍ مزدحمة في پورتلاند، أوريجون، وكان ثَمَّة طاقم تصوير هولندي هناك يقوم بعمل فيلمٍ وثائقي، وامتلأت المكتبة يومها بأكثر من ثمانئة شخص، ما تجاوز السعة التقليديَّة التي ينصُّ عليها قانون الحرائق. تحتاج قراءة "أحشاء" إلى تركيزٍ كامل، فلا تستطيع رفع رأسك عن الأوراق كثيرًا لتنظر حولك، لكن في المرَّات التي رفعتُ فيها رأسي بدت وجوه محتلّي الصَّف الأول مكفهرَّة إلى حدٍّ ما، ثم حان دور الأسئلة والإجابات، وبعده توقيع الكتاب. النهاية.كنتُ قد وقَّعتُ النسخة الأخيرة من الكتاب عندما أخبرني أحد العاملين في المكتبة أن اثنين فقدا وعيهما، شابَّان، كلاهما سقط مغشيًّا عليه خلال قراءة "أحشاء" مرتطمًا بالأرضيَّة الخرسانيَّة، وإن كانا بخير الآن، لكن كليهما لا يَذكُر ما حدث بين الوقوف والإصغاء ثم الإفاقة بين أقدام المحيطين. كنا في سبتمبر ودرجة الحرارة مرتفعة، والمكتبة كانت مزدحمة فعلًا، فلم أشغل نفسي كثيرًا بما حدث.

في الليلة التالية، في فرعٍ لمكتبات بوردرز مكيَّف الهواء، ومع جمهورٍ كبيرٍ آخَر يستمع لقراءة "أحشاء"، سقط اثنان آخران مغشيًّا عليهما، رجل وامرأة.

في اليوم التالي في سياتل، أثناء قراءة القصَّة لموظَّفي إحدى كُبرى شركات الإلكترونيَّات، سقط رجلان آخَران. عند النقطة نفسها في القصَّة بالضبط سقط كلاهما بعنف جعل كرسييهما الخشبيَّين ينقلبان على الأرضيَّة اللامعة. لحظتها هبَّ الجميع واقفين على أطراف أصابعهم محاولين معرفة من سقط وما إن كان بخير. توقَّفت القراءة لبضع دقائق بينما جيء بأكواب المياه واسترد الاثنان وعيهما، وأكملتُ القصَّة بعد أن استأذنتهما.

لكن الآن صار هناك نمط ملحوظ.

وفي الليلة التالية في سان فرانسسكو –وحتى بعد أن قطع بعض المتعصِّبين القراءة وقذفوني بالكريمة المخفوقة وكلٌّ منهم يرتدي ملابس بابا نويل، وحتى بعد أن لكم أحد وكلاء الدعاية أحدهم في وجهه بعد أن أعطيتهم خمسين دولارًا رشوة كي يتركوني وشأني ويذهبوا لتناول شراب في مكان ما– سقط ثلاثة آخَرون فاقدي الوعي. وبعدها بليلة في بركلي، وفي حضور أحد محرِّري ***Publishers Weekly***، سقط ثلاثة جُدد، وفي الليلة التي تلتها سقط اثنان آخَران في سانتا كروز.

وكيل الدعاية الذي حضر المناسبات الثلاث قال إنهم جميعًا سقطوا في ذات اللحظة التي قرأت فيها جملة (الذُّرَة والفول السوداني). هذه هي التفصيلة التي جعلت الجالسين يترنَّحون. في البداية انزاحت الأيدي عن الشفاه، ثم تراخت الأكتاف، ثم مالت الرؤوس إلى الأمام، وتكفَّل ثقلهم بأن يُسقطهم أرضًا أو في حجر من يجلس إلى جوارهم.

وطبقًا لمُترجمي في إيطاليا، فإن من كانوا واقفين سقطوا فجأةً مختفين في الزحام. كان أحد الممثّلين يقرأ القصَّة في بولونيا حيث توالت الفراغات فجأة في الزحام نتيجةً لكلٍّ من سقطوا أرضًا، وقال لي المترجم: «هل كنت تعرف أن هذه القصَّة الشنيعة تُقرَأ في كاتدرائيَّة؟».

في قاعة المحاضَرات في مكتبة بفرلي هيلز، لوس أنجليس، أخذت امرأة في مؤخِّرة القاعة تصرخ وتصرخ طالبةً مجيء الإسعاف. في الحقيقة كانت صرخاتها مدويَّة إلى درجة أننا حسبنا قميصها الأحمر مغمورًا بالدم، لكنها كانت دموعها فقط. طبعًا كان سبب صراخها أن زوجها سقط يرتجف على الأرض. كان قد دخل الحمَّام –حيث ذهب رجل آخَر هاربًا من القصَّة– ليرشَّ وجهه بالماء البارد، لكنه سقط صادمًا رأسه بالحوض.

في كانساس سيتي خرج رجل آخَر فارًّا من القصَّة أثناء القراءة، فسقط ليصطدم بالرصيف ويشق شفتيه. أما في لاس ڤيجاس، حيث امتلأت قاعتا المحاضرات في المكتبة بالراغبين في سماع القصَّة، أصيب رجل بنوبة في القاعة التي كنتُ أجلسُ فيها، وفي القاعة الأخرى التي كانت تنقل القراءة عن طريق شاشة كبيرة سقط اثنان آخَران. الشيء نفسه حدث في شيكاجو مع سقوط رجلين في قاعتين امتلأتا عن آخرهما، والحقيقة أن أحدهما انتظر ثلاث ساعات كاملة حتى انتهى حفل التوقيع ليُلقي عليَّ التحية ووجهه لا يزال ملوَّثًا بالدم الناتج عن

ضغطه بأسنانه على شفته السفلى إلى أن شقّها إلى نصفين. نوبة صرعيَّة لا يذكرها خلال قراءة لقصَّة لن ينساها أبدًا.

حتى تلك الجولة الدعائيَّة لم أكن قد سمعتُ سوى شائعات عن فقدان البعض لوعيهم أثناء سماعهم لقصَّة ما، ومعظم هذه الحوادث وقع أثناء قراءة تشارلز ديكنز لمشهد القتل في "أوليفر تويست" كان مشهد الخنق يجعل السيِّدات الڤيكتوريَّات الراقيات يسقطن أرضًا في الحال. وفي التاريخ الحديث كان مشهد الإجهاض على طاولة المطبخ في ***The Cider House Rules*** لجون إرڤينج يجعل النساء يفقدن الوعي أيضًا.

مع وصول الجولة إلى نيويورك كان عدد ضحايا القصَّة شبه متساوٍ بين الذكور والإناث، وكانت أعمارهم كلهم تتراوح بين الثامنة عشر والثلاثين. ما كان يحدث في المعتاد أنه، قبل صفحة تقريبًا من السقوط، كان من في سبيله لفقدان الوعي يبدأ في أن يتصبَّب عرقًا غزيرًا باردًا، وفي عددٍ من المرَّات كنتُ أرفعُ عينيَّ لأجد مجموعاتٍ من أنصاف العراة يخلعون قمصانهم الرَّطبة من فرط العرق.

كانت مجلة ***Playboy*** قد رفضت شراء "أحشاء" لنشرها، حيث قال البعض إنها متطرِّفة أكثر من اللازم. لكن بعد حضور كريس ناپوليتانو –محرَر القصص الخياليَّة لديهم– قراءتها في نيويورك، وبعد أن رأى المزيد من أنصاف العراة يسقطون، رافق وكيلي في تلك الليلة إلى بارٍ قريب ووقّع معه اتِّفاق شراء القصَّة. ثم إن مراسل ***Publishers Weekly*** كتب مقالًا بعنوان (مؤلِّف "نادي

القتال" يُفقدهم الوعي دون أن يضربهم). وفي اليوم التالي سقط طالبان في جامعة كولومبيا. كان الثاني يجلس وراء محرِّري وزوجته، ومع سقوطه على الأرض كان يُصدر أصواتًا حيوانيَّة، بينما أنقذه المسعفون من أن يتنفس قيأه.

بعد أن حملته سيارة الإسعاف إلى المستشفى انتحى بي محرِّري جانبًا وقال: «أظنك أحدثت ما يكفي من الضرر بهذه القصَّة. لا تقرأها إلى نهايتها، ولنبدأ الأسئلة والإجابات».

لم ينته الأمر عند هذا الحد. اعتدتُ بعدها أن أنهي قراءة القصَّة على صوت سارينة الإسعاف إذ وصلت في الخارج، وإذا كان للمكتبة نوافذ عرض زجاجيَّة كبيرة كنت أتوقَّف مع انعكاس أضواء الإسعاف الحمراء على وجهي. أما إذا كانت أرفف المكتبة ذات حوافٍّ حادَّة من الخشب الصُّلب –وحتى مع تحذيري من تأثير القصَّة المحتمَل– كان العاملون في بعض الليالي يضطرون لمسح الدم الناتج عن جرحٍ في رأس هذا أو ذاك إثر سقوطه وارتطامه بأحد الرفوف.

في بريطانيا فقد البعض وعيهم مع قراءتي للقصَّة في ليدز، وفي لندن ازدحمت الحمَّامات بالمتأنِّقين الهاربين منها ليجلسوا على الأرض الباردة ويتعافوا من القَدر القليل الذي سمعوه.

في كامبريدج، بعد أن أصدر رجل صوت الأنين الذي بات مألوفًا قبل أن يسقط من كرسيه، شرح لي أحد الأطباء معنى الصوت الذي يسبق فقدان الوعي بلحظة: مع فقدانك الوعي، ومع ارتخاء كتفيك وارتماء رأسك، فإن قصبتك الهوائيَّة تُسَدُّ ولا تستطيع

التنفُّس، ولإنقاذ حياتك يقوم جسدك على نحوٍ آلي بقذف رأسك إلى الأمام لفتح حنجرتك. استخدم الطبيب تعبيرات منمَّقة مثل "الحنك الليِّن"، أي الحركة التي تقذف رأسك إلى الأمام وتجعلك تتنفَّس. هذه الحركة تُسقط جسدك غير الواعي أرضًا، تمامًا كقطعةٍ ثقيلةٍ من اللحم. قال الطبيب إنك ستختنق إذا ظللت جالسًا في مكانك.

في إيطاليا كان ممثل اسمه ماسيمو يقرأ القصَّة مترجَمةً بصوته الجهوري، وتساقط الحاضرون كأن هناك من أطلق عليهم النار في ميلان أفاق رجل ليجد نفسه محاطًا بالأقدام، وبعد أن نهض أخذ يلوِّح بقبضته ويصيح: «لِمَ قرأت هذه القصة؟»، ثم إنه، ووجهه لا يزال شاحبًا مبلَّلًا بالعرق، أراد أن يعرف إن كان هدفي أن أهينه –أن أهينه هو بالذات– بين الناس، أن أجعله يفقد وعيه بينهم.

إجمالًا سقط 67 شخصًا مغشيًّا عليهم وأنا أقرأ "أحشاء"، وأقرأُ الآن على الإنترنت عن آخَرين يقرأونها لأصدقائهم كي يفقدوا الوعي، وهكذا يتزايد الرقم أكثر فأكثر.

هذه القصَّة –المكوَّنة من تسع صفحات– تستغرق نحو ثلاثين دقيقة لقراءتها. في النصف الأول منها أجد نفسي أتوقَّف كثيرًا بسبب ضحكات المستمعين، وفي النصف الثاني أتوقَّف حتى يتم إسعافهم. أصبحت القصَّة بالنسبة لعددٍ كبير من الممثِّلين مونولوجًا شهيرًا يُلقونه في تجارب الكاميرا.

لكن لا أحد فقد وعيه عندما قرأتُ "أحشاء" للمرَّة الأولى. كان هدفي أن أكتب نوعًا جديدًا من قصص الرُّعب، شيئًا مبنيًّا على

أحداث من عالم الواقع بدون وقائع خوارقيَّة أو وحوش أو سحر. كنتُ أريدُ أن أكتب ما كان في طريقه لأن يصبح كتابًا لا ترغب في وضعه إلى جوار فراشك ليلًا، كتابًا بمثابة باب يأخذك إلى مكان مُظلم، مكانٍ لا يُمكن لسواك الذهاب إليه بعد أن تفتح الغلاف.

وحدها الكُتب تملك هذه القُدرة.

لا بُدَّ أن تُحافظ الأفلام والأغاني والمسلسلات التليفزيونيَّة على عدد معيَّن من القواعد قبل أن تُبَثَّ على جمهورٍ عريض، والصُّور الأخرى من وسائل الإعلام تتكلَّف كثيرًا وتحمل مخاطَرة الوصول إلى شريحة محدودة من الجمهور بعد كلّ شيء. أما الكتاب... الكتاب لا يُكَلِّف كثيرًا في طباعته وتوزيعه، والكتاب شيء شديد الخصوصيَّة شديد العمومية مثله مثل الجنس. يأخذ الكتاب وقتًا حتى يستغرقك، ويعطيك كلّ فرصة ممكنة كي لا تواصل القراءة. في الحقيقة، قليلون جدًّا يبذلون مجهودَ القراءة، إلى درجة تجعل اعتبار الكُتب من الوسائط الجماهيريَّة صعبًا للغاية. لا أحد يهتم بالكُتب حقًّا، ولا أحد كلَّف نفسه عناء منع كتاب منذ عقود.

لكن مع هذا الإهمال تأتي الحُرِّيَّة التي تتمتَّع بها الكُتب وحدها. وإذا كان الحكي هو أن تكتب كُتُبًا بدلًا من سيناريوهات للسينما، فهذه هي الحُرِّيَّة التي يجب أن تستغلها، وإلا فعليك أن تكتب فيلمًا أو مسلسلًا، فهناك ستجد المال.

لكن إذا أردت حُرِّيَّة الكلام عن أيِّ شيءٍ في أيِّ مكان، فاكتب كتابًا. لهذا السبب كتبتُ "أحشاء" هي مجرَّد قصَّة قصيرة من ثلاثة فصول مبنيَّة على أحداثٍ حقيقيَّة.

يكتب الناس ليقولوا إنها أكثر قصَّة طريفة سمعوها على الإطلاق.

يكتب الناس ليقولوا إنها أكثر قصَّة حزينة سمعوها على الإطلاق.

لكن "أحشاء" ليست على الإطلاق أكثر قصَّة طريفة أو مُزعجة أو حزينة في ***Haunted***، فبعض قصص تلك الرواية لم أجرؤ على قراءته في مكانٍ عام أبدًا.

هذه هي الأماكن التي تستطيع الكُتب وحدها أخذك إليها. هذه هي مزية الكُتب دون غيرها، وهذا هو السبب الذي أكتب من أجله.

فشكرًا على قراءة ما أكتبُ.

الفهرس

مقدِّمة.. هشام فهمي	5
هل سنقلب صفحة الكتب.. ستيفن كينج	13
قصَّة حُب.. تشاك پولانك	15
طعامنا.. نيل جايمان	27
بَعد.. رون كولتر	31
رسالة الإمبراطور.. كافكا	33
أسماء الله التسعة بلايين.. آرثر كلارك	35
ڤينسنت.. تيم برتون	47
ذكرى.. هـ. پ. لافكرافت	53
اللّيلة 1001 آلكس شڤارتسمان	55
دعم سلبي.. تشاك پولانك	57

تذكرة اللوتري.. أنطون تشيكوف	63
رسائل من الباطن.. أ. ت. جرينبلات	71
لا تسأل چاك.. نيل جايمان	73
پوسايدون.. كافكا	77
ثلاث قصص قصيرة جدًّا.. چورچ كارلن	79
فضيحة في بوهيميا.. آرثر كونان دويل	83
الكعكة المسمومة.. تِري بيسون	123
حياتي.. نيل جايمان	131
عن شفتي براد پيت!.. تشاك پولانك	135
أعراض جانبيَّة.. ستيڤ مارتن	143
پروميثيوس.. كافكا	149
اختراع علاء الدين..نيل جايمان	151

الأجراس.. ج. برونسون 157

الشَّبح الذي جاء ليعتذر تشاك پولانك 159

نظرة على الجريمة المنظَّمة.. وودي آلن 169

من النِّسيان.. هـ. پ. لاڤكرافت 179

البلوز وأنا.. هيو لوري 183

شجر ميت.. چو هيل 189

كابوس ما قبل الكريسماس.. تيم برتون 193

ما تعلَّمته عن المستقبل بعد قراءة 100 رواية خيال علمي.. تياجو فورت 203

الأطلال المستديرة.. بورخس 217

امرأة الزُّهور ريتشارد داولينج 227

ذكريات عن مايكل چاكسون.. ستيڤن كينج 229

الخاسر.. تأليف: تشاك پولانك 233

الثّمن.. نيل جايمان 247

أحشاء.. تشاك پولانك 259

عن المترجم

المترجم هشام فهمي، درسَ الأدب الإنجليزي والتَّرجمة في جامعة الإسكندريَّة، وعملَ مترجمًا وكاتبًا صحافيًّا في عدد من الصُّحف والمجلَّات.

صدرَ له:

- «الهوبيت»، تأليف ج. ر. ر. تولكين، (بالمشاركة مع مي غنيم)، عن كيان للنشر والتوزيع.
- ***Lost***، دراسة بالعربيَّة عن المسلسل العالمي، عن كيان للنشر والتوزيع.
- «1408 وقصص أخرى»، تأليف ستيفن كينج (طبعتان)، عن دار اكتب.
- «المُتَرجِم»، الكتاب الأول (طبعتان)، عن دار دوِّن.
- «فرانكنشتاين»، تأليف ماري شِلي، (طبعتان عن دار اكتب وطبعة عن دار التنوير).
- «الناجي الأخير»، تأليف تشاك پولانك، عن دار التنوير.
- «المحيط في نهاية الدَّرب»، تأليف نيل جايمان، عن دار التنوير.

❖ «لعبة العروش»، الجزء الأول من سباعيَّة «أغنيَّة الجليد والنار»، تأليف چورچ ر. ر. مارتن، عن دار التنوير.

للتواصل والاطلاع على نصوص أخرى

facebook.com/Almutargem
twitter.com/HishamFahmy
goodreads.com/Almutargem

- «مع هشام تصير الترجمة عملًا مرهِقًا مدققًا خاليًا من الثغرات، خاصة مع لغته العربيّة الممتازة».

أحمد خالد توفيق

أعدُّ نفسي متخصصًا في ترجمة كلّ ما يتعلق بأدب الفانتازيا والخيال العلمي والرُّعب، ويحتوي في الآن نفسه على قيمةٍ أدبيةٍ ما وشخصياتٍ تجذب الاهتمام ويُمكن للقارئ أن يتفاعَل معها، والنصوص المتنوّعة التي ستقرأها في صفحات هذا الكتاب جزءٌ من تجربتي التي أقدّمها لك كي تطّلع وتحكم عليها، بعضها لكُتّاب معروفين من المحتمل أنك لم تقرأ لهم شيئًا، والبعض الآخر لكُتّاب ربما لم تسمع عنهم على الإطلاق، وإن كانت لهم كتابات قيّمة تستحقُّ أن تُترجم، بالإضافة إلى نصوص أخرى كتبها فنّانون ومخرجون مشاهير ولم تعرف طريقها إلى العربيّة من قبل؛ وكلها اختيارات تمّت بعناية كي أقدّم لك وجبة شهيّة أصنافها منتقاة من هنا وهناك لتستمتع بقراءتها كما استمتعتُ بترجمتها.

- «ترجمة بنت لذين ملهاش حل!».

بلال فضل

- «أي كتاب يحمل اسم هشام فهمي هو كتاب يستحقُّ الاقتناء حقًا، ليس لأن ترجمته هي إلى الفن أقرب فحسب، بل لأن اختياراته ذاتها لا تدلُّ إلا على ذوقٍ يضاهي موهبته».

تامر إبراهيم

هشام فهمي

درس الأدب الإنجليزي والتّرجمة في جامعة الإسكندريّة، وعمل مترجمًا وكاتبًا صحافيًّا في عدد من الصُّحف والمجلات، وترجم عددًا من الأعمال لكتّاب عالميّين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك پولانك، و«المحيط في نهاية الدّرب» لنيل جايمان.

دار الكتب للنشر والتوزيع
DAR OKTOB PUBLISHING HOUSE